

كتاب الاعتبار

لأشامة بن منقذ

وهو مؤيد الدولة أبو منقذ أشامة بن مرشد الكنتاني الشيرازي

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية



كِتَابُ الْأَعْيَابِ

لِأَسَامَةِ بْنِ مُنْقِذٍ

وَهُوَ مُؤَيَّدُ الدَّوْلَةِ أَبُو مَطْفَرٍ أَسَامَةُ بْنُ مُرْشِدٍ الْكِنَانِيُّ الشَّيْزُرِيُّ

مكتبة
General Dept.

Be. Alexandria Library (G.O.A.L.)
ب. مكتبة الإسكندرية

فيليب جيمس، د. ف.

الهيئة العامة، ٢٠١١ - في الإسكندرية	
رقم التسجيل	956-92
رقم التسجيل	٥٥٩٩٦

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

المركز الرئيسي : ٥٢٦ شارع بورسعيد - القاهرة
فروع : ١٤ ميدان المعشيتة بالقاهرة

تيلفون : ٩٣٦٢٧٧ - ٩٢٥٦٤٠



ENTRANCE TO THE CASTLE OF SHAYZAN

View taken from east of the Castle, showing the remains of the Bridge and the Orontes encircling the Castle on almost three sides.

قلعة شيزر كما هي اليوم . آثار الجسر القديم طامرة على جانيه الماضي

محتويات الكتاب

صفحة

١

مقدمة المحرّر

الباب الاول

حروب واسفار

١	١ - قال الافرنج
٤	٢ - أسامة في دمشق ١١٣٨ - ١١٤٤ م
٦	٣ - أسامة في مصر ١١٤٤ - ١١٥٤ م
٣٤	٤ - زيارة أسامة الثانية لدمشق ١١٥٤ - ١١٦٤ م
٣٦	٥ - معارك مع الافرنج ومع المسلمين
١٠٣	٦ - مكافحة الاسود وسائر الضواري
١١٣	٧ - اختبارات حربية
١٣٢	٨ - طبائع الافرنج واخلاقهم
١٤٢	٩ - اختبارات وملاحظات

الباب الثاني

نكت ونوادر

١٧٠	١ - أخبار الصالحين
١٨١	٢ - الشفاء بطرق غريبة

الباب الثالث

اخبار الصيد

١٩٢	١ - الصيد في سورية والجزيرة ومصر
١٩٩	٢ - والد أسامة صياداً
٢٢٧	آخر الكتاب
٢٢٩	الفهرس

صدر الكتاب	رسم قلعة شيزر
١١، بيب	صحيفتان من المخطوطة
بين ص ١٦٦ و ١٦٧	خريطة شيزر ونواحيها
آخر الكتاب	خريطة سورية ومصر والعراق

مقدمة المحرر

في العام الذي تلا فيه البابا أودبانوس الثاني في كلارمونت خطابه المحسوب بحق وباعتبار نتائجه الصليبية أفضل خطاب في التاريخ، ولد لبني مُنقذ الأمراء في شيزر على العاصي (وذلك في ٢٧ جمادى الآخرة سنة ٤٨٨ المقابل ٤ تموز ١٠٩٥) صبي أطلق عليه والداه اسماً تحلى به في صدر الإسلام أول قائد عربي عُهد إليه أمر فتح الشام (١)، وكان قد ورد في الرقم الحبرية السابقة للإسلام (٢) * ذلك هو أسامة بن مرشد بن علي بن مفلد ابن نصر بن مُنقذ مؤلف كتابنا هذا وبطل روايته

عاش أسامة شهماً فارساً، وزها مجاهداً مقاتلاً، ولع أديباً وشاعراً. تلهى صياداً، وقضى الكثير من سنيه جواً. نشأ على ضفاف العاصي بجوار حماه، وصرف معظم شبابه في البلاط النُوري بدمشق، وفي قصر الخليفة الفاطمي بالقاهرة، وغالب

(١) أسامة بن زيد بن حارثة

(٢) في متحف اللوفر بهاريز حجر أتى به مس صماء الرحالة برکهما ردت عليه

كتابة بالقلم المسند تضمنت اسم «أسامة بن عامر». راجع M. Lidzbarski.

Ephemeris für Semitische Epigraphik (غيسين ١٩٠٢) ج ١ ص ٢٢١

كتاب الاعتبار

سني كهولته في الدار الاتابكيّة بالموصل وفي حصن كيفا على
دجلة

زار بيت المقدس في فلسطين، وحجّ إلى الحرّمين، وتنقّل
بين معظم العواصم الاسلاميّة من مدنيّة ودينيّة. عاشر نور
الدين، وتصدّد مع زنكي، وصاحب الخليفة الحافظ وخلفه الظافر.
تعرّف شخصياً بيوهند وتكرّد وفلك من الاقرنج الصليبيين
وخصّه قبيل وفاته بدمشق عن ٩٦ عاماً قمرياً صديقه صلاح الدين
الأيوبي بعطفه. آخى الاقرنج - ولا سيما الفرمان منهم - في
حين السلم وقاتلهم في حال الحرب، كما قاتل غيرهم من
الاسماعيليّة وسائر العرب - فضلاً عن الأتد والوحوش - وأخيراً
في اواخر ايام حياته دوّن لنا كل ما خبره بالذات، وعرفه من مصادره
الأصليّة، في مذكّرات شائعة رائعة قلّ نظيرها - من حيث الأمانة
في النقل، والصدق في الرواية، والدقة في الملاحظة، والنكهة في
التعبير - في مجلّ آداب اللغة العربيّة

فحياة اُسامة اذن تشلّ لنا الفروسيّة الاسلاميّة العربيّة على ما
ازدهرت في ربوع الشام في اواسط القرون الوسطى والتي بلغت
حدّها الكامل في صلاح الدين، وسيرته تتضمن موجز تاريخ البلاد
في القرن الثاني عشر - قرن التجريدات الصليبيّة الثلاث الأولى،

مقدمة البحر

ومذكّراته الموسومة «كتاب الاعتبار» مرآة نتجلى فيها المدينة
الشامية في اجلى مظاهرها - وذلك ليس بحد ذاتها فقط بل
بالمعارضة مع المدينة الافرنجية التي قامت الى جانبها
ولو ان اُسامة عاش اليوم لكان بلا ريب عضواً عاملاً في الجمع
العلمي العربي، ولكان بيته «صالوناً» للادب بدمشق، ولراى
«الهلال» و«المقطم» ولاكثر من العيش في الهواء الطلق يدرس
طبائع الحيوان ويرقب نمو النبات، ولنال حياؤه العربية جوائز
السبق في بيروت، ولكان يلاترد في أثناء الحرب العظمى ديون
فرقة من المتطوعة تولّى قيادتها بنفسه

على بعد خمسة عشر ميلاً الى الشمال من حماه أكمة صخرية
منتصبة على ضفة العاصي الغريبة يكللها حصن لم يزل قائماً لليوم
معروفاً باسم «سَيَجَر» تحريف «شَيْر» • شَيْر هو الرشح
الذي تشلت عليه معظم الحوادث المدونة في الكتاب والتي جرت
وقائعها في أيام اُسامة الفتى • الهضبة لتوثها سماها مؤلفو العرب
«عرف الديك» • نهر العاصي يلتف حول الأكمة من جهاتها
الثلاث، فهي اذن شبه جزيرة بوضيعتها الجغرافية • غير ان الانسان
اكمل عمل الطبيعة بحفره خندقاً في الصخر الواصل بين شبه
الجزيرة والبر ممّا زاد في مناعة الحصن وفي تعذر الوصول اليه •

كتاب الاعتبار

ونيزر اثنان: قسم واقع ضمن القلعة على الراية وهو «البلد»، وقسم قرب الجسر على العاصي وهو «المدينة» • وللقلعة ابواب ثلاثة أهمها يفتح نحو الجسر • وعلى الجسر حصن أطلق عليه اسم «حصن الجسر»

إذا غزا غزاة البلاد السورية من الشمال فإمامه طريقان: طريق بحريّة تمرّ في اللاذقية فالساحل الفينيقيّ - وهي الطريق التي اختارها الاسكندر وكثير من الغزاة الاشوريّين، وطريق داخلية تماشى العاصي الى حماه فحمص ثم تعطف غرباً مع وادي النهر الكبير حتى البحر شمالي طرابلس، أو انها تستمرّ من حمص في سهل البقاع وتتصل أخيراً بالساحل الغربي جنوباً عند أقدام سلسلة لبنان • الطريق الثانية هي التي سلكها معظم الفاتحين المصريين والبابليّين من مثل دهميس ونبوخذ نصر وهي التي آثرها اكثر الصليبيّين • ولا بدّ لمن طرق هذه الطريق الثانية من الاجتياز بأفامية (قلعة المضيق) وباختها الجنوبيّة شيزر السلطنة على وادي العاصي • هذا ما يجعل لموقع شيزر خطورة حربيّة

لشيزر اسم في رأس قائمة المدن السوريّة المتوغّلة في القدم • ذكرها طلميس للمرّة الاولى بالهيروغليفيّة نحو سنة ١٥٥٠ ق م • في عرض وصف إحدى حملاته من مصر، باسم «شيزار»

مقدمة المحرّر

أو «سيزار» • وذكرها بعده خلفه البعيد عنحتوب الثاني (٣) •
ووردت بصيغة «نيزار» في رقم تلّ العمارنه المسماة •
وسماها اليونان الاقدمون «سيزارا» والبيزنطيون «سيزر» •
وفي اواخر القرن الرابع قبل المسيح أسكنها سلوقص الأول
مهاجرين من لارمّا في نساليا وغير اسمها الى «لارمّا» • على
ان الاسم السامي الاصلي ما لبث أن عاد فتغلّب وظهر بالعربية
في صيغة «شيزر» • وعلى هذه الصورة ورد الاسم في بيت قديم
لامرى القيس:

تقطع أسباب الثبانة والهوى
عشيّة رُحنا من حماة وشيزرا

وفي آخر لعبيد الله بن قيس الرقيّات:

فواحرزنا إذ فارقونا وجاوروا

سوى قومهم أعلى حماة وشيزرا (٤)

أمّا مؤرخو الافرنج الصليبيّون فاطلقوا عليها اسم "Caesarea"

ـ قيصرية • وحيث أنّ قيصرية العاصي للتميز

فتح العرب شيزر عام ١٧ (٦٣٨) فيما فتحوا من المدن الشامية،

(٣) J. H. Breasted, *Ancient Records of Egypt* (فيكانو ١٩٠٦) ج ٢

قرة ٥٨٤ و ٣١٤

(٤) ياقوت «معجم البلدان» (ليزرغ ١٨٦٨) ٣٥٣:٣

كتاب الاعتبار

وذلك عقب الاستيلاء على حمص وحماه بقيادة ابي عُبيدة ابن الجراح، فلقاه اهل شيزر «يكفرون ومعهم المقلّسون، ورضوا بمثل ما رضى به اهل حماة» (٥) . انما البلدة لأهمية موقعها الجغرافي، وباعتبار كونها مفتاح موريّة الداخلية، بقيت مطمح أبصار البيزنطيين الذين امتلصوها مراراً من ايدي العرب وخسروها، الى ان اخضعها الامبراطور باسيل الثاني سنة ٩٩٩ وبقيت بيد الروم حتى عام ١٠٨١ وهو العام الذي استرجعها فيه عزّ الدولة سديد المُلْك ابو الحسن عليّ، جدّ اُمامة، من أيدي الامبراطور ألكسيس كومنينوس

وكان صالح الدرداسيّ، صاحب حلب، قد منح الأمراء المنقذين من بني كِنانة عام ١٠٢٥ اقطاعاً في جوار شيزر . فتمكّن أحدهم لا، الأمراء، مقلّد، من الاستيلاء على كفر طاب سنة ١٠٤١ . وجاء بعده خلفه أبو المتوجّج مقلّد بن نصر الذي بسط سلطته الى العاصي وبنى حصن الجسر عند قدميّ شيزر ليقطع عنها المدد . ولكنّ البلدة بقيت بيد البيزنطيين الى أيام سديد المُلْك . فسديد المُلْك اذن هو مؤسس الدولة المنقذيّة بشيزر . ولدن وفاته عام

(٥) اللاذري «فوح البلدان» (لیدن ١٨٦٦) ص ١٣١

مقدمة المحرّر

١٠٨١ عقبه ابنه عزّ الدولة ابو المرّهف نصر (٦)، وهو مع
اشتهاره بالورع وحبّ السلام تولّى الى حين، وفيما سوى شيزر،
أفامية وكفرطاب واللاذقية

توفي ابو المرّهف بلاعقب عام ١٠٩٨، فتحدّرت الإمارة من
بعده الى أخيه الاصغر مجد الدين أبي ملامة مرشد (١٠٦٨ -
١١٣٧) والد مؤلف كتابنا «أمامة» ولكن مجد الدين شُغف
بالصيد ونسخ القرآن أكثر من السياسة، فتنازل عن السيادة لأخيه
الاصغر عزّ الدين أبي العساكر سلطان مردّداً «والله، لا وليّ لها»
ولأخرجنّ من الدنيا كما دخلتها» (٧)

في أثناء إمارة سلطان، عمّ «أمامة»، كانت شيزر عرضة لغزوات
متابعة من بني كلاب في حلب، ومن الاسماعيلية (الحشائين)،
ومن الروم البيزنطيين، ومن الافرنج الصليبيين. رثقها
الامبراطور جان كومنينوس عام ١١٣٨ بالمنجنق عشرة أيام
متوالية. وحاول الافرنج تكراراً الاستيلاء عليها، ولكن على غير
جدوى. مناعتها الطبيعية، وحصونها المتينة، وزعامتها المنقذية
أنقذتها كل مرّة من السقوط

- (٦) فصل ذلك كله اس الانير «كامل التواريخ» في *Recueil des historiens des croisades historiens orientaux* (باريز ١٨٧٢) ٥٠٤:١
(٧) أبو أمامة «كتاب الرؤيتين في أخبار الدولتين» (مصر ١٢٨٨) ١: ١١١ - ١١٢
وأيضاً الانير في *Recueil* ٥٠٤: ١

كتاب الاعتبار

وفي خلال إمارة سلطان جرت أكثر الحوادث التي دونها
أسامة في مذكراته، وهو شاهد عيان لها، فخلّد وقائعها وجعلها
أرثاً لنا. ومع أن أسامة كان أحد أخوة أربعة، هو ثانيهم، فإن
عمّه سلطاناً، الذي لم يكن له أولاد ولد ذكر، استخض أسامة
بعطفه ورعايته، ودرّبه على الفنون الحربيّة، وكان يستحسن بالسؤال
حضور ذهنه في ساعة القتال (أدناه ص ١٠٠). وعلى الجملة انشأه
تنشئة من يريد أن يجعل منه خلفاً له. وكثيرة كانت المهمّات
الشخصيّة التي عهد سلطان بها لابن أخيه، من مثل رفقة زوجة
عمّه وأولادهما من شيزر في أيام الحرّ إلى مصيحات (أدناه ص ١٤٨).
أما بعد أن رُزق العمّ ولداً يخلفه فوجهة نظره نحو ابن أخيه
تغيّرت، والحسد أخذ يعمل عمله فيه، ممّا جعل أسامة الشاب يغادر
شيزر مؤقتاً عام ١١٢٩، ونهائياً بعد وفاة والده أخي سلطان في ٣٠
أيار سنة ١١٣٧. وكانت جدّة أسامة (٨) لأبيه قد حذّرتّه مرّة
من عمّه، وقد رأت حفيدها داخلاً البلدة مساءً ويده راس أسد ضخم
كان قد اصطاده، فأسدته التّصحّ بشأن تأثير عمل كهذا في نفس
عمّه بقولها «ما يقرّبك هذا منه، وإنه يزيدك منه بعداً ويزيده
منك وحشة ونفوراً» (أدناه ص ١٣٦). وبرغم ذلك فد «كتاب

(٨) والدّة أسامة في ابن الأثير «تاريخ الدولة الأتابكيّة» في *Recueil* (باريز

١٨٨٧) ج ٢ جز ٢٠ ص ٢٠٠

مقدمة البحر

الاعتبار» (ص ٧١) يحفظ لنا نكتة تمثل شهامة سلطان* وخلاصتها ان امرأة كان قد تزوجها سلطان وطلّقها ف وقعت اسيرة في يد الاقرنج، ففكّ للرجال أسرها وسلّمها لاهلها قائلاً «ما أدع امرأة تزوجتها وانكشفت عليّ في أسر الاقرنج»

توفي سلطان حوالي عام ١١٥٤ فخلفه ابنه تاج الدولة ناصر الدين محمد، وهو آخر الأمراء المتقدين* في أيامه تشكّلت على مرشح شيزر مأساة مفعمة قضت على بني متقذ بأسرهم* بمناسبة اختتان ولد لتاج الدولة أولم الوالد وليمة حضرها جميع آل* وفي اثنتائها حدث الزلزال الشهير عام ٥٥٢ (١١٥٧) الذي «هلك فيه ما لا يحصى» والذي خرب «بالرّة حماة وشيزر وكفرطاب والمعرة وحمص وحصن الاكراد» (٩) «ولم ينجُ من بني متقذ أحد» (١٠) سوى زوجة تاج الدولة التي انتشلت من تحت الردم* الا ان نور الدين، صاحب دمشق، عاد فعمر شيزر

التأثير الأكبر في نفسية أسامة كان لعمه سلطان، وبعده لوالده صورة الوالد التي أبقاها لنا أسامة في مذكراته تمثله لنا رجل تقوى وسلام لا تهمة تؤون هذا العالم الفاني، يفرغ «زمانه لتلاوة

(٩) اس الأثير في Recueil ٥٠٣:١

(١٠) احو ٥٠٠:١ - ٥٠٦

كتاب الاعتبار

القرآن والصيام والصدقة في نهاره، وفي الليل ينسخ كتاب الله» (ادناه ص ١٩٨) * وهذا يجب ألا يفهم منه انه كان متقاعداً جباناً * ففي غير مكان يذكر اُسامة أن والده لم يكن «له شغل سوى الحرب وجهاد الاقربى ونسخ كتاب الله» (ادناه ص ١٩١) * ثم يقتبس عنه عبارة قالها لماً حذره ولده في معركة: «يا ولدي في طالعي انني لا ارتاع» (ادناه ص ٥٦)

ولتستشهد الآن ببعض الوقائع الدالة على نوع التربية التي نربأها اُسامة في ظلّ والده وعمه، وسرّها كلّها متضمّن في تصريح اُسامة «ما رأيت الوالد، رحمه الله، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر، مع ما كان يرى فيّ وأرى من اشفاقه وإثاره لي» (ادناه ص ١٠٣) * اُسامة، وهو دون العاشرة، يطعن خادمه طعنة نجية قاضية دون أن يستوجب سخط والده (ادناه ص ١٤٥) * يباشر القتال وهو حدث يافع فيذكر كيف انه في اول قتال حضره حمل على افرنجي طعنه فخرج من السرج لخفة جسمه وقوة الطعنة (ادناه ص ٤١) * يرى حيّة، وهو صبي، على حائط الدار فيتسلّق اليها ويأخذ يحزّ رأسها بسكينه الصغير، وهي تلفّ على يده، وابوه يراه ولا ينهاه (ادناه ص ١٠٣) * تعود رهائن من افرنج وأرمن كانت في شيزر الى بلدها فتقع في أيدي صاحب حمص،

مقدمة المحرّر

الاحلام آمن بها ووضع فيها كتاباً خاصاً (ادناه ص ١٨٦)
 من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حُلِّل فيه أسامة الأثر
 الذي أثّر في نفسه - وهو المسلم المحافظ - الافرنج الصليبيون.
 ملاحظات ابن جبير وأقوال ابن الأثير لها أهميتها. ولكنها لا
 توازي أهمية هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة.
 الافرنج - في نظر المؤلف - لهم شجاعته، ولكنهم خالون من
 «الغيرة» الجنسية (ادناه ص ١٣٥). * طبّهم ساذج جاهل بالمعارضة
 مع الطب العربي على ما مثله ثابت (ادناه ص ١٣٢ - ١٣٣) وابن
 بطلان النصرانيان (ادناه ١٨٣ - ١٨٥). * معاكمتهم غيبة غريبة
 (ادناه ص ١٣٨ - ١٤٠). * «من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية
 أجنى أخلاقاً من الذين قد تبلّدوا وعاشروا المسلمين» (ادناه ص
 ١٣٤). * الكاتب لم يرضَ عليهم بلقب شياطين (ادناه ص ١١٨ ص
 ٢١ وص ١٢٨ ص ١٤) و«كافرين» (ص ١٢٨ ص ١٤ وص ١٣٥ ص
 ١٤) ولم يردّد في استئزال لعنة الله عليهم (ص ١٣٩ ص ١٤ وص
 ١٤٠ ص ١) عملاً بسنة كتاب ذلك اليوم، وفي الدّعاء الى الله
 تعالى كي «يطهر الدنيا منهم» (ص ١٣١ ص ٥). * لذلك يلذّ لنا
 ان نسمع صديقاً افرنجياً يدعو أسامة «يا أخي» (ص ١٣٢ ص ٩)
 ويرجو ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الافرنج، وان

كتاب الاعتبار

نرى اُسامة يدعو الفرمان الداويَّة (Templars) «أصدقائي» (ص ١٣٤ س ٢٠)، ونرى هؤلاء يَخْلُون له في المسجد الأقصى مكاناً صغيراً يصلي فيه اذا زار بيت المقدس

وفي الكتاب فضلاً عن ذلك اشارات وفيرة تنير لنا أحوال البلاد الشامية لذلك العهد من زراعية واجتماعية، وتعرض أمام بصائرنا الواناً شتى من صور الحياة السورية العربية * القطن كان من غلَّة كفرطاب (ص ١٥١ س ١٦)، غايات شمالي البلاد الكنيفة كانت غنيَّة بالأَسود والنمور والغزلان وحُمر الوحش (ص ١٠٥ - ١١٢ و ١٩٢ - ١٩٣)، جلاء العروس (ص ١٨٠ س ٢) - على ما هو متبع لليوم في لبنان - كان عادة مرعية في القرن الثاني عشر، استجار نداءات تدب في المآتم (١١٥ س ١٢) كان معروفاً يومئذٍ كما هو معروف اليوم

آخر فصول الكتاب (ص ١٩٠ فما بعد) يتناول مسألة الصيد على ما مارسه أبناء ذلك الزمان بالبازي والصقرو بمعونة الكلاب، وذلك على شواطئ * دجلة والفرات والعاصي والتيل * حتى صيد السمك بالطرق العتيقة الساذجة لم يفت اُسامة فانه وصفها (ادناه ص ٢١٧ - ٢١٨) كأنك ترى العملية بعينك

مخطوطة «كتاب الاعتبار» هي وحيدة لا أخت لها، على ما

مقدمة المحرّر

نعلم، محفوظة في مكتبة الاسكوريال باسبانيا . وهي ٦٧ ورقة، ولكنها مخرومة الأول حيث ضاع منها ٢١ ورقة، فيكون أصلها ٨٨ ورقة . المخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود بالخط الشامي الذي يرتقي الى القرن الثالث عشر . فهي اذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا
في خاتمة المخطوطة ما نصّه:

وكان في آخر الكتاب ما مثاله:

قرأت هذا الكتاب من أوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدي
الامير الاجل العالم الفاضل العبد الكامل عبد الدين، جليس
الملك والملك، حجة العرب خاتمة امير المؤمنين، أدام
الله معادته . وماله ان يبيزنسي روايته عنه .
فاجابني الى ذلك . وسطر خطه الكريم .
وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر
سنة ٣٩٩ هـ . ومتماية .
مجمع ذلك . وكتب
جده مرعب بن
أسامة بن
منقذ
حامداً
ومصلحاً

التاريخ اعلاه، ١٣ صفر سنة ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) هو ليس
تاريخ مخطوطتنا هذه - كما وهم درنبرغ (٤٠) - بل تاريخ

(٣٩) «عصره» في الاصل . قابل ادناه من ٢٢٦
(٤٠) هي المقدمة الافرنجية من ١٠ التي تقدم بها طيبة «كتاب الاعتبار»

فيكون كل من هو من العبد بالبلاد الافرحه اجنى خلافا من الله وقيل
 وقاسر المسلم في خفا الخلقة منهم الله اسكت اذا رزق المسلم
 دخل في المجد الاقصى في حنانه سبحانه ورحمته الادب كسبه مكسب اذا
 السعد الاقصى في الدنيا من اصدى يكون في المجد الصغير اصله في
 بها مكرت ودعت الصلاة في كل واحد الادب مسكن ودعوى السرقة
 وقال كذا اصله سادرا له فوم من الدابة اخذوه اخرجه عي وعاد الى
 الصلاة فاعتقلهم وعادهم على ذلك لعله ورد وحسب الا السر وقال ذرا
 صلى بها الدابة دخلوا اليه واخرجوه واعادوا الى اولاهد اعلم وصل
 من الدابة في يد الامام وما في نصلي لا السرقة على حسي الصلاة
 خرجت بك عن ذلك الشيطان ونصير وعبره وبعده وما لحظه من الدابة
 على القلعة ورايت واحدا منهم جاء الى الامير معبر الفرس جلله
 وموقو لحيه فقال ليد صهر الله صغير فالدم نسي اسراحي اورا ما حوره
 مريم والمسيح عليه السلام صخره جربا فقال هذا الله صغير نعال الله عما
 سولنا الطوفان علوا كبرا وليس عديم في الحيرة والقره يكون الرجل في مسمى
 وامرانه طفاه رجل اخر ناحله بالمرأه وبعثت بها وبجلب معها والزوج
 واقف ناحيه بنظر فرأها من الجرب فاذا طوله عليه خلاها مع الجرب مسمى
 وما شا هرت من الدابة كره اذا حنط ما ليس ابر في دار رجل
 قال له مغر داره عمار المسلمين لها طامان بيع الى الطوب وسبيلها من طام
 الطوب الاخر دار رجل افرحي مع امر الجار را حنطه معه من الدابة وناطه
 وسولك فلان الماخر فليمنه من هذا الجرب ما را د بها مساهله في موضع ذرا
 ولها واخره يدانه السيد الذي في تلك القفصه فحانوما ووحلها
 مع امرانه في المراتش فقال له اي شيء ادخلك الى عدما في طاب عاب
 دخلت اسديح فالجلف دخلت الى فاسي فالجواب فاسا مفروشا
 ممس فيه حال والمرأه ما يمد معك قال الفرس لها كسب اذرا امسها من

Facsimile of Folio 41B of "Kitāb al-ʿIbār" MS in the Escorial

مصحف ٤١ بقا منقولة عن مخطوطة «كتاب الاعتبار» المحفوظة في مكتبة
 الاسكوريال باسبانيا

مقدمة المحرر

قال وجردني عن غروب عقلت كما احصيت انا وانت فكل هذا انكره وببلغ غرهه
 ومن ذلك ان كان عندنا رجل جامع ساله سالم عن اهل المعرة في جامد الخ
 وجه الله قال لم يصح ما بلغ المعرة العسر فيها اذ جعل اليها فارسا منهم وهم
 سكران على سبيل وسطها المرد في انعام فلهذا غلب مروي في سبيل
 زمانه وزني وانا فرس عهد علي بن سالم فرس في معرة راع على عاي وقال
 سالم جلد وجردني اهل الجند واستلم على ظهره وله سال الحسينة فلد الله
 لد الله الموضع خلفه لم يره عليه فاستوطاه قال سالم يحكي ذلك العسر
 للامام والامام لم يسمع المستعصي امره وقال السلام له دل الامام في بعض العلام
 اخبرنا وادخلنا فاسلمت على طهرنا وبنا لعل كما علم في خلفه ذلك العسر
 ودرجها فاعاد بيظري مكرني وهسي خت خت في فاطمة واليها في الاخلاص
 العظيم ما دمهم عرو ولا يحى وبهم الشجاعة العظيم وما يكون السجادة الا
 من الحق والامانة من سوا الاطروحة هذا الذي وما عار هذا الذي
 وطلب انعام كمدنه صور خلفه في حلقه فيها قال لم يصح علي في انعام امراه
 طاحر خلفه على المصاطب كواذا التي كانت في انعام ودرج في معالي وقد
 ليست ثابها وشهد معه مع انها ولم يخفوا انها امراه صلب لواجده اصحابي
 بالله انصره امراه هي وانا امصر ان سال عنها فمسي وانا امراه رجع ذلكها
 وطلع فيها فالصع الى انوثا وقال لفرس انص مايب امرا وبالمال لم يسل الى انها
 ما دخلها مع انعام حسنت راسها فلي جرد على هذا الكره نوابه
 ومن عجيب طهرها احد ثابها ليام دنور صاحب طهره وكان مقدما
 فيهم فلاتتوانه رافوا لابي مع الفرس رحمه الله من عكا الى طهره وانا معه بخيا في الطبر
 قال كان غدا في بلاد فارس لفرس في فرض وارش على المود بخيا التي تسمى
 مسومنا فلما هي مضاجتي بمصر الفارس طار والفرس في معنا وحرر محسنه
 اذ احط به عليه عوف فلما راه قال اعطوني سمع فاحمنا له فليل سمع
 فلتنه وعلمه سل عدرا اصبع وعمل كل واحد في جاس رافه فاد الفارس

Facsimile of Folio 42A of "Kitāb-al-Itbār" MS in the Escorial

صفحة ٤٢ وجه معوله عن مخطوطه «كتاب الاعتبار» المحفوظة في مكتبة
 الاسكوريال باسبانيا

كتاب الاعتبار

الأثم التي نُسِخت عنها. نسختنا اذن غير مؤرّخة، ولكنها منقولة عن مخطوط كُتِب بعد وفاة المؤلف (أُسامة) بست وعشرين سنة قمرية وعليه اجازة من مرهف ابن أسامة المحبوب موهودة بامضائه

المخطوطة هذه نشرها الاستاذ هارتوغ درنيورغ بالطبع (لیدن ١٨٨٤) وهي التي نحن الآن ننشرها نقلاً عن الصورة الفوتوغرافية التي استحصلناها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد

مخطوطتنا هذه حافلة بالاغلاط النحوية الصرفية التي لا يمكن ان يكون مؤلفها - واضح كتاب في البديع وصاحب ديوان - قد ارتكبها. وهي فضلاً عن ذلك مشبعة بالعبارات العامية (ولاسيما في الجمل المقتبسة والمحكية)، مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضيف أُملى كتابه شفاهاً، وان ايدي الناسخ او النساخ عبثت به واليك امثلة من آثار عدم العناية في النسخ: «دشني» «دشن» (ص ٥٢ س ١ - ٢) - «موز» «موزا» (ص ٧٢ س ١٤ - ١٥) - «الرّحى» «الرحا» (ص ١٠٥ س ١١ و ١٢) - «قاسم» «قسيم» (ص ١٧٠ س ١٧ و ص ١٧٢ س ١٣) - الى آخر ما هنالك من الكلمات التي وردت بصورتين او اكثر في سطر واحد أو في صفحة واحدة

تت

مقدمة المحرّر

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالة على سلامة ذوق اُسامة في الانشاء - اذ ان ثمة الكثير من الحقائق البعيدة الغور في طبيعة الانسان واختباره لا يسهل التعبير عنها في الأدب العالي وجله اصطناعي بل في النسق «الدارج» الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ونواحيها - فأمره يهتّمنا من وجهة اخرى * مقابلة هذه الاصطلاحات مع ما يماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس هام في تطوّر اللغة العربية المحكيّة * وهاك امثلة من اُسامة:

(ا) «أيش [أي شيء] انتم؟» (ص ١٢ س ٦) - «ما في [لا يقدر] هذا يسرق رغيف خبز» (ص ٤٥ س ٨ - ٩) - «تموا [ما زالوا] يطردونهم» (ص ٥١ س ٢) - «خفت لا [لثلا] يكون» (ص ٦٤ س ٧ و ١٥) - «طلّح [تطلّع] تحتها» (ص ٢١٤ س ١٦) - «حمدت الله سبحانه الذي [التي - في العامية] ما ناله ضرر» (ص ٦٣ س ٧)

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل إما لا يعقل: «الكلاب نطعمهم [نطعمها] من عيشنا» (ص ١٢ س ١٤)

(ج) استعمال المثني المنسوب في حالة الرفع: «ديواني كل شهر دينارين [ديناران]» (ص ٧٥ س ١٦) - «وفيه خرّقيّين [خرّقان]» (ص ١٩٦ س ١٤)

كتاب الاعتبار

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد الى اسم مثنى: «اطهرهم
[اطهرهما]» (ص ١٩٦ س ١٤) - «يست رجلاي ودقّت
[ودقّتا]» (ص ١٧٧ س ١١) - «فخرج فارسان ٠٠ فصادفوا
[فصادفا] رجلاً ٠٠ فاخذوه [فاخذاه]» (ص ٦٣ س ١٦)
(هـ) لغة اكلوني البراغيث: «فاقتطعوه [فاقتطعهم] الروم»
(ص ٩٢ س ١٨)

(و) الميل لاهمال الهمزة او لتحويلها ياء: «الحيط [الحائط]»
(ص ٧٤ س ١٠) - «خبّيته [خبّأته]» (ص ٤٦ س ٣) - «غاروا
[أغاروا]» (ص ٥٨ س ١٥) - «[أرسل] [أرسل]» (ص ٨٧ س ٩)
(ز) ادغام الحرفين المتجانسين واقحام ياء بعدهما: «دليت
[دلت] الحرامية» (ص ١٣٨ س ١٧) - «ثقيته [ثققته]» (ص
١٤٧ س ١١)

(ح) الاشباع: «روح [رُح]» (ص ١٢٤ س ٦)
وفي نسق الكاتب ظاهرة غريبة، ميله لاستعمال صيغة المؤنث:
«مغار معلّقة» (ص ٧٠ س ١٩) - «عقرب صغيرة» (ص ١٠٩ س
٨) - «حجر ثانية» (ص ١١٤ س ١٤) - «الأرنب دخلت» (ص
١٩٢ س ١٨) - «سكتيناً صغيرة» (ص ١٠٣ س ١٧) - «طاردت
الحجل» (ص ٢٠٠ س ١٦)

مقدمة المحرّر

وللمخطوطة من حيث الخطّ ميزات منها أنها انتهت إلينا خلواً من حركات الاعراب، ومن علامات الوقف، ومن أكثر نقط الحروف بحيث يصعب أحياناً التمييز بين الفاعل والمفعول، وبين المعلوم والمجهول، وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى. خُذْ مثلاً على ذلك لفظة «عدل» التي وردت في قصّة نمر جاء به أحد الحليّين إلى صاحب القدموس. فإن درنبورغ، على ما يظهر، قرأها «عدّل» (طبعة درنبورغ ص ٨٣) وترجمها (٤١) «la séance» وهي في الحقيقة «عدّل» (ادناه ص ١١١ س ٤١) بمعنى كيس. ولقد ورد في قصّة بعض قطعاً عي الطرق كلمة «سمهم» فقرأها درنبورغ «تسبهم» (ص ٥٤)، وقرأها لاندبرغ (٤٢) «تسبة هم»، وقرأها كاتب هذه الأسطر «يشنهم» (ادناه ص ٧٢ س ٢٠). بين «السق» و«الشنق» بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط، ولكنه بالفعل فرق عظيم. في المخطوطة اسم علم ورد على هذه الصورة «حرار» (ادناه ص ١٢٤ س ١) فهو: جرّار، جرّار، جرّاز، حرّار، حرّاز، حرّاز، خرّاز، خرّاز، خرّاز، خرّاز - عشر قراءات فقط لا غير وكلها واردة أسماء اعلام في

(٤١) *Autobiographie d'Ousāma* (باريز ١٨٩٥) ص ١١٠

(٤٢) C. de Landberg, *Critica Arabica* (لیدن ١٨٦٦) جز ٢٠ ص ٢٦

كتاب الاعتبار

الذهبي (٤٣) فاختر لك منها ما يحلو

عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة، كما هي الحال في اللغات الاوربية، يؤدي أحياناً للاشتباه في اللغة العربية. ففي صفحة ٥٠ سطر ١٦ (ادناه) وصفحة ٢٠٦ سطر ١٤ وردت «العلاء» وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبورغ (ص ٣٧ و ١٥٢) نكرة وترجمها "la ville haute" (٤٤) * أما «قرية خربة» (ادناه ص ٨١ س ٧) فحسبها علماً (٤٥)

ارجاع الضمير من معضلات العربية. والاشكال فيه جعل درنبوغ مرة يحب ان المطعون طار من السرج الى رقبة الحصان (٤٦)، والحال انه الطاعن (ادناه ص ٦٣ س ٥)، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض (٤٧)، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه (ادناه ص ١٤٦ س ٧)، وثالثة ان الجريح أغشي عليه (٤٨) والحال ان الغلام الشاهد هو الذي أغشي عليه (ادناه ص ١٤٥ س ١٨)

(٤٣) «المقتب» (لیدن ١٨٦٣) ١٧ - ١٠٠

(٤٤) Autobiographie ص ٥٠

(٤٥) أيضاً ص ٨١

(٤٦) أيضاً ص ٦٣

(٤٧) أيضاً ص ١٤٢

(٤٨) أيضاً ص ١٤٢

مقدمة المحرّر

ليس فسي مصطلحات العربية علامات للاقتباس تضمّن الجمل المحكية • وهذا ما جعل درنيورغ (٤٩) يعتبر الجملة الأخيرة من خطاب أسامة لرجالة عسقلان داخلية في ذلك الخطاب، مع انها ليست جزءاً منه (ادناه ص ١٦ س ٧) • لمّا مثل أسامة بين يدَي الملك الافرنجي فأعرب له هذا عن فرحه به لأنّه فارس عظيم أجاب أسامة (ادناه ص ٦٥ س ١٤ - ١٥) «انا فارس من جنسي وقومي» • وورد على اثر ذلك في الاصل «واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان اعجب لهم» • فدرنيورغ (٥٠) ضمّن هذه العبارة الثانية في الاقتباس وجعل أسامة بالاستنتاج دقيقاً طويلاً، والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخلية في الاقتباس والضمير فيها يعود للافرنج، فيكون أسامة مميّناً قصيراً

لم يكن أسامة يحسن غير اللغة العربية • فهو يقول عن الافرنج «انهم لا يتكلمون الا بالافرنجي ما ندرى ما يقولون» (ادناه ص ٦٦ س ٨) • وفي مكان آخر (ادناه ص ١٤٠ س ٢١ - ٢٢) يشير الى امرأة افرنجية «تبربر بلسانهم وما ندرى ما تقول» • ثم يذكر ان رفيقه الفرنسي «التفت الى غلام له كلّهُ بالتركي ولا ادري ما يقول» (ادناه ص ١٠٠ س ٩ - ١٠)، وفي غير موضع يقول «وهم

(٤٩) *Autobiographie* ص ١٤ س ٣٨

(٥٠) ايضاً ص ٦٦

كتاب الاعتبار

يتكلمون بالتركي ولا أدري ما يقولون» (ص ١٥١ س ٧) • على
 ان ذلك كله لم ينعه من استعمال كلمات افرنجية كـ «سرجندي»
 (ص ٢٥ بس ١٥) و «سرزند» (ص ٦٧ س ٦) (sergeant)
 - «تر كبولي» (ص ٥١ س ١) (Turcopole) - «برجاسي» (ص
 ١٤١ س ٣) (bourgeoisie) - «البسكند» (ص ١٣٩ س ٤) (viscount)
 - «الداسا» (ص ١٣٦ س ٢٠) (Madame) - «البرونس» (ص
 ١١٩ س ١) (prince)

والذي يهتنا اكثر من ذلك استعماله طائفة من الكلمات الفارسية
 والتركية واليونانية التي كانت صقلتها السن متكلمي العربية
 وألفتها آذانهم • ومما يجب ملاحظته ان غالب أسماء آلات
 الحرب انما هي فارسية، وذلك لان العرب نقلوا الاماليب الحربية
 عن جيرانهم الفرس • واليك بعض الامثلة من الالفاظ الفارسية
 المعربة:

«سندروس» (ص ١٢ س ٢) (تعريب سندروس، معدن)
 - «سرفسار» (ص ١٣ س ١٧) (سرفسار، داس الضان) -
 «كزاغند» (ص ٤٦ س ١٤) (كزأگند، كزأغند، ستره تقوم مقام
 الدرع) - «درگاه» (ص ٤٩ س ١٣) (درگاه، بلاط الملك) -
 «دشني» (ص ٥٢ س ١) (دشنه، خنجر) - «خشت» (ص ٥٢ س

مقدمة المحرّر

(٦) «خِشْت، حَرِيَّة» - «موزا» (ص ٧٢ س ١٤) (مُوزَه، خِشْت)
 - «اَوْزْبَه» (ص ٧٣ س ٦) (اَوْزْبَك، امير الجيش) - «بُشْت»
 (ص ١١٧ س ١٣) (بُشْت، عِباءة) - «تَرَكُش» (ص ٢١٣ س ١٧)
 (تَرَكُش، جِعبَة) - «دِيب» (ص ١٢٧ س ١٣) (دِيبان، راقب)
 وهنالك لفظتان فارسيّتان اشبه امرهما على درنورغ فحسبهما
 عربيّتين: «برجم» (ص ١٥٩ س ٧) وهي برجم، شعر ذنب عجل
 البحر. فظنّها درنورغ «براجم» العربيّة وترجمها «articulations
 de doigts» (٥١) و «نشاف» (ص ١٢٣ س ٣) وهي في الراجح
 «نِشاف» الفارسيّة بمعنى بلّ. ولقد ترجمها درنورغ
 "consumption" (٥٢)

واليك انموذج من الالفاظ التركية الواردة في الكتاب: «يَرَق»
 (ص ١٠١ س ١٩) وهي يراق، ملاح - «جوبان» (ص ١٠٦ س ٣)
 وهي جوبان، راع (٥٣)
 ومن الالفاظ اليونانية: «سقلاطون» (ص ١١ س ١) ثياب موشية
 - «قنطارية» (ص ٥٧ س ٢٠) الرمح - «زربول» (ص ١٠٩ س ٣)
 هذا.

(٥١) Autobiographie ص ١٥٦

(٥٢) ايضاً ص ١٢٩

(٥٣) اما درنورغ فحسبها علماً "Djaubān al-Khail"

في Autobiographie ص ١٠٥ س ١٠

كتاب الاعتبار

ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي
جهاد العلماء الابطال في حلّ ألغاز المخطوطة العربية وكشف
معيّاتها، واني مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الاصل وفهم
المراد

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنسية لـ « كتاب الاعتبار »
ظهرت ترجمة المانية بقلم شومان (٥٤) اعتمد فيها الكاتب على
الترجمة الافرنسية برغم تصريحه في مقدمة الكتاب انه ترجمه عن
الاصل العربي * وهذه بعض الشواهد على ذلك: درنبورغ اغفل
سهواً في ترجمته (٥٥) اسم خطيب اِبرجد الاول وهو «سراج
الدين» مع انه مثبت في طبعته العربية (ص ١٢٥ س ٥٥ قابل ادناه
ص ١٧٠ س ٢) وكذلك فعل شومان (ص ٢٢٩ س ٠ أقم درنبورغ
في مكانين من ترجمته (ص ٢٦ س ١٤ و ٣٧) كلمة «نصر» بعد
«ناصر الدين» وهي غير واردة في طبعته (ص ٢٠ س ٢ و ١٢٠
قابل ادناه ص ٢٦ س ١٥ و ص ٢٧ س ٦) وشومان (ص ٥٠ و ٥١)
اتبع اثره * في موضع آخر اشبهت كلمة «ثمان» (ادناه ص ١٠٥
س ٤) على درنبورغ (ص ٧٧ س ١٩) فحسبها «ثمن» وجعل غلة
(٥١) Georg Schumann, *Usāma Ibn Munkidh Memoricu* (ابن برك

(١٩٠٥

(٥٠) *Autobiographie* ص ١٦٥

مقدمة المحرّر

الطاحون مائة دينار "cent dinārs" (ص ١٠٤ س ١٩ و ٢٨) بدلا
من ثمان مائة دينار، وشومان اقضى اثره وترجم "hundert Denaren"
(ص ١٥٤ س ١٥ - ١٦ و ٢٤)

ولقد نشر كاتب هذه السطور في العام الفائت عن المخطوطة
المودوعة بالاسكوريال «كتاب الاعتبار» هذا مترجماً للإنكليزية
بعنوان *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades*
وهي المخطوطة التي نسلها
الآن للنشر. وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة أخرى
إنكليزية (٥٦) لا قيمة علمية لها ولا جديد فيها لأنها مبنية على
الترجمة الفرنسية السابقة

ولا بد في الختام من التنبيه الى انني كنت ارجب جدّ الرغبة
ان ابقى الاصل المخطوط على ما هو تماماً دون احداث اي تغيير
او ابدال، لولا ان ذلك الاصل على ما انتهى اليه المتأقلم خال من
النقط والحركات وعلامات الوقف والعناوين، كما يتضح من
نماذج الصور الفوتوغرافية المنشورة في هذا الكتاب. فشره على
اصله لا يفهمه قارى. لذلك رأيت ان ابوب الكتاب، واقسمه
فقرات، واجعل للابواب والفقرات عناوين كلها من قلم التحرير

G. R. Potter, *Autobiography of Ousama ibn-Mounkidh* (٥٦)

كتاب الاعتبار

سوى كلمته «فصل» في راس الباب الثاني ص ١٦٩ و «قصد الفرنج دمشق» عنوان قطعة ص ١١٤ وعلى كلِّ فاني لم احدث تغييراً ما الاشرتُ اليه في الحاشية مع اثبات الاصل . كل ذلك تقييداً بالسنة العلمية الحديثة المرعية في نشر المخطوطات، وعلاً بواجب الامانة التاريخية . وكلما كان ضمن قوسين مربعين [] في المتن هو ايضاً من قلم المحرّر . والاعداد ضمن القوسين تشير الى عدد الصفحات في المخطوطة الاصلية، وهي مرفوعة بالحرف و -وجه أوق - قفا

في مساء الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ (١٥ تشرين الثاني سنة ١١٨٨)، وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت القدس من يد الفرنج، توفي اُسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية)، ودفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل قاسيون الجبل الذي نعته ياقوت (٥٧) بانه «معظم مقدس» . ولقد دُرس قبره مع ما دُرس من الآثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على انفاقها الدور الحديثة (٥٨) ولكن المترجم

(٥٧) «معجم البلدان» ١٣: ٤

(٥٨) هذه خلاصة تقرير تكرم به الاستاذ المغربي احد اعضاء المجمع الملحق العربي بدمشق وكنت كلثمته امر التنقيب عن قبر اُسامة

مُس ش

مقدمة المعرّز

وهو مسلم، فتصدر اوامر والد اُسامة له في هذه الصيغة «اتبعهم
بمن معك، وارموا انفسكم عليهم، واستخلصوا رهائنكم» (ادناه
ص ١٠٣) • الكلمات الاخيرة «ارموا انفسكم» تقع من نفس
اُسامة موقعاً شديداً

وللدلالة على الرّابط النبوي الذي كان يربط الابن بابيه يكفي
الاستشهاد بعبارة اوردها اُسامة بعد أن أطلب بحسن خط والده:
«وما يقتضي الكتاب ذكر هذا، وانما ذكرته لاستدعي له [للوالد]
الرّحمة منّ وقف عليه» (ادناه ص ٥٣)

أما والده اُسامة فلنا ان نتحقّق المعدن التي جُبلت منه من
مراجعة حادثة اوردها اُسامة • ومفادها ان الاساعيلية مرّة هاجمت
شيزر والرجال متخلفون • فوزّعت اُمّ اُسامة السلاح وألبست
ابنتها الخفّ والازار واجلستها على روشن مشرف على الوادي
حتى اذا ما انتهى الأعداء اليها تدفعها وترميها الى الوادي فتراها
ميتة ولا اسيرة في أيدي «الفلاحين والحلاجين» (ادناه ص ١٢٥) •
حقاً ان والدته كبدته كانت من «المهات الرجال» (ادناه ص
١٢٦)

تلك هي البيئة التي نشأ فيها اُسامة وترعرع • فصلّب عوده
وهو مرز، وألف اقتحام المخاطر والمغامرات، وتربّى على مبادئ •

كتاب الاعتبار

الفرسية والشهامة • وذلك في عصر تلاحت فيه الحروب،
وتابعت الغزوات من الاقرنج والعرب - من مسيحيين ومسلمين،
وفي بلاد توفرت فيها الوحوش الضارية والحيوانات المفترمة •
حتى ان اُسامة ما كان يخرج للصيد في جوار شيزر الا وهو مسلح
مستعد للعدو المفاجيء (ادناه ص ٢٠٠) • ولم يشهد اُسامة القتال
في شيزر وحماه من مدن سورية الشمالية فقط، بل في عسقلان وبيت
جبريل من أعمال فلسطين، وفي شبه جزيرة سيناء ومصر، وفي
ديار بكر والموصل • فلاغرو ان اصبحت اسمه في التواريخ الاسلامية
مرادفاً للبطولة

الذهبي (١١) سَأَهُ «احد ابطال الاسلام» • ابن الاثير (١٢)
وصفه بانه « كان من الشجاعة في الغاية التي لا مزيد عليها» •
واُسامة نفسه أجمل اختباره الحرية بقوله في آخر أيامه «فكم
لقيتُ من الاهوال، وتعمَّمتُ المخاوف والأخطار، ولاقيتُ
الفرسان، وقتلتُ الأسود، وضربتُ بالسيوف، وطعنتُ بالرماح،
وجرحتُ بالسهام والجروح» (ادناه ص ١٦٣) - هتاف ليس
المقصود منه التأثير الخطابي فحسب، بل تبيان الحقائق
ومن خلال كل هذه الاختبارات تبيَّن لنا شخصية اُسامة فاذا

(١١) «دول الاسلام» (حيدر آباد ١٣٣٧) ٧١:٢

(١٢) «الدولة الأتابكية» في Recueil ج ٢ جز ٢٠ ص ٢٠٧

مقدمة المحرّر

بها شخصية مستسلمة تستقبل الافراح كما تودّع الاحزان، تواجه
الظفر كما تواجه الفشل، بروح الصبر والتسليم. النصر - باعتبار
اسامة - من الله (ادناه ص ١٤٧ س ١٩)، وكذلك الهزيمة. الموت
لا «يقدّمه ركوب الخطر، ولا يؤخره شدة العذر» (ادناه ص
١٦٣). «الله مقدّر الأقدار، وموقت الآجال والأعمار» (ادناه
ص ١٦٢). في العبارة الاخيرة متضمّن فلسفة الحياة بأسرها كما
فهمها اسامة

وفي مجمل معاملاته مع أصدقائه وأخصامه يُدهشنا هذا الرجل
بميله للنصفه والعدالة. هاكه مع رفيق في مكان مشرف على
ثمانية فرسان من الافرنج. الرفيق يشير باخذهم على حين غرة،
ولكنّ جواب اسامة: «ما هذا انصاف. بل نحمل عليهم انا وانت»
(ادناه ص ٥٨). والمبهج انه لا يلبث ان يتمّ مرد هذه الحادثة،
التي هزم فيها مع رفيقه ثمانية، حتى يشرع بسرد غيرها يهزمها
فيها «رويجل» (ادناه ص ٥٨). يروي قصة ممتعة تظهر الطب
الافرنجي سقيماً بالمعارضة مع الطب العربي (ادناه ص ١٣٢ -
١٣٣) - وهي من أبداع قصص الكتاب - ثم لا يلبث ان يردفها
بأخرى تظهر الوجهة الفضلى من طب المغرب (ادناه ص ١٣٣ -
١٣٤). يطنّب بوالده صياداً، ولكن سلامة ذوقه توحى اليه على

كتاب الاعتبار

الأثر «ما أدري كنت أراه بعين المحبة كما قال القائل: «وكل ما يفعل المحبوب محبوب، ما أدري أكان نظري فيه على التحقيق». وأنا ذا كرشاً من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه» (ادنائه ص ١٩٨)

قضى أسامة سنيناً غير قليلة في البلاط الفاطمي بمصر (سنة ١١٤٤ - ١١٥٤) وربما لم يكن لذلك العهد من دار عشتت فيها جرائم المكائد والمفاسد كما في تلك الدار: يد الوالد على الولد، والولد على الوالد، ويد الخليفة على الجميع. ابن الاثير (١٣) يدعي ان أسامة هو الذي أشار على عباس بن أبي الفتوح بقتل العادل وزير الظافر (ادنائه ص ١٨). ولكن مذكّرات أسامة لا تدلّ على أنّه لوّث يديه في حال من الأحوال. صلاح الدين الغرياني، ذلك الجلف التركي، يوسط من يشاء من رجاله. يأمر بقطعهم شطرين من الوسط - لسبب أو لغير سبب، وأسامة لا يتردد في التوسط بامرهم (ادنائه ص ١٥٦ - ١٥٧). عم أسامة يجلوّه عن مسقط رأسه، ثم يودي الزلزال بحياة ابن عمه وسائر آله في شيزر، فيرثهم أسامة الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب:

لم يترك الدهر لي من حقدتهم
قلبا أجشّه مبرأ وملوانا

(١٣) «كامل التواريخ» (أيسالا ١٨٥١) ١٢١:١١

مقدمة المحرّر

قلو راؤني لقَالُوا ماتَ أَمَدُنَا
وعاشَ للهِمَّ والاحزانِ أَفْئَانَا
لم يتركِ الموتُ مِنْ يَحْتَرِي
عَنهم فيُوضَحُ ما قالوه نِيَانَا
بادوا جميعاً وما خادوا قَواعِجاً
للخطبِ أهلكَ عَمَّاراً وعِرَانَا
هَذي قصورهم أَمست قُبُورهم
كَذاك كَانُوا بها مِنْ قَبْلِ سَكَّانَا

الى ان يقول:

بنو أبي وبنو عَمِّي دَمِي دَمهم
وَإِنْ أَرَوْنِي مَنَاقِبَ وَفَنَانَا (١٤)

احترام اُسامة لجنس النساء أمر يسترعي انتباهنا. فانا نراه
يضع تأليفاً موسوماً «أخبار النساء» ويكرّس في «كتاب الاعتبار»
(ادناه ص ١١٨ - ١٣١) حقولاً طويلةً للثأدة بأعمال البطولة التي
قام بها البعضُ منهم، وبينهن والدته. وفي قصته مع خادمته
العجوز التي أفرد لها بيتاً في داره وكان يناديها «يا أُمِّي» (ادناه
ص ١٨٦) نافذةً نبصُّ منها الشيء اللطيف ضمن أعماق قلبه. وما
ألطف ملاحظته بعد ان اقتدى أسيرة مسلمة مع غيرها من يد الافرنج
فهربوا قبل ان يدفع الثمن فالزمه الافرنجي القيمة كلها: «وهان
ذلك عليّ لمسرّتي بخلاص اولئك المساكين» (ادناه ص ٨٢)

(١٤) ابو حاتم: ١٠٦:١

ض

كتاب الاعتبار

حين لم يكن أسامة مهموكاً بقتال الأعداء من بني البشر كان يشتغل بقتال الحيوانات المفترسة التي كانت سورية الشمالية يومئذٍ تعجّ بهاء، أو يصطاد الغزلان والطيور والأرانب وحُمر الوحش بالبازي وبالباشق في شيزر ودمشق وفي الموصل والقاهرة. وترى زبدة اختباره مضمّنة في فصل في الصيد ختم به كتابه، فصل ربما لم يكن في اللغة العربية أنفس منه في موضوعه. أسامة يقول عن نفسه أنه شهد الصيد «سبعين سنة» (ادناه ص ٢٢٥)، وأنه حضر قتال الأسد في مواقف لا تُحصى وقتل عدّة منها لم يشاركه في قتلها أحد (ادناه ص ١٠٩ و ١٤٤)، وأن الخليفة الحافظ عناه في نؤاله الانكارى «وأي شيء شغل هذا الا القتال والصيد؟» (ادناه ص ١٩٤). لذته في درس الحيوان جعلته يكتشف أن «الأسد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان» (ادناه ص ١٠٦) ويحسب «أن الأسد اذا خرج من موضع لا بدّ له من الرجوع اليه» (١٥) (ادناه ص ١٠٦ و ١٠٩)، ويلاحظ «أن الأسد مثل مواء من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه» وفيه غفلة وبله، ما لم يُجرح. فاذا جرح فحيثن هو الاسد» (ادناه ص ١٠٩)، ويقول ان الثمر «دون سائر الحيوان يقفز الى فوق أربعين ذراعاً» (ادناه ص ١١٠). على ان

(١٥) لم أجِد في الكتب العلميّة ما يشبّه هذه النظريّة

مقدمة المحرّر

صاحبنا شارك جيله في بعض خرافاتهم: «ومن خواصّ النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فأرة مات، ولا ترتدّ الفأرة عن جريح النمر» (ادناه ص ١١١) * ولما عرض افرنجي في حيفا فهذا للبع ادرك اُسامة لأوّل نظرة من طول الوجه وزرقة العينين ان الحيوان نمر لا يفهد وبالتالي لا يصلح للشراء (ادناه ص ١١١) * ومن دقيق ملاحظاته ان الحبارى اذا اقرب منها الصقر «استقبلته بذنبها» فاذا دنا منها سلحت عليه بلّت ريشه وملأت عينه وطارت» (١٦) (ادناه ص ٢١٦)

نظر اُسامة للصيد كسب للهو ظاهر من البيت الذي استهل به فصل الصيد:

ولله مني جانبٌ لا أُنتِعهُ

وللهو مني والبطالة جانبٌ (ادناه ص ١٩٠)

ونزعته الاستقراطية تلوح من عدم تليته طلب نور الدين عندما سأله هذا ان يصلح الباز فرفض وأجاب - لما اظهر نور الدين عجبه كيف ان اُسامة يقضي عمره بالصيد ولا يحسن اصلاح الباز - «يامولاي، ما كنّا نصلحها نحن» كان لنا بازيارسة وغلما ن يصلحونها» (ادناه ص ١٩٧)

(١٦) قابل مراجعة كتاب C. H. Stockley, *Shikar* في
London Times Literary Supplement عدد ١ تشرين الثاني سنة ١٩٢٨

كتاب الاعتبار

تهذيب أئمة المدرسي تناول دراسة النحو عشر سنين عند قدمي أبي عبد الله الطليطلي «سيويه زمانه» الذي كان قد تولّى دار العلم بطرابلس (ادناه ص ٢٠٧) • ولا شك أن سياق دروسه تناول فضلاً عن النحو الخطّ والشعر والقرآن - وهي فروع التهذيب في ذلك العصر • فتهذب أئمة بموجب النظام الذي كان يتّصف به أشرف العرب في زمانه • ونشأ راوية كاتباً، وأدياً شاعراً

بهذه الصفة الأخيرة - صفة الشاعرية - عرفه معظم الذين ترجموا له • فالذهبي (١٧) يذكر عن لسان أئمة أنه قال أنه كان يحفظ أكثر من عشرين ألف بيت من الشعر الجاهلي - والراجح أنه لم يتّصل بحيل أئمة هذا المقدار من الآيات • عماد الدين الكاتب الاصفهاني الذي اجتمع بأئمة في دمشق يقول في «خريدة القصر وجريدة العصر» (١٨) «أئمة كاسمه، في قوة ثره ونظمه... ••••• حلوا المجالسة، حالي المساجلة، نديّ الندى بماء الفكاهة، عالي التجم في سما التباهة» • ابن عساكر، تلميذ أئمة، ذكر في «التاريخ الكبير» (١٩) بأن لأئمة «يداً يفضاه في الأدب والكتابة

(١٧) ملحق بـ *Vie d'Ousdama*, Derenbourg, (باريز ١٨٨٥) ص ٩٥

(١٨) (باريز ١٨٨٧) ص ١٢٢

(١٩) (دمشق ١٣٣٠) ٤٠٠:٢ - ٤٠١

مقدمة المحرّر

والشعر» واقتبس عن لسان احدهم قوله ان اُسامة «شاعر اهل
الدهر، مالك عنان النظم والنثر» وان مقطعاته «أحلى من الشهد
والذّ من التّوم بعد طول السهر» * يا قوت في «معجم البلدان»
(٢٠) اقتبس من اشعار اُسامة * أبو شامة (٢١) يفيد ان صلاح
الدين الايوبي كان «عنده ديوان الامير مؤيد الدولة اُسامة...
وهو به مشغوف، وخاطره على تأمله موقوف، والى استحسانه
مصروف» * ومالّح بن يحيى (٢٢) يفاخر باقتنائه ديوان شعر
«عزّ الدين» (كذا) اُسامة بن منقذ بخطه
وهالك أبيات تدلّ على قوة الإبداع في اُسامة الشاعر قالها في
ضرس له قلعه:

وصاحب لا أمل الدهر مُجته

يثقى لنفسي ويسعى معي مجتهد

لَمْ ألقه منذ صاحبا قعين بدا

لناظري افرقنا فرقة الأبد (٢٣)

وغيرها كتبها على حائط مسجد في حلب وكان قد زار المسجد
قبلاً في طريقه الى الحج:

(٢٠) ٤١٧:٢

(٢١) ٢٤٧:١

(٢٢) «تاريخ بيروت» (بيروت ١٩٠٢) ٣٥ - ٣٦

(٢٣) الذهبي ملحق *Vie d'Ousama* ص ٥٩٦. قابل ابن عساكر ٤٠٧:٢.

ابن خلكان ١١٢:١، أبو شامة ٢٦٤:١، عماد الدين الكاتب ١٢٣

كتاب الاعتبار

لك الحمد يا مولاي كم لك منة
عليّ وفضل لا يحيط بها شكري
نزلت بهذا المسجد العام قافلاً
من الغزو موفور النصيب من الأجر
ومنه رحلت العيس في عامي الذي
مضى نحو بيت الله والركن والحجر
فأدبت مفروضاً وأمطت قلماً
تحمّلت من وزير الميمنة عن ظهري (٢٤)
وأخرى تُعرب عن حنينه لوطنه الشامي وعن توق نفسه للرجوع
إلى أهله وقد كتبها على حائط دار سكنها بالموصل:
دار سكنت بها كرهاً وما سكنت
روحي إلى شجنٍ فيها ولا سكن
والقبر أسترُ لسي منها وأجملُ بي
إن مدني الدر عن عودي إلى وطني (٢٥)
واليك ما كتب في مطلع كتاب إلى بعض أهله:
شكا ألم الفراق الناس قبلي
ورؤّع بالنوى حيّ وميت
وأما مثل ما ضمت فلو عي
فاني ما سعت وما رأيت (٢٦)
شغف إمامة بالكُتُب يتّضح من ملاحظة أ بداها عند ما عادت
أمرته من مصر ف وقعت في أيدي الاقربج وخسر الكثير من المال،
(٢٤) ابن الأثير «الدولة الاتاكية» في *Recueil* ج ٢ جز ٢٠ ص ٢٠٨
(٢٥) ابن عساكر ٤: ١٠٤
(٢٦) ابن خلكان ١: ١١١

مقدمة البحر

فلم يأسف عليه أسفه على ما فقد من الكتب وعددها أربعة آلاف
مجلد من الكتب الفاخرة «فان ذهابها [على ما قال] حزا في
قلبي ما عشت» (ادناه ص ٣٥)

أتقن أسامة الفن القصصي وأبدع في إيراد نكتة كل الإبداع.
فلو انه عاش اليوم لتأهل لمرکز استاذ في إحدى مدارس الصحافة
التي تلقن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الماكرات وسرد
الحوادث. خذ مثلاً الكيفية التي روى فيها قصة الطبيب الأفرنجي
بإزاء الطبيب العربي (ادناه ص ١٣٢ - ١٣٣)، أو قصة جزاء
الامانة (ادناه ص ١٧٨ - ١٨٠)، فان الفن الحديث يكاد يعجز عن
التحسين عليها

لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اسماؤها.
وضع معظمها في أخريات حياته وهو مبعد في حصن كيفا حيث
انفسح له المجال للدرس والتأليف. ولقد ذكر بعضها حاجي خلفه
في «كشف الظنون» ١٠ - «كتاب البديع في البديع» ٢٠ -
«تاريخ القلاع والحصون» ٣٠ - «أزهار الانهار» ٤٠ - «التاريخ
البلدي» ٥٠ - «نصيحة الرؤعاة» ٦٠ - «التجائر الربحة

كتاب الاعتبار

والمساعي المنجحة» (٢٧) ٧٠ - «كتاب العصا» (٢٨) ٨٠ -
 «أخبار النساء» ٩٠ - «ديوان أسامة» ١٠٠ - «كتاب التوأم
 والاحلام» (ادنائه ص ١٨٦) ١١٠ - «كتاب المنازل والأديار»
 (٢٩) ١٢٠ - «كتاب لُباب الآداب» (٣٠) ١٣٠ - «كتاب
 الاعتبار» وهو الذي نحن الآن بصدد

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاه صلاح الدين الايوبي من
 حصن كَيْفَاوَأَسْكَنه داراً بدمشق وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب
 مُرْهَف الذي كان من المقرئين لدى السلطان (٣١) ٠ وأرجع
 (٢٧) راجع وصف در نورغ لهذه المخطوطات في Vie d'Ousama ٣٣٠ -

٣٣٨

(٢٨) نشر در نورغ منتخبات منه ومن «ديوان أسامة» بعنوان Anthologie de textes Arabes inédits par Ousama et sur Ousama (باريز ١٨٩٣)

(٢٩) مخطوطة في المتحف الاسيري في لبنفراد ذكرها الامتاذ المخطوطس
 كراتشوفسكي في «مجلة المجمع العلمي» العربي، تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥
 (٣٠) مخطوطة كتب لسي عنها مالكها الدكتور يعقوب معروف قبل وفاته وعليها
 بخط ابن أسامة مُرْهَف ان والده اهداها اليه عام ٥٨٧ - راجع «المقتطف»
 كانون الاول سنة ١٩٠٧ ونيسان سنة ١٩٠٨ - وربما كانت بخط المؤلف نفسه.
 وفي رسالة خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس انه رأى وهو يقونية نسخه
 من «كتاب الفريبيين» في آخره ما صورته: «وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث
 وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسةائة [١١٦٠] بمدينة حمص»
 كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي - بن مقلد بن نصر بن منقذ الكنانى المالكي»

(٣١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة، ابن اخي أسامة، أولاده صلاح
 الدين عام ١١٩٠ الى بلاط الموحدين بمرآكش للمخابرة بشأن استخدام اسطولهم
 لقطع سبيل الاتصال البحري بين الافرنج وبين بلادهم. وكان لأسامة عم
 مقرب من الخليفة الفاطمي بمصر (انظر ادنايه ص ٢٠٨)

مقدمة البحر

له صلاح الدين اقطاعاً كان في الأصل على ما يظهر مُلك اُمامة، فعاد خمر الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خالداً، وتتعمق صديقنا بشي من الرفاء والهناء قليل وفاته. فأخذ يلقي المحاضرات في البديع، ويدرس في المدرسة الحنفية بدمشق. ولكن لاسباب نجهلها انقلب عليه ظهيره صلاح الدين، وربما كانت اقامة اُمامة في مصر ولدت فيه ميلا للتشيع لحظه صلاح الدين (٣٢) «محيي دولة أمير المؤمنين» (ادناه ص ١٦٤) و«سنة الخلفاء الراشدين» (ادناه ص ١٦٥). ولا نعلم كم طال هذا الجفاء. على ان صالح بن يحيى (٣٣) ذكر ان صلاح الدين ولّى على بيروت «عز الدين اُمامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظمين عند السلطان حتى لم يكن يقدم عليه احداً في المشورة والرأي». وعاد فروى (ص ٣٨) ان عز الدين اُمامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الاقرنج على صيدا، خرج من المدينة بجماعته واهله. ويظهر من هذا ومن ابن الاثير (٣٤) انه كان يومئذ ببيروت حاكم يُعرف بأُمامة ولكنه

(٣٢) الذمبي ملحق *Vie d'Ousama* ص ٦٠٢

(٣٣) «أربع بيروت» ٣٥ - ٣٦

(٣٤) في *Recueil* ج ٢ جز ١ ص ٨٥

كتاب الاعتبار

هو غير ابن منقذ . فالأفرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧ء وابن منقذ
توفي عام ١١٨٨ (٣٥)

بعد ان توقل اُسامة ذروة التسعين (ادناه ص ١٦٠) وهو في
دمشق تقياً في ظلال نعمة مولاه صلاح الدين، أخذ يطل من
ذاك العلو الشاهق على سابق اختاراته، ويدونها - أو يلقنها -
بانشاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل (٣٦) - تلك هي
المذكرات الخالدة الموسومة « كتاب الاعتبار » . أملاها اُسامة
وهو يردد:

اذا كنتُ فخطي جدٌ مضطرب
كخطٍ مرتعش الكفين مرتد
فاجبٍ لضغبي يدي عن حملها قلباً
من بعد حطم القنا في لبّة الأسد
وإن مشيتُ وفي كفتي العصا ثقلت
رجلي كآثني أخوض الوحل في الجكد (٣٧)

ولسان حاله:

(٣٥) لم ينتبه لهذا الخط بين الأمامتين الاب شيخو مرمر صالح بن يحيى فانه في
حاشية ٢ ص ٣٥ جل الاثنين واحدا
(٣٦) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف اُسامة لشيخوخته ولطف صلاح الدين
عليه . ادناه ص ١٦٠ - ١٦٦
(٣٧) ادناه ص ١٦٣ - ١٦٤

مقدمة المحرّر

قد كنتُ معرّ حرب كلّما خدمتُ
أذكّئها باقنداح البيض في القلّ

أما الآن:

فصرتُ كالغادة المكالم مضجّعها
على الحشايا وراء الشجف والكلل
قد كنتُ أغنّ من طول التواء كما
يصدّيّ الهند طول اللبّ في الخل
أروح بعد دروع الحرب في حلّ
من الدّيقى فبؤا لي وللحلّ (٣٨)

بين كتب الأدب العربي سيرٌ عددها غير قليل . منها ما كُتب
في عصر اُسامة بالذات: كسيرة صلاح الدين الموسومة «الفتح
القسى في الفتح القدسي» بقلم عماد الدين الكاتب الاصفهاني،
وأختها الموسومة «النوادر السلطانية» بقلم القاضي بهاء الدين،
وكسرتي نور الدين وصلاح الدين المعنوتين «كتاب الروضتين
في اخبار الدّولتين» تأليف ابي ثامة . ولكنّها كلها تتضاءل أمام
سيرة اُسامة بقلم نفسه . «كتاب الاعتبار» هو اول سيرة في الآداب
العربية . على ما نعلم . المترجم والمترجم له فيها واحد

رمى المؤلف من وراء كتابه الى تعليم امثولة أدبية، لذلك
سمّاه «كتاب الاعتبار» . وأورد موادَّ يُرجى منها ان يُعتبر

(٣٨) ادناه ص ١٦١

كتاب الاعتبار

القارىء بما حلّ بغيره وان يستفيد لنفسه (ادناه ص ١٦٢) • أمّا العظة التي اراد ان ينقشها على ذهن القارىء بحيث لا تُنسى فهي «ان ركوب أخطار الحروب لا يُنقص أجل المكتوب • فإني رأيت ••• معتبراً يوضح للشجاع العاقل، والعبان الباهل، ان العمر موقتٌ مقدّر، لا يتقدّم اجله ولا يتأخّر» (ادناه ص ١٦٢)، وان «الله مقدّر الأقدار، وموقت الآجال والاعمار» (ادناه ص ١٦٢)، وانه يجب ان لا «يظنّ ظانّ ان الموت يقدمه ركوب الخطر، ولا يؤخّره شدة الحذر» (ادناه ص ١٦٣)، وان «النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى، لا بترتيب وتدبير، ولا بكثرة نفير ولا نصير» (ادناه ص ١٤٧)

ولا ثبات قضيته أتى المؤلف بالقصة تلو القصة • الشباب والمشاركة، وأحياناً التناقض والمخالفة، كان السّلك الذي قاده من رواية الى رواية • ولكن الكثير من المادّة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصّة به • هنا وهناك يشعر القارىء ان الراوي قد رشّ شيئاً من «البهار» على القصة لتحسينها، أو مطّ الواقِع قليلاً في الحادث لا شباع داعي الغرضيّة • أخبار كرامات الأولياء ومناقبهم (الباب الثاني ص ١٦٩ - ١٨٧) كلها اذرددها اسامة، ولم يتسامّ فوق المستوى الذي عاش فيه جيله • كذلك

مقدمة المحرّر

الدمشقي الشهير ابن خلكان زار تربة أئمة بُعيد وفاته حيث قال
«ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأت عنده
شيئاً من القرآن وترجّمت عليه» (٥٩)

(٥٩) «تاريخ» ١١٢:١ جيّن دليل الثلاثة لوفاة أئمة وهو مساء الاثنين . كذلك
جيّن يوم الأحد ٢٧ جمادى الآخر سنة ٤٨٨ لولادته، ولكن هذا التاريخ يقع
الأربعاء ٠ اطرادناه من ١٢٤ ح ٧٠

الباب الاول حروب واسفار

الباب الاول

حروب واسفار

١ - قتال الافرنج (١)

معركة قنسرين (٢)

(٣) ١٠٠٠ [و] ولم يكن (٤) القتل في ذلك المصاف في المسلمين كثيرًا. وكان وصل من الامام الراشد بن المسترشد (٥)، رحمهما الله، ابن بيشر (٦) رسولاً الى اتايك (٧) يستدعيه. فحضر ذلك المصاف، وعليه جوشن مذهب، فطعنه فارس من الافرنج، يقال له ابن الدقيق (٨)، في

(١) ابواب الكتاب والناوين كثرها من قلم السمر، ما عدا «قصد الفرنج دمشق» عنوان قطعة من ١١٤ وكلية «صل» في رأس الباب الثاني من ١٦٩ فانها اصلية
(٢) بلدة في شالي مورية. ولقد حفظ لنا الذهبي «تاريخ الاملاء» (المحق دربورغ Vie d' Ousama ياريز ١٨٨٩) من ٦٠١ - ٦٠٢ اشارة الى هذه المعركة بقلم أسامة تدل على ان أسامة شهدها بنفسه

(٣) المخطوط مفروم من اوله. وعدد الاوراق الناقصة ٣٩
(٤) «علم بكر» في «كتاب الاعتبار» لابن منقذ طبعة مروتوب دربورغ (لين ١٨٨٤) من ٢. ومنشور اليها فيما بعد بقولنا طبعة دربورغ. «ولم يكثر» في Critica Arabica بقلم Carlo de Landberg (لين ١٨٨٨) نسخة ٢ من ١٥

(٥) الخليفة العباسي ٧ ايلول سنة ١١٣٥ - ٨ آب سنة ١١٣٦
(٦) ابو بكر بيشر بن كريم بن بيشر. ذكره ابن الاثير «الكامل» طبعة طربورغ (لين ١٨٥٦ - ٧٤) ج ١ ص ٤٠٥
(٧) لقب تركي فارسي معناه «والد الامير». والاشارة الى عماد الدين زنكي اتايك الموصى ١١٢٧ - ١١٤٧

(٨) لمثلها تحريف Benedictus وكانت تلفظ بالافرنجية في ذلك العهد
"Benedeit"

صدرة اخرج الرمح من ظهره، رحمه الله. بل قُتل من الافرنج خلق
كثير
وامر اتابك، رحمه الله، فجُمعت رؤوسهم في حقل مقابل الحصن،
فكانت قدر ثلاثة الاف رأس

الروم والافرنج يحاصرون شيزر

ثم اد ملك الروم (٩) عاد خرج الى البلاد فسي سنة اثنتين وثلاثين
وخمس مئة (١٠)، واتفق هو والافرنج، خذلهم الله، واجمعوا على قصد
شيزر ومنازلتها. فقال لي صلاح الدين «ما ترى (١١) ما فعله هذا الولد
المُشكَل؟» يعني ابنه شهاب الدين احمد. قلت «واي شيء فعل؟» قال
«انفذ اليّ يقول «ابصر من بولتي بلدك». قلت «واي شيء عملت؟»
قال «نفذت اليّ اتابك اقول «تسلم موضعك». قلت «بئس ما فعلت!
أما يقول لك اتابك «لما كانت لحمًا اكلها، ولما صارت عظمًا (١٢)
رماها علي؟» قال «فأي شيء اعمل؟» قلت «انا اجلس فيها» فان سلم
الله تعالى كان بسعادتك، ويكون وجهك ابيض عند صاحبك. وان أخذ
الموضع وقُتلنا كان بأجلنا، وانت معذوره. قال «ما قال لي هذا القول
احد غيرك»

وتوهمت انه يفعل ذلك. فحفلت الغنم والدقيق الكثير والسمن وما
يحتاجه المحاصر. فانا في داربي المغرب ورسوله جاءني قال «يقول
لك صلاح الدين نحن بعد غد سائرون الى الموصل فاعمل شغلك
للمسير». فورد على قلبي من هذا هم عظيم وقلت «اترك اولادي واحوتي
واهلي في الحصار واسير الى الموصل؟» فاصبحت ركبت اليه وهو في (١٣)

(٩) جان كومنينوس Comnenus (١١١٨ - ١١٤٣)

(١٠) ١٩ ايلول سنة ١١٣٧ - ١٨ ايلول سنة ١١٣٨

(١١) غير واضحة في الاصل

(١٢) «لحم عظم» في الاصل

(١٣) غير واضحة في الاصل

الخيام استأذنته في الرواح الى شيزر لأحضر لي نفقة ومالاً نحتاج اليه في الطريق (١٤) - فأذن وقال (١٥) «لا تبطل» - فركبت ومضيت الى شيزر - فبدأ منه ما (١٦) اوحش قلبي، وعرك ابني، فنازل، فنقذ السي داري، فرفع كل ما فيها من الخيام والسلاح والرحل وقبض على امر احبتي (١٧) وتتبع اصحابي - فكانت نكبة كبيرة راحة

(١٤) «لا حصر لي منه فقال حاج اليه في الطرف» طعة در سورج ص ٢

(١٥) هذه الكلمة والتي فلها لا يمكن قراءتها في الاصل

(١٦) هذه الكلمة وما بليها غير مرقرة في الاصل

(١٧) فرأته هذه الكلمة وما بليها غير اكدت

٢ - أسامة في دمشق

١١٢٨ - ١١٤٤ م

فاقتضت الحال مسيري الى دمشق، ورمل اناياك تتردد في طلبي الى صاحب دمشق. فاقمت فيها ثمانين (١) سنين، وشهدت فيها عدة حروب، واجزل لسي صاحبها، رحمه الله، العطية والاقطاع، وميزني بالتقريب والاكرام - يضاف ذلك الى اشتغال الامير معين الدين (٢)، رحمه الله عليّ، وملازمي [١ ق] له، ورعايته لاسلامي

ثم جرت اسباب اوجبت مسيري الى مصر. فضاع من حوائج داري وسلاحي ما لم اقدر على حمله. وفرطت في املاكي ما كان نكبة اخرى. كل ذلك والامير معين الدين، رحمه الله، محسن مجمل كبير التأسف على مفارقتي مقرّ بالصجز عن امري، حتى انه انفذ اليّ كاتبه الحاجب محمود المسترشدي، رحمه الله، قال هو الله لو ان معي نصف الناس لضربت بهم النصف الآخر، ولو ان معي ثلثهم لضربت بهم الثلثين، وما فارقك. لكن الناس كلهم قد تمالوا (٣) عليّ وما لسي بهم طاقة. وحيث كنت فالذي بيننا (٤) من المودة على احسن حاله. ففي ذلك اقول:

(١) في سنة ٥٣٢ هـ. لسا حاصر جان كومنينوس فيزركان أسامة لم يزل فيها.

وفي سنة ٥٣٩ هـ نجده في مصر. فاقامته في دمشق اذن لم ترد مدتها عن سبع سنين

(٢) معص الدين أشر، وزير شهاب الدين محمود، وظهر أسامة. توفي ٣ آب سنة ١١٤٩

(٣) كذا في الاصل. وهي من مالا

(٤) «نشأ» طبعة دربورغ ص ٤

أسامة في دمشق

مُعِينَ الدَمَنِ كَمْ لَكَ طَوْقُ مَنْزِلٍ
يُعِينُنِي لَكَ الْإِحْسَانُ طَوْعاً
فَهَبَارَ السِّمِّ مَوَدَّتِكَ أَشَابِي
السَّمَّ تَعْلَمُ بِأَنِّي لَا تَمْنَانِي
وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ يُعْجِبْ هِمَامِي
وَلَكِنْ خَفْتُ مِنْ نَارِ الْأَعْدَانِي
بِعِينِي مِثْلَ الْخَوَاقِ الْحَمَامِ
وَنَسِي الْإِحْسَانَ رَقِيٍّ لِلْكَرَامِ
وَأَنْ كُنْتُ الْعِظَامِيَّ الْعِمَامِيَّ
الْبَيْتَ رَمَى سَوَادِي كُلَّهُ رَامِ
لِيَقْسِرَ دُونَ إِعْتِنَائِي الْعَامِ
عَلَيْكَ فَكُنْتُ إِنْ طَفَاءَ الضَّرَامِ

٢ - أسامة في مصر

١١٤٤ - ١١٥٤ م

ثورة في الجيش المصري

فكان وصولي الى مصر يوم الخميس الثاني من جمادى الآخرة سنة تسع وثلاثين وخمس مائة (١) . فافترني الحافظ لدين الله (٢) ساعة وصولي . فخلق عليّ بين يديه، ودفع لي تحت ثياب ومائة دينار، وخولني (٣) دحول الحمام، واتزلني في دار من دور الأفضل بن امير الجيوش (٤) في غاية الحسن وفيها بسطها وفرشها ومرتبة كبيرة وألتها من النحاس - كل ذلك لا يستعاد منه شيء . واقمت بها مدة (٥) اقامة في إكرام وإحترام ولم تعام متواصل وإقطاع زاج

فوقع بين السودان، وهم في خلق عظيم، شرّ وخُلف: بين الريحانية، وهم عبيد الحافظ، وبين الجبوشية (٦) والاسكندرانية والفرحية . فكان الريحانية في جانب، وهاولاء كلهم في جانب، متفقين على الريحانية وانضاف الى الجبوشية قوم من صبيان الخاص (٧) . فاجتمع من الفريقين خلق عظيم . وغاب (٨) عنهم الحافظ، وتردّت اليهم رسله، وحرص

(١) ٣٠ سمرين الثاني منه ١١٤٤

(٢) الخليفة الفاطمي . توفي تشرين الأول سنة ١١٤٩

(٣) شر واضحة في الاصل

(٤) «امير الجيوش» لقب الوزير بدر الجمالي وهو ارمني الاصل

(٥) ١١٤٤ - ٥٤ م

(٦) نوبة لبدر الجمالي . «صبح الاعشى» للقلقشندي (مصر ١٩١٦ - ٢٥) ج ٣

ص ٤٨٢

(٧) الحرس الفاطمي وعدده ٥٠٠ القلقشندي ٤٨١:٣

(٨) «وغلّب» طبعه درنبرغ ص ٤

على ان يصلح بينهم • فما اجابوا الى ذلك، وهم معه في جانب البلد • فاصبحوا التقوا في القاهرة فاستظهرت الجوشية واصحابها على الريحانية فقتلت منهم في سوية [٢ و] امير الجيوش الف رجل حتى سدوا السوية • ونحن نبيت ونصبح بالسلح خوفاً من ميلهم علينا، فقد كانوا فعلوا ذلك قبل طلوعي الى مصر
وظن الناس لما قتل الريحانية ان الحافظ ينكر ذلك ويوقع بقاتلهم، وكان مريضاً على شئ • فمات، رحمه الله، بعد يومين، وما انتطح فيها بجزان

خروج ابن السلار على الظافر

وجلس بعده الظافر بامر الله، وهو اصغر اولاده • واستوزر نجم الدين بن مصال، وكان شيخاً كبيراً • والامير سيف الدين ابو الحسن علي بن السلار (٩)، رحمه الله، اذذاك في ولايته • فحشد وجمع وسار الى القاهرة، ونفذ الى داره • فجمع الظافر بامر الله الامراء في مجلس الوزارة، ونفذ اليها زمام القصور (١٠) يقول «يا امرأ هذا نجم الدين وزيري وناثي • فمن كان يطيعني فليطعه ويمثل امره» فقال الامراء «نحن ممالك مولانا مامعون مطعون» فرجع الزمام بهذا الجواب فقال امير من الامراء شيخ يقال له لكرون «يا امرأ تترك علي بن السلار يقتل؟» قالوا «لا والله» قال «فقوموا» فنفروا كلهم وخرجوا من القصر شدوا على خيلهم وبغالهم وخرجوا الى معونة سيف الدين بن السلار • فلما راى الظافر ذلك وغلب عن دفعه اعطى نجم الدين بن مصال مالا كبيراً وقال «اخرج الى الحوف (١١)، اجمع واحشد وانفق فيهم، وادفع ابن السلار» فخرج لذلك

(٩) «السلار» في «السيكلوبيدية الاسلامية» مادة «العدل» • ولايته الاسكندرية وبخيرة

(١٠) الفقهندي ٤٨٥:٣

(١١) مقاطعة في شرقي الدلتا

ودخل ابن السّار القاهرة، ودخل دار الوزارة • واتّفق الجند على طاعته، واحسن اليهم • وامرني ان ابيت انا واصحابي في داره، وافرد لي موضعاً في الدار اكون فيه • وابن مصل في الحوف قد جمع من لوائته (١٢) ومن جند مصر ومن السودان والعربان خلقاً كثيراً • وقد خرج عبّاس ركن الدين، وهو ابن امرأة علي بن السّار، ضرب خيسمه في ظاهر مصر • فندت سرية من لوائته، ومعهم نسيب لابن مصل، وقصدوا مخيم عبّاس • فانهزم عنه جماعة من المصريين، ووقف هو وغلمانه ومن مبر معه من الجند ليلة مخايتهم

وبلغ الخبر الى ابن السّار فاستدعاني في الليل، وانا معه في الدار، وقال «هاولاء الكلاب (يعني جند مصر) قد غفلوا الامير (يعني عبّاساً) بالفوارغ، حتى عدا اليه قوم من لوائته سباحة، فانهزموا عنه ودخل بعضهم الى بيوتهم بالعاهرة، والامير موافقهم» • قلت «يامولاي، نركب اليهم في سحر • وما يضحى النهار الا وقد فرغنا منهم، ان شاء الله تعالى» • قال «صواب» • ايكّر في ركوبك • فخرجنا اليهم من بكرة، فلم يسلم منهم الا من سبحت به فرسه في النيل • واخذ نسيب ابن مصل ضرب رقبة

هزيمة ابن مصل

[٢ ق] وجمع العسكر مع عبّاس وسيّره الى ابن مصل • فلقه على دلاص (١٣)، فكسّروهم وقتل ابن مصل وقتل من السودان وغيرهم سبعة عشر الف رجل • وحملوا رأس ابن مصل الى القاهرة • ولم يبق ل سيف الدين من تسانده ولا تناقحه

وخلع عليه (١٤) الظافر خلع الوزارة ولقّبهُ الملك العادل، وتولّى الامور

(١٢) قبيلة بربرية في الرقبة الشمالية

(١٣) اسم لبلدة ومقاطعة في الصعيد • «معجم البلدان» لياقوت طبعة فستلند

(البيزغ ١٨٦٦ - ٧٣) ج ٢ ص ٨١

(١٤) على ابن السّار

الخليفة بكيد لوزيره الجديد

كلّ ذلك والظافر منحرف عنه، كاره له، مضر له الشرّ. فعبد على قتله وقرّر مع جماعه من صبيان الخاصّ وغيرهم ممن استمالهم وافق فيهم ان يهجموا داره ويقتلوه. وكان شهر رمضان (١٥)، والقوم قد اجتمعوا في دار بالقرب من دار الملك العادل ينتظرون توشط الليل وافتراق اصحاب العادل. وانا تلك الليلة عنده

فلما فرغ الناس من العشاء وافترقوا، وقد بلغه الخبر من بعض المعاملين (١٦) عليه، احضر رجلين من غلمانهم وامرهم ان يهجموا عليهم الدار التي هم فيها مجتمعون. وكانت الدار، لما اراده الله من ملامة بعضهم، لها بابان: الواحد قريب من دار العادل، والاخر بعيد. فهجمت الفرقة الواحدة من الباب القريب، قبل وصول اصحابهم الى الباب الاخر، فانهمزوا وخرجوا من ذلك الباب. وجاءني منهم في الليل من صبيان الخاصّ نحو عشرة رجال (١٧)، كانوا اصدقاء غلمانسي نخبهمهم. واصبح البلد فيه الطلب لاولئك المنهزمين، ومن ظفّر بهم منهم قتل

أسامة يخلص زنجياً

وعجيب ما رأيت في ذلك اليوم ان رجلاً من السودان الذين كانوا في العملة انهزم السى علو داري، والرجال بالسيف خلفه، فاشرف على القاعة من ارتفاع عظيم. وفي الدار شجرة نبت كبيرة. فقفز من السطح الى تلك الشجرة، فثبت عليها. ثم نزل ودخل من كمّ مجلس قريب منه فوطىء على منارة نحاس، فكسرها، ودخل الى خلف رحل في المجلس اختبى (١٨) فيه

واشرف اولئك الذين كانوا خلفه. فصحت عليهم واطلعت اليهم

(١٥) كانون الثاني سنة ١١٥٠

(١٦) «العاقلين» طبعة دنيورغ ص ٦

(١٧) «رحاله» في الاصل

(١٨) كذا في الاصل

الغلمان، دصومهم. ودخلت الى ذلك الاسود. فزرع كساء كان عليه وقال «خذ له». قلت «أكثر الله خيرك». ما احتاجه». واخرجه وسيرت معه قوماً من غلماني، فنجا

مزور التوقيع يُضرب رقبة

وجلس في مئة في دهليز داري. فدخل عليّ شابٌ ملثمٌ وجلس. رأيته حسن الحديث حسن المحاضرة. هو يتحدث وإنسان استدعاء فصلى معه ونفذت خلفه غلاماً يصبر لماذا استدعي. وكنت بالقرب من دار العادل. فساء ما حضر ذلك الشاب بين يدي العادل امر يضرب رقبته. فقتل. وعاد الغلام، وقد استخبر عن ذنبه، ف قيل له «كان يزور التوقيع». فسبحان مقدّر الاعمار وموقت الاجال وقتل في الفتنة جماعة من المصريين والسودان

أمامة بمهمة حربية لدى نور الدين

[٣ و] وتقدّم اليّ الملك العادل، رحمه الله، بالتّجهز للمسير الى الملك العادل نور الدين (١٩)، رحمه الله، وقال «تأخذ معك مالا وتمضي اليه ليبازل طبرية، ويتغل الفرنج عنّا، لنخرج من هاهنا نخرب غزّة». وكان الافرنج، حذّ لهم الله، قد شرعوا في عمارة غزّة (٢٠) ليحاصروا عسقلان. قلت «بامولاي، فان اعتذر او كان له من الاغفال ما يعوقه، ايّ شي تأمرني؟» قال «ان نزل على طبرية، فاعطه المال الذي معك. وان كان له مانع، فدّيون من قدرت عليه من الحند واطلع الى عسقلان اقم بها في قتال الافرنج، واكتب اليّ بوصولك لا تترك بما تعمل» ودفع السيّ ستة آلاف (٢١) دينار مصرية، وحمل جمل ثياب

(١٩) اس اناك ركي وخلفه سنة ١١٤٦

(٢٠) بالمون الثالث Baldwin ملك اورشليم شرع مسارة غزّة عام ١١٤٩ أو

١١٥٠

(٢١) «الع» في الاصل

ديقي (٢٢) ومقلاطون (٢٣) ومنسجب (٢٤) وديباطي (٢٥) وعائم •
ورثب معي قوماً من العرب ادلاء •
وسرت وقد ازاح (٢٦) علة مغري بكل ما احتاجه من كثير وقليل •
فلما دنونا من الجفر (٢٧) قال لي الادلاء «هذا مكان لا يكاد يخلو من
الافرنج» • فامرت اثنين من الادلاء ركبا مهربين وسارا قد امنا الى
الجفر • فما لبثا ان عادا والمهاري (٢٨) تطير بهما، وقال «الفرنج
على الجفر!» فوقفت وجمعت الجمال التي عليها ثقلني ورفاقاً من السفارة
كانوا معي، وردهتهم الى الغرب • وندبت ستة فوارس من مماليكلي وقلت
«تقدموا» وانا في اثركم • فساروا يركضون وانا اسير خلفهم • فعاد الي
واحد منهم وقال «ما على الجفر احد • ولعلهم ابصروا عرباناً» (٢٩) •
وتنازع هو والادلاء • فنقذت من رد الجمال، وسرت
فلما وصلت الجفر، وفيه مياه وعشب وشجر، فقام من ذلك العشب رجل
عليه ثوب اسود، فاخذناه • وتفرق اصحابي فاخذوا رجلاً اخر وامراتين
وصيانات (٣٠) • فجات امرأة منهن مسكت نوبي وقالت «يا شيخ، انا فسي
حبك» • قلت «انت آمنة» ما لك؟ قالت «قد اخذ اصحابك لسي ثوباً
وناھقاً وناجحاً وحرزة» • قلت لغلماني «من كان اخذ شيئاً يرد» •
(٢٢) دبيق واسمها اليوم دبيع بلدة في مقاطعة دمياط من الدلتا اشتهرت ببجودة
افضلها

(٢٣) كلمة يونانية تطلق على ثياب كتان موشية

(٢٤) فرو يتخذ من جلود السجاب

(٢٥) امتازت دمياط في العهد الفاطمي بصناعة الاقمشة الحريرية والكشائية المقصبة •

«الخطط» للقريري (طبعة غامنون ويت ١٩٢٢) ٣: ٢٠٠

(٢٦) «اراح»؟

(٢٧) واحة بين مصر وفلسطين

(٢٨) الجمع بدل المتن • عامة

(٢٩) «عربان» في الامل • «عربان» طعة درنيورغ ص ٨

(٣٠) «وصيانات» في الامل

فاحضر علام قطعة كساء لعلّ (٣١) طول ذراعين . قالت «هذا الثوب» .
واحضر آخر قطعة سنندروس (٣٢) . قالت «هذه الخضرزة» . قلت
«فالحمار والكلب؟» قالوا «الحمار قد ربطوا يديه ورجليه، وهو مرمي
في العشب . والكلب مفلوت» (٣٣) يهدو من مكان الى مكان

فجسمتهم ورأيت بهم من الضّرّ امرأ عظيمًا: قد يست جلودهم على
عظامهم . قلت «ايش» (٣٤) اتهم؟ قالوا «نحن من [٣] بني أبي» .
وبنو أبي فرقة من العرب من طيء لا يأكلون الا الميتة (٣٥) ويقولون
«نحن خير العرب . ما فينا مجذوم ولا ابرص ولا زمن ولا اعمى» . واذا
نزل بهم الضيف ذبحوا له واطعموه من غير طعامهم . قلت «ما جاء بكم الى
هاهنا؟» قالوا «لنا بحسنى» (٣٦) كتول ذرة مطبورة جثا تأخذها» . قلت
«وكم لكم هنا؟» قالوا «من عيد رمضان لنا هاهنا، ما رأينا الزاد باعيننا» . قلت
«فمن اين يعيشون؟» قالوا «من الرثّة (يعنون العظام البالية الملقاة) ندقّها
ونصل عليها الماء وورق القَطَف (شجر بتلك الأرض) وتقوّت به» .
قلت «فكلابكم وحسّر كم؟» قالوا «الكلاب نطعمهم» (٣٧) من عيشنا،
والحمر تأكل الحشيش» . قلت «فلم لا دخلتم الى دمشق؟» قالوا «خفنا
الوباء» . ولا وباء اعظم مما كانوا فيه! وكان ذلك بعد عيد الاضحى (٣٨)
فوقفت حتى جاءت الجمال، واعطيتهم من الزاد الذي كان معنا . وقطعت
فوطه كانت على رأسي اعطيتها للمرأة تين . فكادت عقولهم تزول من فرحهم
بالزاد . وقلت «لا تقيموا هاهنا يسبوكم الافرنج»

(٣٩) كنّ في الاصل . والاصح «لمثها»

(٤٠) كلمة فارسية تُطلق على صمغ من الشجر او حصى شبيه بالكهر باء

(٤١) «مقلوب» طيبة دربورغ ص ٨

(٤٢) استصبال عامي لم يزل دارساً لليوم في بلاد الشام

(٤٣) حرّمها القرآن ٤: ٥

(٤٤) او «حسباء» في القسم الجنوبي من البادية السورية والشامي من العجاز

(٤٥) عامية فصيحها «نطعمها»

(٤٦) فالقصة اذن قد مضى عليها اكثر من شهر من وهي في الصحراء

فطنة دليل

ومن طريق ما جرى لي في الطريق انني نزلت ليلة اصلي المغرب والعشاء قصراً وجنناً (٣٩) . وسارت الجمال . فوفقت على رفعة من الارض وقلت للفلان «تفرقوا في طلب الجمال، وعودوا اليّ» . فاما ما ازل من مكاني . «تفرقوا وركضوا كذا وكذا فماراؤهم . فعادوا كلهم اليّ وقالوا «ما لقيناكم» . ولا ندري كيف مضوا» . فقلت «نستعين بالله تعالى ونسير على النوء» . فسرنا ونحن قد اضرفنا من انفرادنا عن الجمال في البرية على امر صعب

وفي الادلاء رجل يقال له جزية (٤٠) فيه يقظة وفطنة . فلما استبطنا علمنا اننا قد تنها عنهم . فاخرج قداحة وجعل يقدح، وهو على الجمل، والسرار من الزند يفرق كذا وكذا . فرائنا على البعد . فصدنا النار حتى لحقناهم . ولولا لطف الله وما الهمة ذلك الرجل كئنا هلكنا .

خرج المال يضيع

ومما جرى لي في تلك الطريق ان الملك العادل، رحمه الله، قال لي «لا تعلم الادلاء الذين معك بالمال» . فجعلت اربعة آلاف (٤١) دينار في خرج على بقل سروجي مجنوب معي وسلمته الى غلام وجعلت الف دينار ونفقة لي وسر قنار دنانير (٤٢) مغربية في خرج على حصان مجنوب معي وسلمته الى غلام . فكنت اذا نزلت جعلت الاخراج في [٤] و [٥] وسط بساط، ورددت طرفيه عليها، وبسطت فوقه بساطاً (٤٣) اخر، وانام على الاخراج واقوم وقت الرحيل قبل اصحابي . يجيء الغلامان اللذان معهما الخرجان

(٣٩) اي انه ركن اثنين بدل الاربع وجعل ملالة الحرب وملالة العناء واحده

(٤٠) «جزية» في الامل

(٤١) «الف» في الامل

(٤٢) كذا في الامل . وربما كان المواب «وسر قنار ذهب ودنانير» . سرفسار

تحريف «سر آفسار» الفارسية ومثما رأس الثعلب الذي يسكن ماله

(٤٣) «بساط» في الامل

فيسلما نهما . فاذا شدا هما على الجنايب ركبت وايقظت اصحابي، تهيمنا بالرجل

فقرنا ليلة فسي تيه بني اسرائيل . فلما قمت للرجل جاء الغلام الذي معه البغل المجنوب اخذ الخرج وطرحه على وركي البغل ودار يريد يشده بالسُموط . فزل البغل وخرج يركض وعليه الخرج . فركبت حصاني، وقد قدمه الركابي، وقلت لواحد من غلماني «اركب . اركب» . وركضت خلف البغل فما لحقته، وهو كما أنه حمار وحش، وحصاني قد اعبي من الطريق . ولحقني الغلام، فقلت «اتبع البغل كذا» . فمضى وقال «والله، يامولاي، ما رايت البغل . ولقيت هذا الخرج قد شلت» . فقلت «للخرج كنت اطلب» . والبغل اهون مفقود

ورجعت الى المنزل واذا البغل قد جاء يركض دخل في طُواله الخيل ووقف . فكأنه (٤٤) ما كان قصده الا تضع اربعة آلاف (٤٥) دينار

مقابلة نور الدين

ووصلنا في طريقنا الى بصرى (٤٦) . فوجدنا الملك العادل نور الدين، رحمه الله، على دمشق . وقد وصل الى بصرى الامير اسد الدين شيركوه (٤٧)، رحمه الله . فسرت معه الى العسكر . فوصلته ليلة الاثنين، واصبحت تحدث مع نور الدين بما جئت به . فقال لي «يا فلان، اهل دمشق اعداء والافرنج اعداء ما آمن منهما اذا دخلت بينهما» . قلت له «فأذن لي ان ادعون من محرومي الجند قوماً آخذهم وارجع، وتنفذ معي رجلاً من اصحابك فسي ثلثين فارساً ليكون الاسم لك؟» قال «افعل» . فدعوت الى الاثنين الآخر ثمانى (٤٨) مائة وستين فارساً واخذتهم

(٤٤) «مكانه» طيبة دنيورغ ص ١٠

(٤٥) «الف» في الاصل . وتكرار ما بدل على ان «الف» كانت تنكتب كذلك

(٤٦) إسكي خام من رجال حوران

(٤٧) عم صلاح الدين الايوبي

(٤٨) «ثمان» في الاصل

وسرت في وسط بلاد الأفرنج تنزل بالبوق وترحل بالبوق

الشق في مسجد الرقيم

وسير معي نور الدين الأمير عين الدولة الياقوتي (٤٩) في ثلثين فارساً فاجتزت في طريقي بالكهف والرقيم (٥٠). فتزلت فيه ودخلت صليت في المسجد، ولم ادخل في ذلك المضيق الذي فيه. فجاء امير من الاتراك الذين كانوا معي يقال له بِرَشَك (٥١) يريد الدخول في ذلك الشق الضيق. قلت «اي شيء تعمل في هذا؟» صلّ برآء. قال «لا اله الا الله. انا حرام اذا حتى لا ادخل في ذلك الشق الضيق!» قلت «اي شيء تقول؟» قال «هذا الموضع [٤ ق] ما يدخل فيه ولد زنا - ما يستطيع الدخول» فاجب قوله ان قمت دخلت في ذلك الموضع صليت، وخرجت، وانا - الله يعلم - ما اصدق ما قاله. وجاء اكثر العسكر فدخلوا وصلّوا

ومعي في الجند برّاق (٥٢) الزُّيْدِي معه عبد له اسود دين كثير الصلاة، ادق ما يكون من الرجال واذيهم. فجاء الى ذلك الموضع، وحرص بكل حرص على الدخول، فما قدر يدخل. فبكى المسكين وتوجّع وتحسّر، وعاد بعد الغلبة عن الدخول

موقعة مع الأفرنج في عقلاق

فلما وصلنا عقلاق محرّ، ووضعا اقالنا عند المصلّى، صبحونا [كذا] الأفرنج عند طلوع الشمس. فخرج البنا ناصر الدولة بإقوت، والسي عقلاق، فقال «ارفعوا، ارفعوا اناقالكم». قلت «تخاف لا يغلبنّا» (٥٣) الأفرنج عليهم». قال «نعم». قلت «لا تخف». هم يرونّا في البريّة

(٤٩) امير تركي كان سابقاً في خدمة زنكي

(٥٠) البتراء. راجع القرآن ٨١:٩٨

(٥١) «رشك» في الامل

(٥٢) «براق» في الامل

(٥٣) كذا. والمصود «كلا يلباء»

ويعارضوننا الى ان وصلنا الى عقلاق، ما خفناهم . نخافهم الآن ونحن عند مدينتنا»

ثم ان الافرنج وقفوا على بُعد ساعة . ثم رجعوا الى بلادهم جمعوا لنا وجامونا بالفارس والراجل والخيـم يريدون منازل عقلاق . فخرجنا اليهم ، وقد خرج راجل عقلاق . فدرت على سرب الرجالة وقتل «باصحابنا» ارجعوا الى سوركم، ودعونا وايـاهم . فان نصرنا عليهم فاقتم تلحقونا . وان نصروا علينا كتم اتم سالمين عند سوركم . فامتنعوا من الرجوع . فركبهم ومضيت الى الافرنج، وقد حطوا خيامهم ليضربوها . فاحتطنا بهم، واعجلناهم عن طي خيامهم . فرموا كما هي منشورة وساروا راجعين

فلما افسحوا عن البلد تبعهم من الطفولين (٥٤) اقوام ما عندهم متعة ولا غنى . فرجع الافرنج حملوا على اولئك فقتلوا منهم نـراً . فانهزمت الرجالة، الذين رددتهم فمـا رجعوا، ورموا تراسهم . ولقيـنا الافرنج، فردناهم . ومضوا عائدين الى بلادهم وهي قريبة من عقلاق وعاد الذين انهزموا من الرجالة يتلاومون، وقالوا «كان ابن منقذ اخبر منا . قال لنا «ارجعوا» ما فعلنا حتى انهزمنا واقضحتنا»

موقعة أخرى في بيت جبريل

وكان اخي عز الدولة ابو الحسن علي (٥٥)، رحمه الله، في جملة من سارعي من دمشق هو واصحابه الى عقلاق . وكان، رحمه الله، من فرسان المسلمين يقاتل للدين لا للدنيا . فخرجنا يوماً من عقلاق نريد الغارة

(٥٤) الكلمة نصف مبحرة في الاصل . «المستولين» طبعة درنيورغ ص ١٢، «البتولين» في كتابه Ousdā Ibn Mounkīdh (باريز ١٨٨٩) ص ٦٢٧ . «المستولين» - «المستالين» في لاندبرغ ص ١٧ (٥٥) اخر أسامة الاكبر

على بيت جبريل (٥٦) وقالها . فوصلناها وقاتلناهم . [٥] ورايت
عند رجوعنا على البلد غلة كبيرة . فوقت في اصحابي وقدحنا ناراً
وطرحناها في اليبادر . وصرنا تنتقل من موضع الى موضع ، ومضى العسكر
تقدمني . فاجتمع الافرنج ، لعنهم الله ، من تلك الحصون ، وهي كلها
مقاربة وفيها خيل كثيرة للافرنج ، لمغادة عسقلان ومراوتها . وخرجوا
على اصحابنا

فجاءني فارس منهم يركض وقال « قد جاء الافرنج ! » فسرت الى اصحابنا
وقد وعلمهم اوائل الفرنج . وهم ، لعنهم الله ، اكبر الناس احترازاً في
الحرب . فصعدوا على راية وقفوا عليها . وعدنا نحن على راية مقابلهم .
وبين الرايتين فضاء . اصحابنا المتقطعون واصحاب الجنائب عبور تحتهم ،
لا ينزل اليهم منهم فارس خوفاً من كمين او مكيمة . ولو نزلوا اخذوهم
عن آخرهم . ونحن مقابلهم في قلعة ، وعسكرنا قد تقدمنا منهزمين
وما زال الافرنج وقواً على تلك الراية الى ان انقطع عبور اصحابنا .
ثم صارو الينا . فاندفعنا بين ايديهم . والقتال بيتنا - لا يجدون في طلبنا
ومن وقف فرسه قتلوه ، ومن وقع اخذوه . ثم عادوا عنا
وقدر الله سبحانه لنا بالسلامة يا حترازهم . ولو كثافي عددهم ونصرنا
عليهم ، كما نصرنا علينا ، كتبنا افنيانهم

مهاجمة يَبْنَى

فاقت عسقلان لمحاربة الافرنج اربعة اشهر هجماً فيها مدينة
يَبْنَى (٥٧) وقتلنا فيها نحو مائة نفس واخذنا منها امارى

مقتل اخي أمامة

وجاءني بعد هذه المدة كتاب الملك العادل ، رحمه الله ، يستعيني .
(٥٦) او « بيت جبرين » . وهي في منتصف الطريق بين غزة واورطيس .
ياقوت ٧٧٦ : ١
(٥٧) « سُساء » في الامل . وهي فرقة بحرية في فلسطين ذكرها يثوح ١١ : ١٥
واخبار الايام الثاني ٦ : ٢٦

فسرت الى مصر وبقي اخي عز الدولة ابو الحسن عليّ، رحمه الله،
بشقلاق. فخرج عسكرها الى قتال غزّة فاستشهد، رحمه الله، وكان من
علماء المسلمين وقرّانهم وعبادهم

اغتيال ابن السّار

وامّا الفتنة التي قتل فيها الملك العادل بن السّار، رحمه الله، فانه
كان جهّز عسكراً الى بليّس (٥٨)، ومقدمه ابن امرأته ركن الدين
عبّاس بن ابي الفتوح بن تميم بن باديس، لحفظ البلاد من الافرنج، ومعه
ولده ناصر الدين نصر بن عبّاس، رحمه الله. فاقام مع ابيه في العسكر
ايّاماً. ثم دخل الى القاهرة بغير اذن من العادل ولا دستور. فانكر عليه
ذلك وامره بالرجوع الى العسكر، وهو يظنّ انه دخل القاهرة للعب
والفرجة [٥ ق] وللضجر من المقام في العسكر

وابن عبّاس قد رتب امره مع الظافر، ورتب معه قوماً من غلمانه،
يهجم بهم على العادل في داره اذا ابرّد في دار الحرّم ونام، فيقتله.
وقرّر مع استاذ من استاذي (٥٩) دار العادل ان يُعلمه اذا نام. وصاحبة
الدار امرأة العادل جدّته، فهو يدخل اليها بغير استئذان

فلمّا نام العادل اعلمه ذلك الاستاذ بنومه. فهجم عليه في البيت الذي
هو نائم فيه، ومعه سبعة نفر من غلمانه، فقتلوه، رحمه الله. وقطع رأسه
وحمله الى الظافر. وذلك في يوم الخميس السادس من المحرم سنة
ثمان واربعين وخمس مائة (٦٠). وفي دار العادل من مماليكه واصحاب
النوبة نحو من الف رجل. لكنهم في دار البلاط، وهو قتل في دار الحرم
فخرجوا من الدار ووقع القتال بينهم وبين اصحاب الظافر وابن عبّاس
الى ان رفع رأس العادل على رمح. فساعة ما رأوه اتصموا فرقتين: فرقة

(٥٨) «بليّس» في العامة - وموقعها الى الشمال الشرقي من القاهرة

(٥٩) الفقهني ٤٨٤:٣ - ٤٨٥

(٦٠) ٤ نيسان سنة ١١٥٣

خرجت من باب القاهرة السى عباس لخدمته وطاعته، وفرقة رمت السلاح وجاوا الى بين يدي نصر بن عباس قبلوا الارض ووقفوا في خدمته

عباس يتولى الوزارة

واصبح والد عباس دخل القاهرة وجلس في دار الوزارة . وخلع عليه الظافر وفوض اليه الامر . وابنه نصر (٦١) مخالطه ومعاكره، وابوه عباس كاره لذلك مستوحش من ابنه، لعلمه بمذهب القوم في ضربهم بعض الناس بعض حتى يغفونهم ويحوزوا كلّما لهم: حتى يتفانسوا . فاحضراني ليلة وهما في خلوة يتعائبان، وعباس يردّد عليه الكلام، وابنه مطرق كأنه نمس يردّد عليه كلمة بعد كلمة يشتاط منها عباس ويزيد في لومه وتأنّيه . فقلت لعباس «يا مولاي الافضل، كم تلوم مولاي ناصر الدين وتوبيخه وهو ساكت؟ اجعل الملامة لي . فانامعه في كلّ ما يعمله، ما ابرأ من خطاه ولا صوابه . اي شيء هو ذنبه؟ ما اساء الى احد من اصحابك، ولا فرط في شيء من مالك، ولا قدح في دولتك . خاطر بنفسه حتى نلت هذه المنزلة . فما يستوجب منك اللائمة . فاسك عنه والدع، ورعى لي ابنه ذلك

الخليفة يحرض ابن عباس على ابيه

وشرع الظافر مع ابن عباس في حمله على قتل ابيه، ويصير في الوزارة مكانه . وواصله بالعطايا الجزيلة . فحضرته يوماً وقد ارسل اليه عشرين مينةً فضة فيها عشرون الف دينار . ثم اغفله ايماناً وحمل اليه من الكسوات من كلّ نوع [٦] و[٧] ما لا رايت مثله مجتمعاً قبله . واغفله ايماناً . وبعث اليه خمسين مينةً فضة فيها خمسون الف دينار . واغفله ايماناً . وبعث اليه ثلثين بطلاً رجلاً (٦٢) واربعين جملاً بعددها وغرائرها وحبالها .

(٦١) ابو خامة «كتاب الروميين في اخبار الدولتين» (مصر ١٢٨٧ - ٨٨) ٩٧:١

— ٩٨ — نفل عن أسامة مختصراً من هنا الى رأس ص ٢٧ ادناه

(٦٢) «بطل رجل» في الاصل

وكان يتردد بينهما رجل يقال له مُرتفع بن فحل . وانا مع ابن عباس لا
 بضح لي في الغيبة عنه ليلاً ولا نهاراً: انا ورائي على رأس مخدته
 فكنت عنده ليلة، وهو في دار الشايورة، وقد جاء مرتفع بن فحل .
 فتحدثت معه الى ثلث الليل، وانا معتزل عنهما ثم انصرف . فاستدعاني
 وقال «اين انت؟» قلت «عند الطائفة اقرأ القرآن» فاني اليوم ما تفرغت
 اقرأ . فابتداً يقاتحني بشيء مما كان فيه ليصر ما عندي في ذلك، ويريد
 بيسي اقوي عزمه على سوء ما قد حمله عليه الظافر . فقلت «يامولاي، لا
 يسترلك الشيطان وتندفع لمن يترك . فما قتل والدك مثل قتل العادل .
 فلا تفعل شيئاً تلعن عليه الى يوم القيامة» فاطرق، وقاطعني الحديث .
 ونمتا

فاطلع والد علي الامر، فلاطفه، واستماله، وقرر معه قتل الظافر

الوزير يقتال الخليفة

وكانا يخرجان في الليل متكررين، وهما اتراب، ومنهما واحد . فدعاه
 الى داره، وكانت في موق السوفيين (٦٣)، ورثب من اصحابه نفرأ في
 جانب الدار . فلما استقر به المجلس خرجوا عليه فقتلوه . وذلك ليلة
 الخميس سلخ المحرم سنة تسع واربعين وخمس مائة (٦٤) . ورماء في جب
 في داره . وكان معه خادم له اسود لا يفارقه يقال له سعيد الدولة، فقتلوه

واصبح عباس جاء الى القصر كالعادة للسلام يوم الخميس . فجلس
 في خزانة في مجلس الوزارة كأنه ينتظر جلوس الظافر للسلام . فلما
 جاوز وقت جلوسه استدعى زمام القصر وقال «ما لمولانا ما جلس للسلام؟»
 فتبلى الزمام في الجواب . فصاح عليه وقال «مالك لا تجاوبني؟» قال
 «يامولاي مولانا ما ندري اين هو» . قال «مثل مولانا يضيع؟ ارجع
 فاكشف الحال» . فمضى ورجع وقال «ما وجدنا مولانا» . فقال عباس «ما

(٦٣) «السيوفيين» في الاصل

(٦٤) ١٥ نيسان سنة ١١٥٤

يبقى الناس بلا خليفة. ادخل السى الموالي اخوته يخرج منهم واحد نياجه». فمضى وعاد وقال «الموالي يقولون لك نحن ما لنا فى الامر شيء». والده عزله عنا وجعله فى الظافر. والامر لولده بعد». قال «اخرجوه حتى نياجه»

مبايعة ابن الظافر

وعباس قد قتل الظافر وعزم على [٦١ ق] ان يقول «اخوته قتلوه» ويقتلهم به. فخرج ولد الظافر، وهو صبي محمول على كف استاذ من استاذي القصر. فاخذ عباس، فحمله، وبكى الناس. ثم دخل به، وهو حامله، السى مجلس ابيه، وفيه اولاد الحافظ: الامير يوسف، والامير جبريل، وابن اخيه الامير ابو البقي (٦٥)

الاجهاز على أسرة الخليفة

ونحن فى الرواق جلوس، وفي القصر اكثر من الف رجل من المصريين فما راعنا الا فوج قد خرج من المجلس الى القاعة، وموت السيوف على انسان. فقلت لفلان لي ارمي «ابصر من هذا المقتول». فمضى ثم عاد وقال «ما هاولاه مسلمون! هذا مولاي ابو الامانة (يعني الامير جبريل) قد قتلوه، وواحد قد شق بطنه بجانب مصارينه». ثم خرج عباس، وقد اخذ رأس الامير يوسف تحت ابطه ورأسه مكشوف، وقد ضربه بسيف والدم يفور منه. وابو البقي ابن اخيه مع نصر بن عباس. فادخلوهما (٦٦) فى خزانة فى القصر وقتلوهما، وفي القصر الف سيف مجردة (٦٧) وكان ذلك اليوم من اشد الايام التي مرت بي، لما جرى فيه من البغي القبيح الذي ينكره الله تعالى وجميع الخلق

(٦٥) «ابو البقاء» ابو حاتم ١: ١٨٠

(٦٦) «فادخلاهما» فى الامل

(٦٧) «مجردة» ابو حاتم ١: ١٨٠

بواب يموت جزعاً

وكان من طريف ما جرى ذلك اليوم ان عباساً لما اراد الدخول الى المجلس وجد بابه قد قفل من داخل . وكان يتولى فتح المجلس وغلقه استاذ شيخ يقال له امين الملك . فاحتالوا في الباب حتى فتحوه . ودخلوا فوجدوا ذلك الاستاذ خلف الباب، وهو ميت، وفي يده المفتاح

عباس يفتح الثورة

وامّا الفتنة التي جرت بمصر ونُصر فيها عباس* على جند مصر فانه لما فعل بالولاد الحافظ، رحمه الله، ما فعلت عليه قلوب الناس واضمروا فيها العداوة والبغضاء . وكاتب من فسي القصر من بنات الحافظ فارس المسلمين ابا الغارات طلائع بن رزّيك، رحمه الله، يسترخون [١] به . وحشد وخرج من ولايته (٦٨) يريد القاهرة . فامر عباس فعُمرت المراكب، وحُمِلَ فيها الزاد والسلاح والخزانة . وتقدّم الى العسكر بالركوب والمسير معه . وذلك يوم الخميس العاشر من صفر سنة تسع واربعين (٦٩) . وامر ابنه ناصر الدين بالمقام في القاهرة . وقال لسي «تقيم معه»

فلما خرج من داره متوجّهاً الى لقاء ابن رزّيك خامر عليه الجند وغلقوا ابواب القاهرة . ووقع القتال بيننا وبينهم في الشوارع والازقة: خيالهم تقاتلنا في الطريق، ورجالهم يرموننا [٧] و [٨] بالنشاب والحجارة من على السطوحات، والنساء والضيّان يرموننا بالحجارة من الطافات . ودام بيننا وبينهم القتال من ضحى نهار الى العصر . فاستظهر عليهم عباس . وفتحوا ابواب القاهرة وانهزموا . ولحقهم عباس الى ارض مصر فقتل منهم من قتل وعاد الى داره وامره ونهيه

(٦٨) منية بني النصب في معيد مصر

(٦٩) وحسابه . ٢٦ نيسان مه ١١٥٤

وامر باحراق البرقيّة (٧٠) لأنها مجمع دور الاجناد. فتلطّفت الامر معه وقالت «يا مولاي، اذا وقعت النار احرقنا ما تريد وما لا تريد. وبعث عن ان تطفئها». ورددت رأيه عن ذلك واخذت الامان للامير المودّس بن ابي رَمادة، بعد ان امر بتلافه، واعتذرت عنه. فصّح عن جرمه

عبّاس يفرّ الى الشام

ثم سكنت تلك الفتنة، وقد ارتاع منها عبّاس، وتحقّق عداوة الجند والامراء، وانه لا مقام له بينهم. وثبت في نفسه الخروج من مصر وقصد الشام الى الملك العادل نور الدين، رحمه الله، يستجده. والرميل بين من في القصور (٧١) وبين ابن رزّيك متردّدة. وكان بيني وبينه، رحمه الله، مودة ومخالطة من حين (٧٢) دخلت ديار مصر. فنفّذ اليّ رسولا يقول لي «عبّاس ما يقدر على المقام بمصر، بل هو يخرج منها الى الشام، وانا املك البلاد. وانت تعرف ما بيني وبينك، فلا تخرج معه. فهو بحاجة اليك في الشام يرغبك ويخرجك معه. فاقه الله لا تصعبه. فانت شريك في كل خير انا له». فكان الشياطين وسوس لعبّاس بذلك، او توهّمه لما يعلمه بيني وبين ابن رزّيك من المودة

فامّا الفتنة التي خرج فيها عبّاس من مصر وقتله الافرنج فانه لما توهّم من امري وامر ابن رزّيك ما توهّمه، او بلفه، احضرني واستحلفني بالايمان المغلّظة التي لامحرج (٧٣) منها انني اخرج معه واصعبه. ولم يقنع ذلك حتّى نفّذ في الليل استاذ داره الذي يدخل على حرمه اخذ اهلي ووالدتي واولادي الى داره، وقال لسي «انا احمل كلفتهم عنك في الطريق، واحملهم مع والدتي ناصر الدين»

(٧٠) حيّ في شرفي القاهرة تقيم فيه فرقة اهل انصارها من برّة

(٧١) اي بين انسباء الخليفة

(٧٢) «حيث» طبعة درنبورغ ص ١٧

(٧٣) «مخرج» طبعة درنبورغ ص ١٧

واهتم بامر سفره بخيله وجسالة وبغاله . فكان له مائتا حصان وحجيرة معجوبة على ايدي الرجال، كهادتهم بمصر، ومائتا بغل رحل، واربع مائة جمل تحمل اقاله

وكان كثير اللهج بالنجوم، وهو معول على المسير بالطالع يوم السبت الخامس عشر من ربيع الاول من السنة (٧٤) . فحضرته وقد دخل عليه غلام يقال له عتر (٧٥) الكبير، وهو متولي اموره كبيرها وصغيرها، فقال له «يامولاي، اي شيء مرجو من مبرنا الى الشام؟ خذ خزانك واهلك وغلمانك. ومن [٧ ق] تبعك وسر بنا الى الاسكندرية، نحتد من هناك ونجمع، ونرجع الى ابن رزّيك ومن معه . فان نصرنا عدت الى دارك والى ملكك . وان عجزنا عنه عدنا الى الاسكندرية الى بلد نحتمي فيه ويمتنع على عدونا» . فتهر وخطف رايه، وكان الصواب معه

ثم اصبح يوم الجمعة استدعاني من بكرة . فلما حضرت عنده قلت «يامولاي، اذا كنت عندك من الفجر الى الليل فمتى اعمل شغل سفري؟» قال «عندنا رمل من دمشق، تسيّرهم وتمضي تعمل شغلك»

المكيدة مد عباس

وكان قبل ذلك احضر قوما من الامراء واستحلفهم انهم لا يخونونه ولا يخامرون عليه . واحضر جماعة من مقدمي العرب من درماء وزريق وجذام وسنيس وطلحة وجعفر ولؤاة واستحلفهم بالمصحف والطلاق على مثل ذلك . فما راغاه وانا عنده بكرة الجمعة، الا والناس قد لبسوا السلاح وزحفوا اليها وروموسهم الامراء الذين استحلفهم بالامس . فامر بئد دوابه فشدت وأوقفت على باب داره . فكانت بينا وبين المصريين كالسد لا يصلون اليها لاذحام الدواب دوننا

فخرج اليهم غلامه عتر الكبير الذي كان اثار عليه بذلك الراي، وهو

(٧٤) ١٣٠ يار سه ١١٥٤

(٧٥) او «عتر» كما ورد في «ديوان» اسمه وفي ابي حامة ٩٨٠١

زمامهم، صاح عليهم وشتمهم وقال «روحوا الى بيوتكم». فسيبوا الدواب^{٧٦} ومضى الركاب^{٧٧} والمكارية^(٧٦) والجمالون^(٧٧)، وبقيت الدواب^{٧٨} مهملة. ووقع فيها النهب

فقال لسي عباس «اخرج احضر الاتراك، وهم عند باب النصر^(٧٨)، والكتاب ينفقون فيهم». فلما جئتهم واستدعيتهم ركبوا كلهم، وهم في ثمان^(٧٩) مائة فارس، وخرجوا من باب القاهرة منهزمين من القتال. وركب المماليك، وهم اكثر من الاتراك، وخرجوا ايضاً من باب النصر. ورجعت اليه عرقته، ثم اشتغلت باخراج اهلي الذين كان حملهم الى داره. فاخرجتهم واخرجت حرم عباس. فلما خلت الطريق ونهبت تلك الدواب^{٨٠} باجمعها وصل المصريون اليها فاخرجوها، ونحن في قلعة، وهم في خلق كثير

فلما خرجنا من باب النصر وصلوا الى الابواب اغلقوها وعادوا الى دورنا نهوها. فاخذوا من قاعة داري اربعين غرادة جمالية^(٨٠) مخاطة فيها من الفضة والذهب والكسوات شيء كثير. واخذوا من اصطلحي ستة وثلاثين حصاناً وبغلة سروجية بسروجها وعدتها كاملة وخمسة وعشرين جملاً. واخذوا من اقطاعي من كئوم اخفين مائتي رأس بقر للتثاين والفسية^(٨١) واهراء غلّة

ولما سرنا عن باب النصر تجمعت قبائل العرب الذين استحلّهم عباس وقتلونا من يوم الجمعة [٨] وضحى نهار الى يوم الخميس

(٧٦) عامية فصيحها «المكارور»

(٧٧) «والجاليين» في الاصل

(٧٨) ذكره المغربي في «الخطط» ٩٢:٢ و ١٧٤

(٧٩) «ثمان» في اصل

(٨٠) الجمالية من النوق العظيمة

(٨١) «الثثاين» و«الف شية» طبعة درنبرغ ص ١٩٠. «اللباسين والومية»

لاندبرغ ص ١٨٠. والكلمات غير واضحة في الاصل

العشرين من ربيع الأول (٨٣) • فكانوا يقاتلوننا النهار كله • فإذا جنّ الليل ونزلنا اغفلونا إلى أن تنام، ثم يركبون في مائة فارس ويدفون خيلهم في بعض جوانبنا ويرفعون اصواتهم بالصياح • فما نر من خيلنا وخرج اليهم اخذوه

أسامة جريج

وانقطعت يوماً عن اصحابي وتحتي حصاناً بيض، هو اردى (٨٣) خيلي، شدة الركابي ولا يدري ما يجري، وما معي من السلاح غير سيفي • فحمل عليّ العرب فلم أجد ما ادفهم به، ولا يتجني منهم حصاني، وقد وصلتني رماحهم • قلت «أنتب عن الحصان واجذب سيفي، ادفهم» • فجمعت نفسي لائب، فتفتح الحصان • فوقعت على حجارة وارض خشنة، فانقطعت قطعة من جلدة رأسي ودخت حتى ما بقيت ادري بما انا فيه • فوقف عليّ منهم قوم، وانا جالس مكشوف الرأس، غائب الذهن، وسيفي مرمر • بهجازه • فضر بني واحد منهم صرّتين بالسيف وقال «هات الوزن» وانا لا ادري ما يقول • ثم اخذوا حصاني وسيفي

ورآني الاتراك فعادوا اليّ • ونفذ لي ناصر الدين بن عباس حصاناً وسيفاً وسرت • وانا لا اقدر على عصابة اشدّ بها جراحي • فسبحان من لا يزول ملكه

وسرنا وما مع احد منا كفّ زاد • واذا اردت اشرب ماء ترجلت شربت بيدي، وقبل ان اخرج بلبلة جلست في بعض دهاليز داري على كرسيّ وعرضوا عليّ ستة عشر جمل (٨٤) روايا وما شاء الله سبحانه من القرب والسطاح

وعجزت عن حمل اهلي • فرددتهم من بليس الى عند الملك الصالح ابي الفارات طلائع بن رزّيك، رحمه الله، فاحسن اليهم وانزلهم في دار

(٨٢) ٢٩ ايار - ٤ حزيران سنة ١١٥٤

(٨٣) عامة قصيها «اردا»

(٨٤) «خسلة»؟

واجري لهم ما يحتاجونه • ولما اراد العرب الذين يقاتلون الرجوع عنا جاؤونا يطلبون حَسْبًا اذا عُدنا (٨٥)

عبّاس يقتله الأفرنج

وسرنا الى يوم الاحد ثالث وعشرين ربيع الاول فصبّحنا (٨٦) الأفرنج في جمعهم على المَوْيَلَح (٨٧) فقتلوا عبّاساً وابنه حُسام الملك واسروا ابنه ناصر الدين (٨٨) واخذوا خزائنه وحُرّمه • وقتلوا من ظفروا به • واخذوا اخي نجم الدولة ابا عبد الله محمد (٨٩)، رحمه الله، اسيراً • وعادوا عنا، ونحن قد تحصّنا عنهم في الجبال

مخاطر وادي موسى

فسرنا في احد من الموت في بلاد الفرنج بغير زاد للرجال ولا علف للخيال الى ان وصلنا [٨] ق [جبال بني قُهيْد، لعنهم الله، في وادي موسى • وطلعنا في طرقات ضيقة وعرة الى ارض فسيحة ورجال وشياطين رجيبة من ظفروا به متآمرين قتلوه

وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الامراء الطائين • فسألت «من هاهنا من الامراء بني ربيعة؟» قالوا «منصور بن غيد قل» (٩٠) • وهو صديقي • فدفعتم لواحد دينارين وقلت «امض الى منصور قل له «صديقك ابن منقذ يسلم عليك ويقول لك صل اليه بكرة» • وبتنا في بيت سوء من خوفهم

فلما اضاء الصبح اخفوا عدّتهم ووقفوا على العين وقالوا «ما ندعكم

(٨٥) «ثم حاذا اليه واخذوا منه حَبًّا على اموالهم وانفسهم ويوتهم ظناً منهم

ان له عودة اليهم» ابو خامة ٩٨:١

(٨٦) «مصحونا» في الاصل • وذلك في ٥ حزيران سنة ١١٥٤

(٨٧) محطة في الصحراء على طريق مصر - فلسطين

(٨٨) كيفية قتله والتشثيل به وصفها «تاريخ» ابن خلكان (القاهرة) ١٢٣:٢

(٨٩) «محمد» في الاصل

(٩٠) «عدل» في الاصل

تسريون مادنا ونهلك نحن بالعطش». • وتلك العين تكفي ربيعة ومضر،
وكم في ارضهم مثلها، وانما قصدهم ان ينشوا الشر بيننا وبينهم وبأخذونا •
فنحن فيما نحن فيه ومنصور بن غفل وصل • فصاح عليهم وسبهم •
فتفرقوا • وقال «اركب» • فركبنا ونزلنا في طريق اخيق من الطريق
التي طلعت فيها واوعر • فنزلنا الى الوطاسالين، وماكدنا نسلم • فجمعت
للأمير منصور الف دينار مصرية ودفعها اليه، وعاد

في دمشق

وسرنا حتى وصلنا بلد دمشق بمن سلم من الأفرنج وبني فهد يوم الجمعة
خامس ربيع الآخر من السنة (٩١) • وكانت السلامة من تلك الطريق من
دلائل قدرة الله عز وجل وحسن دفاعه

قصة السرج

ومن عجب ما جرى لي في تلك الواقعة ان الظافر كان ارسل الى ابن
عباس رهواراً مغيراً مليحاً أفرنجياً • وكنت قد خرجت الى قرية لي،
وابني ابو الفوارس مرهف عند ابن عباس، فقال «كنا نريد لهذا رهوار
سرجاً مليحاً من السروج الفزيّة (٩٢)» • فقال له ابني «قد وجدته،
يامولاي، وهو فوق الغرض (٩٣)» • قال «اين هو؟» قال «في دار خادمك
والذي • له سرج غزيّ مليح» • قال «انفذ احضره» • فارسل رسولا الى
داري اخذ السرج، فاعجبه، وشد به على رهوار • وكان السرج طلع
معي من الشام على بعض الجنائب وهو منبت مجرى بسواد في غاية الحسن
وزنه مائة مثقال وثلاثون مثقالاً (٩٤)

(٩١) ١٩ حزيران سنة ١١٥٤

(٩٢) اشتهرت غزّة لذلك العهد بهناعة السروج

(٩٣) «الغرض» طيبة دربورغ ص ٢١ • والغرض الحاجة والبشة

(٩٤) لعل المقصود ان هذا وزن الذهب عليه

ووصلت انا من الاقطاع . فقال لي ناصر الدين «ادلنا» (٩٥) عليك
واخذنا هذا السرج من دارك» . فقلت «يا مولاي، ما اسعدي بخدمتك!»
فلما خرج علينا الافرنج بالمويلع كان معي من ممالكي خمسة رجال
على الجمال اخذت العرب خيلهم . فلما وقع الافرنج (٩٦) بقيت الخيل
سائبة . فنزل الغلمان عن [٩] و الجمال واعترضوا الخيل واخذوا منها
ما ركبوه . فكان على بعض الخيل التي اخذوها ذلك السرج الذهب الذي
اخذَه ابن عباس

وكان حام الملك ابن عم عباس، واخو عباس ابن العادل (٩٧) قد
سلما فبين سلم مثا . وقد سمع حام الملك خبر السرج فقال وانا اسع
«كل ما كان لهذا المسكين (يعني ابن عباس) نهب» . فنه ما نهبه الافرنج،
ومنه ما نهبه اصحابه» . قلت «لعلك تعني السرج الذهب» . قال «نعم» .
فامرت باحضاره وقلت «اقرأ ما عليه» . اسم عباس عليه واسم ابنه او
اسمي؟ ومن كان في مصر يقدر يركب بسرج ذهب في ايام الحافظ غيري؟
وكان اسمي مكتوباً على دائر السرج بالسواد، ووسطه منبت . فلما قرأ
ما عليه اعتذر وسكت

علم الاتعاط بنكبة رضوان

ولولا نقاد المشيئة في عباس وابنه وعواقب البغي وكفر النعمة كان
اتعظ بما جرى قبله للأفضل رضوان بن الوكششي، رحمه الله . كان
وزيراً فقام الجند عليه بامر الحافظ كما قاموا على عباس . فخرج من
مصر يريد الشام ونهبت داره وحُرِّمه حتى ان رجلاً يُعرف بالقائد مقل
راى مع السودان جارية فاشترأها منهم وبضها الى داره . وكانت له امرأة
صالحة . فاطلعت الجارية الى حجرة في علو الدار فسمعتها تقول «لعل

(٩٥) «أدلتنا» في الامل . والقصود اخذنا السرج بنوع الدالة التي لنا عليك

(٩٦) عن خيولهم

(٩٧) هذا العادل هو الوزير ابن السلا

الله يظفرنا بمن جنى علينا وكفر نعمتنا. فإلتها «من انت؟» فقالت «انا قطر الندي (٩٨) بنت رضوان». فقعدت المرأة الى زوجها القائد (٩٩) مقبل احضرته وهو على باب القصر في خدمته. فعرفه حال البنت. فكتب الى الحافظ مطالعة، فعرفه بذلك. فقعد من خدام القصر من اخذها من دار مقتل ورفعها الى القصر

أسامة بهمة سياية تجاه رضوان

ثم ان رضوان وصل الى صلخد، وفيها امين الدولة طغديكين (١٠٠) اتابك، رحمه الله. فآكرمه وانزله وخدمه. وملك الامراء اتابك زنكي ابن آقشغر، رحمه الله، على جليلك بحاصرها. فراسل رضوان واستعزاه يمضي اليه. وكان رجلاً كاملاً كريماً شجاعاً كاتباً عارفاً، وللمجد اليه ميل عظيم لكرمه. فقال لي الامير معين الدين (١٠١)، رضي الله عنه، «هذا الرجل ان انضاف الى اتابك دخل علينا منه ضرر كبير». قلت «فأي شيء ترى؟» قال «تسير اليه لعلك ترد رأيه عن قصد اتابك. ويكون وصوله الى دمشق. وانت ترى فيما تفعله في هذا رأيك». فسرت اليه الى صلخد واجتمعت به وبأخيه الأوحده وتحدثت معهما. فقال لي الأفضل رضوان «فرط الأمر مني ورهنت قولتي عند [ق ٩] هذا السلطان بوصولي اليه، ولزمني الوفاء بقولي». قلت «أفدك الله على خير! وانا اعود الى صاحبتي، فانه مما يستغني عني، بعد ان اخرج اليك بما في نفسي». قال «قل». قلت «اذا وصلت الى اتابك، معه من العسكر ما ينفذ نصفه معك الى مصر ويبقى نصفه يحاصرنا به؟» قال «لا». قلت «فاذا هو نزل على دمشق وحاصرها واخذها بعد المدة الطويلة يقدر، وقد ضعف عسكره

(٩٨) «النداء» في الاصل. «النداء» طبعة دنيورغ ص ٢٢

(٩٩) القائد من كان تص امرته مائة. الطبري «ناريخ» (لیدن ١٨٨٣ - ٨٤)

١٧٩٦ ٣

(١٠٠) ربما كان المراد «كشتيكين» لان طغديكين كان قد توفي قبل الان

(١٠١) معين الدين أنسر، ورم دمشق

وَقَرَعْتُ نَفَقَاتِهِمْ وَطَالَتْ مَفَرَتُهُمْ، يَسِيرُ مَعَكَ إِلَى مِصْرَ قَبْلَ أَنْ يَجِدَ بَرَكَةً وَيَقْوَى عَسْكَرُهُ؟» قَالَ «لَا». قُلْتُ «ذَلِكَ الْوَقْتُ يَقُولُ لَكَ «نَسِرَ إِلَى حَلَبٍ نَجِدَ آلَةَ مِصْرَنا». فَإِذَا وَصَلْتُمْ إِلَى حَلَبٍ قَالَ «نَمِضْ إِلَى الْفَرَاتِ (١٠٢) نَجْمُ التُّرْكُمَانِ». فَإِذَا نَزَلْتُمْ عَلَى الْفَرَاتِ قَالَ «أَنْ لَمْ نَعِدْ الْفَرَاتِ مَا يَجْتَمِعُ لَنَا التُّرْكُمَانِ». فَإِذَا عَدَيْتُمْ تَشَوَّفُ بِكَ وَاقْتَحِرْ عَلَى سُلَاطِينَ الشَّرْقِ وَقَالَ «هَذَا عَزِيزُ مِصْرَ (١٠٣) فِي خِلْمَتِي». وَتَمَسَّنِي ذَلِكَ الْوَقْتُ أَنْ تَرَى حَجَرَاً مِنْ حِجَارَةِ النَّاسِمْ فَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهَا وَتَذْكُرُ حَيْثُ كَلَامِي وَتَقُولُ «نَصْحَنِي مَا قُلْتُ؟». فَاطْرُقْ مَفْكَراً لَا يَدْرِي مَا يَقُولُ. ثُمَّ التَفْتُ إِلَيْهِ وَقَالَ «مَاذَا أَعْمَلُ؟ وَأَنْتَ تَرِيدُ تَرْجِعُ». قُلْتُ «أَنْ كَانَ فِي مِصْرَ مَصْلَحَةٌ أَقَمْتُ». قَالَ «نَعَمْ». فَأَقَمْتُ

وَتَكَرَّرَ الْحَدِيثُ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى اسْتَقَرَّ وَصُولُهُ إِلَى دِمَشْقَ، وَأَنْ يَكُونَ لَهُ ثَلَاثُونَ أَلْفَ دِينَارٍ نَصْفَهَا نَقْدٌ وَنَصْفَهَا إِقْطَاعٌ، وَيَكُونُ لَهُ دَارُ الْعَقِيقِيِّ، وَيَخْرُجُ لِامْحَابَةِ دِيوَانَ. وَكُتِبَ لِي خُطْبَةٌ بِذَلِكَ، وَكَانَ كَاتِبُهَا حَسَنًا. وَقَالَ «أَنْ شِئْتُ سَرْتُ مَعَكَ». قُلْتُ «لَا، أَنَا أَسِيرُ وَمَعِيَ الْحِمَامُ مِنْ هَاهُنَا. فَإِذَا وَصَلْتُ وَأَخْلَيْتُ الدَّارَ وَرَبَّيْتُ الْأَمْرَ، طَبَّرْتُ إِلَيْكَ الْحِمَامَ وَسَرْتُ أَنَا فِي الْوَقْتِ الْعَاكِ فِي نَحْفِ الطَّرِيقِ وَأَدْخَلَ بَيْنَ يَدَيْكَ». فَتَكَرَّرَ ذَلِكَ وَوَدَّعْتُهُ وَسَرْتُ

رضوان في حبس مصر

وَكَانَ أَمِينُ الدَّوْلَةِ يَشْتَهِي مِصْرَ إِلَى مِصْرَ لِمَا قَدْ وَعَدَهُ بِهِ وَأَطْمَعَهُ فِيهِ. فَجَمَعَ لَهُ مَنْ قَدَّرَ عَلَيْهِ وَسَيَّرَهُ بَعْدَ مَفَارِقَتِي لَهُ. فَلَمَّا دَخَلَ حُدُودَ مِصْرَ (١٠٤) غَدَرَ بِهِ الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْأَتْرَاكِ وَنَهَبُوا ثَقْلَهُ، وَالتَّجَأَ هُوَ إِلَى حِمَى مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ. وَرَأْسُ الْحَافِظِ وَطَلَبَ مِنْهُ الْأَمَانَ، وَعَادَ إِلَى مِصْرَ. فَسَاعَةَ وَصُولِهِ إِلَى مِصْرَ أَمَرَ بِهِ الْحَافِظُ فَحُبِسَ هُوَ وَوَلَدُهُ

(١٠٢) «الغراء» في الأصل

(١٠٣) لف لحكام مصر بعد التخلية الفاطمية العزيز (٩٧٥ - ٩٩٦)

(١٠٤) ١١٣٩ سنة

وأتفق طلوعه الى مصر (١٠٥) وهو في الحبس في دار في جانب القصر. فنقب بسمار حديد اربعة عشر ذراعاً وخرج ليلة الخميس، وله من الامراء نسب قد عرف امره فهو عند القصر ينتظره ومصططع له من لواته، ومشوا الى النيل عدوا الى الجيزة. واختبأت القاهرة لهروبهم. [١٠] و أصبح في منظره في الجيزة والناس يجتمعون اليه. وعسكر مصر قد تأهب لقتاله. ثم أصبح بكره الجمعة عدى الى القاهرة والعسكر المصري مع قيساز (١٠٦) صاحب الباب مدرعين للقاء. فلما وصلهم هزمهم ودخل القاهرة

رضوان يقتله الحرس الفاطمي

و كنت قد ركت انا واصحابي الى باب القصر، قبل دخوله البلد، فوجدت ابواب القصر مغلقة وما عندها احد. فرجعت نزلت في داري. ونزل رضوان في الجامع الاقمر (١٠٧). واجتمع اليه الامراء وحملوا اليه الطعام والتفقه. وقد جمع الحافظ قوماً من السودان في القصر شربوا وسكروا. وفتح لهم باب القصر فخرجوا يريدون رضواناً (١٠٨). فلما وقع الصباح ركب الامراء كلهم من عند رضوان وتفرقوا وخرج هو من الجامع وجد حصانه قد اخذه الركابي وراح. فراه رجل من صيان الخاص واقفاً على باب الجامع فقال «يا مولاي، ما تركب حصاني؟» قال «بلى». فجاء اليه ركض وسيفه في يده. فاوماً كانه ببيل للتزول وضربه بالسيف، فوقع. ووصله السودان قتلوه. وتقاسم اهل مصر لحمه باكلوته ليكونوا شبعاناً. فقد كان فيه معتبر (١٠٩) وواعظ لولا نفاذ المشية

(١٠٥) تمرين الثاني سنة ١١٤٤

(١٠٦) تاج الملوك قيساز. ولقبه «صاحب الباب» كان سُلطَق على الوزير الثاني.

القلقشندي ٤٨٣:٣

(١٠٧) بناء الخليفة الآمر سنة ١١٢٥

(١٠٨) «رضوان» في الاصل

(١٠٩) قابل عنوان الكتاب «كتاب الاعتبار»

بالفساد ينجو جريح

وامصاب ذلك اليوم رجلاً من اصحابنا الشائمين جراح كبيرة . فجاءني اخوه وقال «اخي تالف» . قد وقع فيه كذا وكذا جرحٌ سيوف وغيرها، وهو مغمور ما يفيق» . قلت «ارجع افسده» . قال «قد خرج منه عشرون رطل دم» . قلت «ارجع افسده، فانا اخبرتك بالجراح» . وليس له دواء غير الفساد» . فمضى غاب عني ساعتين ثم عاد وهو مستبشر، قال «انا فصدته، وهو افاق وجلس واكل وشرب وذهب عنه البوس» . قلت «الحمد لله! ولولا اني جربت هذا في نفسي عدة مرار ما وصفته لك»

٤ - زيارة أسامة الثانية لدمشق

١١٥٤ - ١١٦٤ م

ثم اتّصلت بخدمة الملك العادل نور الدين، رحمه الله. وكتب الملك الصالح (١) في تسيير اهلي واولادي الذين تخلّفوا بمصر، وكان محضاً اليهم. فردّ الرسول واعتذر بانه يخاف عليهم من الافرنج. وكتب اليّ يقول «ترجع الى مصر وانت تعرف ما بيني وبينك». وان كنت مستوحشاً من اهل القصر فتصل الى مكة وأنفذ لك كتاباً بتسليم مدينة أسوان (٢) اليك، واعدك بما تقوى به على محاربة الحبشة (فاسوان غر من غرور المسلمين)، واسير اليك اهلك واولادك»

ففاوضت الملك العادل واستطلعت امره فقال «يا فلان، ما صدقت متى تخلص من مصر وقتها، تعود اليها! العمر أقصر من ذلك». انا [١٠ ق] أنفذ أخذ لاهلك الامان من ملك الافرنج (٣) واسير من يحضرهم». فانفذ، رحمه الله، اخذ امان الملك وعليه في البر والبحر

أسرة أسامة بيد الافرنج

وسيرت الامان مع غلام لي وكتاب الملك العادل وكتابي الى الملك الصالح. فسيرهم في عشاري من الخاص الى دباط. وحمل لهم كل ما يحتاجونه من النفقات والزاد، ووصى بهم. واقلعوا من دباط في بطنة (٤) من بطس الافرنج. فلما دنوا من عكا والملك، لا رحمه

(١) ابن رزّيك

(٢) «أسوان» اليوم

(٣) بالدون الثالث ملك اورشليم ١١٤٢ - ٦٢

(٤) «بطنة» نسي Dozy, *Supplément aux dictionnaires Arabes*

«بطنة» في «المحيط» وهي المركب

الله، فيها نفذ قوماً في مركب صغير كسروا البطية بالفوموس (٥)، واصحابي
 يرونهم * وركب ووقف على الساحل نهب كل ما فيه
 فخرج اليه غلام لبي سباحة، والامان معه وقال له «يا مولاي الملك، ما
 هذا امانك؟» قال «يلى * ولكن هذا رسم المسلمين: اذا انكسر لهم مركب
 على بلد نهبه اهل ذلك البلد» قال «فسيئا؟» قال «لا» * وانزلهم، لعنه
 الله، في دار وقّس النساء حتى اخذ كل ما معهم * وقد كان في المركب
 حلى اودعه النساء وكسوات وجوهر وسيوف وسلاح وذهب وفضة بنحو من
 ثلاثين الف دينار * فاخذ الجميع ونفذ لهم خمس مائة دينار وقال
 «توصلوا بهذه الى بلادكم» - وكانوا رجالا ونساء في خمسين نسمة
 وكنت اذ ذاك مع الملك العادل في بلاد الملك مسعود (٦) رعبان
 وكيسون (٧) * فهون علي سلامة اولادي واولاد اخي * وحرنا ذهاب ما
 ذهب من المال الا ما ذهب لي من الكتب، فانها كانت اربعة آلاف (٨)
 مجلد من الكتب الفاخرة * فان ذهابها حزا في قلبي ما عشت
 فهذه نكبات تززع الجبال وتُفني الاموال * والله سبحانه يعوض
 برحمته ويختم بلفظه ومغفرته * وتلك وقعات كبار شاهدها مضافة الى
 نكبات نُكِبَتْها سَلِمَتْ فيها النفس لتوقيت الآجال، وأججفتُ بهلاك
 المال

(٥) «الفوس» في الاصل - قال ادناه ص ٢١ ح ٥٩

(٦) سلطان قونية

(٧) اي في رعبان وكيسون

(٨) «الف» في الاصل

• معارك مع الافرنج ومع المسلمين

وقد كان بين هذه الوقعات فترات شهدت فيها من الحروب مع الكنّار والمسلمين ما لا احصها . وماورد من عجائب ما شاهده ومارسته في الحروب ما يحضرني ذكره . وما النسيان بمستكر لمن طال عليه ممر الأعوام، وهو وراثة بني آدم من ابيهم عليه الصلاة والسلام

شرف الفارسي: جُمعة

فمن ذلك ما شاهده من اتفة الفرسان وحملهم نفوسهم على الاخطار، اننا كنا التقينا نحن وشهاب الدين محمود بن قراجا، صاحب حماة ذلك الوقت (١)، وكانت الحرب بيننا وبينه [١١ و] ما تغب (٢)، والمواكب واقفة والطراد بين المشرعة (٣) . فجاءني رجل من اجنادنا وفرسانا المعدودين يقال له جُمعة من بني نُمير، وهو يكي . فقلت له «ما لك يا ابا محمود؟ هذا وقت بكاء؟» قال «طعني سرهَنك» (٤) بن ابي منصور . قلت «واذا طعنك سرهَنك اي شيء يكون؟» قال «ما يكون شيء» الا يطعني مثل سرهَنك ! والله ان الموت اسهل عليّ من ان يطعني . لكنّه استغفلي واغتالي . فجعلت أسكته واهوّن الامر عليه . فردّ رأس فرسه راجعا . فقلت «الى ابن يا ابا محمود؟» قال «الى سرهَنك . والله لأطعنه او لأموئنّ دونه»

فصاب ساعة واشتغلت انا بمن مقابلي . ثم عاد وهو يضحك فقلت «ما

(١) حوالي ١١٢٣

(٢) «تغب» في الاصل

(٣) «المشرعة» في الاصل

(٤) «سَرَهَنَك» فارسية معناها الزعيم

عملت؟ فقال «طعته والله». ولو لم اطعنه لفاطت روجي». فحمل عليه
فسي جمع اصحابه فطعنه وعاد. فكان هذا الشر عني سرهك وجُعة
بقوله:

لئن درك ما نطس^٥ شائير حران ليس عن التبرات برايد
أيقظت ورفلت^٥ [عنه (هـ)] ولم يتم حقا عليك وكيف نوم الجاعد
إن تمكس الأسام^٥ منك وعثها بما يكمل لك الصراع الزائد
وفد كان سرهك هذا من الفرمان المذكورين مقدماً في الأكراد، إلا
انه كان شاباً وجُعة رجل كهل له ميزة بالسن والتقدمية في الشجاعة

براز في صدر الاسلام

وذكرت^٦ بفعله سرهك ما فعله مالك بن الحارث (٦) الاشر، رحمه
الله، بابي مُسَيكة الأيدي

وذلك انه لما ارتدت العرب في أيام ابي بكر الصديق، رضوان الله
عليه، وعزم الله سبحانه له على قتالهم، جهز العساكر الى قبائل العرب
المرتدين. فكان ابو مُسَيكة الأيدي مع بني حنيفة وكانوا اشد العرب
شوكة. وكان مالك الاشر في جيش (٧) ابي بكر، رحمه الله. فلما
توافقوا برز مالك بين الصفين وصاح «يا ابا مُسَيكة!» فبرز له. فقال
«ويحك! يا ابا مُسَيكة، بعد الاسلام وقراءة القرآن رجعت الى الكفر؟»
فقال «يا مالك عني يا مالك! انهم يحرمون الخمر، ولا صبر عنها». قال «فهل
لك في المبارزة؟» قال «نعم». فالتقيا بالرماح والتقيا بالسيف.
فضربه ابو مُسَيكة فشق راسه وشر عينه [١١ ق] وتلك الضربة سُمي
الاشر

فرجع وهو معتق رقبة فرسه الى رحله. واجتمع له قوم من امله
واصدقائه يبكون. فقال لاحدهم «ادخل يدك في فمي». فادخل اصبعه

(هـ) ناقصة في الاصل

(٦) «مالك بن حرث» في الاصل

(٧) «حسي» في الاصل. «حسي» طبعة درنبروغ ص ٢٧

ففي فمه • فعضها مالك • فالتوى الرجل من الوجع • فقال مالك «لا بأس على صاحبكم • يقال اذا سلمت الأصراس سلم الرأس • احتنوها (يعني الصلبة) سويقاً وشدوها بصامة» • فلما حنوها وشدوها قال «هاتوا فرسي» • قالوا «الى اين؟» قال «الى ابي مُسيكة»

• فبرز بين الصفيين وصاح «يا ابا مُسيكة!» فخرج اليه مثل السهم • فضربه مالك بالسيف على كتفه فنقها الى سرجه فقتله • ورجع مالك الى رحله فبقي اربعين يوماً لا يستطيع الحراك • ثم ابلّ وعوفي من جرحه ذلك

سلامة المطعون ابن زمام

ومن ذلك ما شاهدته من سلامة المطعون، وقد ظن انه قد هلك، اتنا التقينا بوادٍ خيل شهاب الدين محمود بن قراجا (٨) وقد جاء الى ارضنا وكمن لنا كميناً • فلما توافقنا نحن وهو انتشرت خيلنا • فجاءني فارس من جندنا يقال له علي بن سلام نُميري وقال «اصحابنا قد انتشروا • ان حملوا عليهم اهلكوهم» • قلت «احبس عني اخوتي وبني عمي حتى اردهم» • فقال «يا امرأه، دعوا هذا يردّ الناس ولا تبعوه، والا حملوا عليهم قلعوهم» • قالوا «بمضي» • فخرجت أنا قل (٩) حصاني حتى رددتهم، وكانوا مسكين عنهم ليستجروهم ويتمكنوا منهم

فلما راؤني قد رددتهم حملوا علينا • وخرج كمينهم وأنا على فسخة من اصحابي • فرجعت مبارهم اريد احصي اعقاب اصحابي • فوجدت ابن عمي ليت الدولة يحيى، رحمه الله، قد جلب (١٠) من وراء اصحابي من قبلي الطريق وأنا في شاليه • فجنّاهم • فسرّع فارس من خيلهم يقال له فارس بن زمام، رجل عربي فارس مشهور، وجازنا يريد الطعن

(٨) أمير حماة

(٩) «أناقل» في الأصل

(١٠) «جلب» في الأصل • «جلب» طبة دربورغ ص ٢٨

فسي اصحابنا . فسبقي اليه ابن عسي . فطعنه . فوقع هو وحصانه ووقع
الرمح فقعة سمعتها انا واولئك

وكان الوالد رحمه الله ارسل رسولا الي شهاب الدين، فاخذ معه
لما جاء لقتالنا . فلما طعن فارس بن زمام ولم يبلغ منا ما اراد نفذ
الرسول من مكانه بجواب ما سار (١١) فيه، ورجع الي حماة . فسالت
الرسول «هل مات فارس بن زمام؟» قال «لا، والله، ولا فيه جرح» . قال
«ليث الدولة طعنه، وانا اراد، فرماه ورمى حصانه» . وسمعت فقعة كسر
الرمح . لما غنبه ليث الدولة من يساره مال (١١) على جانبه الايمن
وفي يده قنطاريته (١٢) . فوقع حصانه [١٢] و [على قنطاريته وهي على
وهدة، فانكسرت . وتذنب ليث الدولة برمحه، فوقع من يده . والذي
سمعت فقعة قنطارية فارس بن زمام . ورمح ليث الدولة احضروه . بين
يدي شهاب الدين، وانا حاضر، وهو صحيح ما فيه كسر، ولا في فارس
جرح» . فصبجت من غلامته . وكانت تلك الطعنة طعنة فيصل كما قال
عنترة:

الخيـلُ تـعلم والفـارسُ اشـي فرقتُ جـمـعهم بطـعنةٍ فيـصـل

ورجع جميعهم وكمنهم ما نالوا منه ما ارادوه

واليت المقدم من ايات لعنته بن شداد يقول فيها:

لمـي اـرؤـ من خـيـر عـبـس مـصـيـبـا	صـطـري وـاحـي مـاـري بـالـمـصـيـل (١٣)
واذا الكـتـيـبة احـبـبت فـتـلاـحـطـت	الفـيـت خـيـرا مـن مـعـم مـخـول
اـن المـنـيـة لو تـسـلـل مـسـلـت	مـيـلي اـذا نـزـلـوا بـضـك السـنـول
والخـيـل تـعـلم والفـارس اـتـسـي	فـرقتُ جـمـعهم بـطـعـة فيـصـل
ودعـوا نـزـال فـكـنت اـول نـازـل	وعـلام اـركـبـه اـذا لـم اـنـزـل

(١١) غير واضحة في الاصل

(١٢) بونا نة منهاها قناة الرمح وتطلق على الرمح كله

(١٣) كان والد عنترة عربياً ووالده جارية سوداء

أول قتال حضرة امامية

ومثل ذلك ما جرى لي على اقامية (١٤) * فان نجم الدين بن إيلغازي (١٥) بن أرتق، رحمه الله، كسر الأفرنج على البلاط (١٦)، وذلك يوم الجمعة خامس جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة (١٧)، وافناهم وقتل صاحب انطاكية روجار (١٨) وجميع فرسانه. فسار اليه عتيّ عزّ الدين ابو العساكر سلطان، رحمه الله. وتخلّف والدي، رحمه الله، في حصن شيزر، وقد وصّاه ان يسيرني الى اقامية بمن معي بشير من الناس وستفر الناس والعرب لنهب زرع اقامية. وكان قد هدف من العرب الينا خلق كثير

فلما سار عتيّ نادى المنادي بعد يوميات من مسيره * وسرت في نفر قليل، ما يلحق عشرين فارساً، ونحن على يقين ان اقامية ما فيها خيالة، ومعني خلق عظيم من النهاية والبادية. فلما مرنا على وادي ابو الميسون (١٩)، والنهاية والعرب متفرقون في الزرع، خرج علينا من الأفرنج جمع كثير * وكان قد وصلها تلك الليلة ستون فارساً وستون راجلاً * فكشفونا عن الوادي. فاندفعنا بين ايديهم الى ان وصلنا الناس الذين في الزرع ينتهبونه. فضجوا ضجة عظيمة. فهان علي الموت لهلاك ذلك العالم [١٢ ق] معي * فرجعت على فارس فسي أولهم قد القى عنه درعه وتخلف ليحوزنا من بين ايدينا. فطعته في صدره فطار عن سرجه ميتاً.

(١٤) شمالي شيزر. وهي اليوم قلعة المُنْفِق

(١٥) «س الفازي» في الاصل وهو امير ماردين. و«بن» هذه زائدة

(١٦) شمالي الأناط * «منتخبات من تاريخ حلب» لكمال الدين في *Recueil*

(باريز ١٨٨٤) *des historiens des croisades: historiens orientaux*

٦١٧:٣

(١٧) ١٤ آب سنة ١١١٩. وهو تاريخ موقعة دانيش. على ان موقعة البلاط

تلى قتل فيها روجار تاريخها ٢٨ حزيران

Roger (١٨)

Bohemond (١٩) تعريب

ثم استقبلت حلهم المتابعة فولّوا، وانا غرّ من القتال ما حضرت قتالا قبل ذلك اليوم، وتحتي فرس مثل الطير، الحق اعقابهم لاطعن فيهم ثم اجتن عنهم

وفي اخرهم فارس على حصان ادهم مثل الجمل بالدرع ولأمة الحرب انا خائف منه لا يكون جاذباً لسي ليعود علي، حتى رايته ضرب حصانه بمهمازه فلوح بذنبه. فعلمت انه قد اعياء. فحملت عليه طعته فتفد الرمح من قدامه نحو من ذراع، وخرجت من السرج لخفة جسمي وقوة الطعنة وسرعة الفرس. ثم تراجع وت جذبت رمحي وانا اظن اني قتله. فجمعت اصحابي وهم سالمون

وكان معي مملوك صغير يجزّ قرماً لي دهماء مجنوبة وتحته بغلة مليحة سروجية وعليها مركوب قليل فضة. فنزل عن البغلة وسبها وركب الحسجرة فطارت به الى شيزر. فلما عدت الى اصحابي وقد مسكوا البغلة ما كنت عن الغلام فقالوا «راح». فعلمت انه يصل شيزر ويشتغل قلب الوالد، رحمه الله. فدعوت رجلاً من الجند وقتلت «تسرع» الى شيزر تعرف والذي بما جرى»

وكان الغلام لمّا وصل احضره الوالد بين يديه وقال «اي شيء لقيتم؟» قال «يامولاي، خرج علينا الافرنج في الف. وما اظن احداً يسلم الا مولاي». قال «كيف يسلم مولاك دون الناس؟» قال «رايته قد لبس وركب الخضراء». هويحدثه وذلك الفارس قد وصله واخبره باليقين. ووصلت بعده. فاستخبرني، رحمه الله. فقلت «يامولاي، كان اول قتال حضرته. فلما رايت الافرنج قد وصلوا الى الناس هان علي الموت. فرجعت الى الافرنج لاقتل او احمي ذلك العالم». فقال، رحمه الله، متمثلاً:

يهرّ حبان القوم عن امّ رأسه وتحمي شجاع القوم من لا يلازمه
ووصل عتي، رحمه الله، من عند نجم الدين ايلغازي، رحمه الله
بعد ايام. فاناني رسوله يستدعيني في وقت ما جرت عادته فيه. فنجته

فإذا عنده رجل من الأفرنج . فقال «هذا الفارس قد جاء من أافية يريد
بصر الفارس الذي طعن قلب» (٢٠) الفارس . فان الأفرنج تهجوا [١٣] و
من تلك الطعنة وانها خرقت الزردية من طاقين وسلم الفارس . قلت
«كيف سلم؟» قال ذلك الفارس الأفرنجي «جاءت الطعنة في جليسة
خامسة» . قلت «نعم الاجل حصن حصين» . وماظنته يسلم من تلك الطعنة
قلت يجب على من وصل الى الطعن ان يشد يده وذراعه على الرمح
الى جانبه ويدع الفرس يعمل ما يعمل في الطعنة . فانه متى حرك يده
بالرمح او مدّها به لم يكن لطعنته تأثير ولا نكاية

يسلم بعد ان قطع شريان قلبه

وشاهدت فارساً من رجائنا يقال له ندى (٢١) بن تليل القشيري،
وكان من شجعاننا، وقد التقينا نحن والأفرنج وهو معرّى ما عليه غير ثوبين .
فطعنه فارس من الأفرنج في صدره فقطع هذه العصفورة التي في الصدر
وخرج الرمح من جانبه . فرجع وما نظنه يصل منزله حياً . فقدّر الله
سبحانه ان سلم وبراً جرحه . لكنه لبث سنة اذا نام على ظهره لا يقدر
يجلس ان لم يجلسه انسان باكتافه (٢٢) . ثم زال عنه ما كان يشكوه وعاد
الى تصرفه وركوبه كما كان

قلت فسبحان من نفذت مشيئته في خلقه يحيي ويميت وهو حي لا يموت
يده الخير وهو على كل شيء قدير (٢٣)

وأخر يموت من ابرة

كان عندنا رجل من المصطنعة، يقال له عتاب، اجسم ما يكون من
الرجال والطولهم . دخل بيته فأعتمد على يده عند جلوسه على ثوب بين

Philip (٢٠)

(٢١) «ندي» في الامل . ولعلها «ندي» «بدي» الخ .

(٢٢) كذا في الامل هيئة الجمع بدل المثنى

(٢٣) جابل القرآن ٣٠٠٢

يديه، كانت فيه ابرة، دخلت في راحته فمات منها. وبالله لقد كان
يئن^(٢٤) في المدينة فيسمع اتيه من الحصن لعظم خلقه وجهازة صوته.
يموت من ابرة وهذا القشيري يدخل في صدره قنطارية تخرج من جنبه
لا يصيبه شيء.

حوادث الزمر لكل

نزل علينا صاحب انطاكية^(٢٥)، لعنه الله، بفارمه وراجله وخيامه في
بعض السنين^(٢٦). فركبنا ولقيناهم نظن انهم يقاتلوننا. فجاءوا نزلوا
منزلاً كانوا ينزلونه، وهجموا في خيامهم. فرجعنا نحن الى آخر النهار.
ثم ركبنا، ونحى نظن انهم يقاتلوننا، فما ركبوا من خيامهم
وكان لابن عمي ليث الدولة يحيى غلة قد نجزت وهي بالقرب من
الافرنج فجمع دواب^(٢٧) يريد يمضي الى الغلة يحملها. فسرنا معه
في عشرين فارساً معدين، وقتنا بينه وبين الفرنج، السى ان حمل الغلة
ومضى. فعدلت انا ورجل من مولدنا يقال له حسام الدولة مسافر، رحمه
الله، الى كرم رأينا فيه [١٣ ق] شخوصاً، وهم على شط النهر^(٢٨). فلما
وصلنا الشخوص التي رأيناها، والشمس على مقيها، فاذا شيخ عليه
معرفة^(٢٩) امرأة ومعه آخر. فقال له حسام الدولة وكان، رحمه الله، رجلاً
جيداً كثير المزاج «ياشيخ، اي شيء تعمل هاهنا؟» قال «انتظر الظلام
واسترزق الله تعالى من خيل هاؤلاء البكّار». قال «ياشيخ، باسانك تقطع
عن خيلهم؟» قال «لا، بهذه السكين». وجذب سكيناً من وسطه مشدودة
بخط مثل شعلة النار، وهو بغير سراويل. فتركناه وانصرفنا
واصبحت من بكرة ركبنا انتظر ما يكون من الافرنج، واذا الشيخ

(٢٤) «يان» في الاصل

(٢٥) لعله بالدون الثالث

(٢٦) حوالي سنة ١١٢٢

(٢٧) «دوانا» في الاصل - (٢٨) العاصي

(٢٩) غطاء للرأس. قابل «عريف» في اللغة العامية

جالس في طريقي على حجر والدم على ماقه وقلعه وقد جمده . قلت
«يهشك السلامة، اي شي عملت؟» قال «أحدث منهم حصاناً وترماً ورمحاً .
ولحقني راجل، وأنا خارج من عسكرهم، طعنتي فَنَدَ القنطارية في فخذي .
وسبقَ بالحصان والنرس والرمح» - وهو مستقل (٣٠) بالطعنة التي فيه
كانها في سواه . وهذا الرجل يقال له الزُّمرُكل (٣١) من شياطين اللصوص
حدثني عنه الامير معين الدين (٣٢)، رحمه الله، قال «اغرتُ زمان مقامي
بحمص على شيرز وعدت آخر النهار نزلت على ضيعة من بلد حماة، وأنا
عدوٌ لصاحب حماة . (قال) فجاءني قوم معهم شيخ قد انكروه فقبضوه
وجأوني به . فقلت «يا شيخ اين انت؟» قال «بامولاي، انا رجل
معلوك شيخ زمين (واخرج يده وهي زمينة) قد اخذ لي العسكر عزيزين
جئت خلفهم لعل ان يصدّقوا علي بهما (٣٣) . فقلت لغوم من الجندارية
«احفظوه الى غد (٣٤) . فاجلسوه بينهم وجلسوا على اكام فروة عليه .
فاستغلهم في الليل وخرج من الفروة وتركها تحتهم وطار . فعدوا في
انره، سبقهم ومضى . (قال) وكنت قد نفقت بعض اصحابي في شغل فلماً
عادوا وفيهم جندار يقال له سومان (٣٥) قد كان يسكن بشيرز . فحدثته
حديث الشيخ قال «واحسرتني عليه! لو كنت لحقته كنت شربت دمه .
هذا الزُّمرُكل» . قلت «فأي شي بينك وبينه؟» قال «نزل عسكر الفرنج
على شيرز فخرجت ادور به لعل اسرق حصاناً منهم . فلماً اظلم الظلام
مشيت الى طُواله خيل بين يدي واذا هذا جالس بين يدي» فقال لي:

(٣٠) من استقلال اي عدو قليلا

(٣١) يصعب ضبط الحركات في هذه الكلمة

(٣٢) أنشأ

(٣٣) «بها» في الامل

(٣٤) «عدا» في الامل . «عدا» طبة دربورغ ص ٣٧

(٣٥) «سومان»؟

الى اين؟ قلت: آخذ حصاناً (٣٦) من هذه الطوالة. قال: [١٤] وانا من العشاء انظرها حتى تأخذ انت الحصان! قلت: لا تهذ (٣٧). قال: لا تفتري. والله، ما ادعك تأخذ شيئاً. فما التفت الى قوله ويمت الى الطوالة. فقام وصاح باعلى صوته: وافقري! واخية تعبي وسهري! وصيبح حتى خرج علي الافرنج. فاما هو فطار. فطردوني حتى رميت نفسي في النهر، وما ظننت اني اسلم منهم. ولو لحقته كنت شربت دمه. وهو لص عظيم. وما تبج العسكر الا يسرق منه». فكان هذا الرجل يقول من يراه «مسا في (٣٨) هذا يسرق رغيف حبز من بيته»

سرقة الخيل

ومن عجيب ما اتفق في السرقة ان رجلاً كان يخدمني يقال له علي بن الدود وبنه من اهل منكبر (٣٩). نزل يوماً (٤٠) الافرنج، لعنهم الله، على كفر طاب، وهي اذ ذاك لصلاح الدين محمد بن ايوب الغسياني (٤١)، رحمه الله. فخرج هذا علي بن الدود وبنه دار بهم واخذ حصاناً ركه وخرج به من العسكر بر كض، وهو يسمع الحس خلفه ويعتقد ان بعضهم قد ركب في طلبه، وهو مجدد في الركض والحس خلفه حتى ركض قدر فرسخين والحس معه. فالتفت بصر ما خلفه في الظلام، واذا بقلعة كانت تألف الحصان قد قطعت موقودها وتبعته. فوقف حتى شد فوطته في رأسها واخذها واصبح عندي فسي حماة بالحصان والبقلة. وكان الحصان من اجود الخيل واحسنها واسبقها

(٣٦) «حصان» في الاصل

(٣٧) «تهدي» في الاصل

(٣٨) عامة

(٣٩) «منكبرين»؟ «منكبر» طبعة دنيبورغ ص ٣٣ حيث هي اسم نكرة لا علم

«Muthakir» في ترجمة Shumann ص ٧٥

(٤٠) بين سنة ١١٣٥ و ١١٣٨

(٤١) اختصار «الياغسياني» . Recueil ٨٦٣:١

اتابك يتولي على حصان أسامة

كنت يوماً عند اتابك وهو يحاصر رقبة (٤٢) وقد استدعاني فقال لي «يا فلان، أي شيء من حصانك الذي خيَّته (٤٣)؟» وكان قد بلغه خبر الحصان. قلت «لا، والله يا مولاي، ما لي حصان مخبيء». حصني كلها في العسكر». قال «فالحصان الأفرنجي؟» قلت «حاضر». قال «انفذ احضره». انفذت احضرته وقلت للفلان «امض به الى الاصطبل». قال اتابك «اتركه الساعة عندك». ثم اصبح سبق، فسبق، وردَّه الى اصطبلي. وعاد استدعاه من البلد وسبق به فسبق. فحملته الى اصطبل

سهم في حلق

وشاهدت في الحرب عند انتهاء المدة: كان عندنا رجل من الجند يقال له رافع الكلبي، وهو فارس مشهور. اقتلنا نحن وبنو قراجا وقد جمعوا لنا من التركمان وغيرهم وحشدوا وباسطناهم على فسحة من البلد. ثم تكاثروا علينا فرجعنا وبعضنا يحمي بعضاً. وهذا رافع في من يحمي الأعقاب، وهو لا يس كزاغند (٤٤) وعلى رأسه خوذة بلا لسان. فالتفت لعلَّه يرى فيهم فرصة [١٤ ق] فيتحرف عليهم، فضر به سهم كشما (٤٥) في حلقه ذبحه. ووقع مكانه ميتاً

طلعة في قرص

وكذلك شاهدت شهاب الدين محمود بن قراجا، وقد انصلح ما بيننا وبينه، وقد نفَّذ الى عمي يقول له «تأمّر أسامة يلقاني هو وفارس واحد

(٤٢) بين حمص وحماة. راجع R. Dussaud, *Topographie historique*

de la Syrie antique et médiévale (باريز ١٩٢٧) ٩٨ - ١٠١

(٤٣) عامة فصيحها «خيَّته»

(٤٤) فارسية «كزاغند» «كزاجند» - منيرة سبيكة تقوم مقام الدرع في القتال

(٤٥) «كشما» في الأصل - وهي غير واضحة - ولقد وردت ادماء من ١٩٦٦ م

التي كركة [١] لنمضي بنصر موضعاً تكمن فيه لأفامية وتقاتلها». فأمرني عمتي بذلك. فركبت ولقيته وابصرنا المواضع ثم اجتمع عسكرينا وعسكره (٤٦)، وأنا على عسكر شيزر وهو في عسكره، وسرنا إلى أفامية. فلقينا فارسهم وراجلهم في الخراب الذي لها وهو مكان لا يتصرف فيه الخيل من الحجارة والأعمدة وأصول الحيطان الخراب. فعجزنا عن قلعهم من ذلك المكان. فقال لي رجل من جنودنا «تريد تكسرهم؟» قلت «نعم». قال «أقصد بنا باب الحصن». قلت «سروا». وندم القاتل وعلم أنهم يدسوننا ويجوزون إلى حصنهم. فأراد أن يردني عن ذلك، فابيت وقصدت الباب

فساعة ما رأنا (٤٧) الفرنج قاصدين الباب عباد البنا فارسهم وراجلهم فداسوننا وجازوا. ترجل الفرمان داخل باب الحصن واطلعوا خيلهم إلى الحصن وصغفوا عوالي قنطارياتهم في الباب، وأنا وصاحب لي من مولدي أبيي، رحمه الله، اسمه رافع بن سوتكين [٢] وقوف تحت السور مقابل الباب وعلينا شيء كثير من الحجارة والنشاب. وشهاب الدين واقف في موكب بعيد منهم على خوف الأكراد. فقد طعن صاحب لنا يقال له حارثة الثميري نسيب (٤٨) جبهة في صدر فرسه طعنة معترضة. ونزلت (٤٩) القنطارية في الفرس فتخبطت حتى (٥٠) وقعت القنطارية منها ووقعت جلدة صدرها جميعها، فبقيت مسلة على أعضائها

في زند

وشهاب الدين بمنزل عن القتال. فجاء سهم من الحصن فضربه في جانب عظم زنده فما دخل في جانب عظم زنده مقدار طول شعيرة. فجاءني

(٤٦) سنة ١١٢٤

(٤٧) «راونا» في الأصل. عامية

(٤٨) «النشري» بسبب طبعة دربورغ ص ٣٥

(٤٩) «ونزل» في الأصل

(٥٠) مكررة في الأصل

رسوله يقول «لا تزُلْ» (٥١) مكانك حتى تجمع الناس الذين تفرقوا في البلد. فانا قد جُرُحت وكأني احسُّ الجرح في قلبي. وانا راجع، فاحفظ انت الناس». ومضى ورجعت انا بالناس نزلت على برج خريبة (٥٢). وكان الافرنج لهم عليه ديدبان يكشفنا اذا اردنا الغارة على اقامية

ووصلت العصر الى شيزر وشهاب الدين في دار والذي يريد يتحلَّ جرحه ويداويه، وعمتي قد منعه وقال «والله، ما تحلَّ جرحك الا في دارك». قال «انا في دار والذي» - يعني الوالد، رحمه الله. قال «اذا» (٥٣) [١٥] وصلت دارك وبرأ جرحك دار والدك بحكمك» فركب المغرب وسار الى حماة. فاقام الغد وبعد الغد ثم اسودت يده وغاب عنه رشده ومات. وما كان به الا فراغ الاجل

طعنة تقطع عدة اخلاص

وشاهدت من الطعنات العظيمة طعنة طعنها فارس من الافرنج، خذلهم الله فارساً من اجنادنا يقال له سابه (٥٤) بن قُتَيْب كلابي قطع له ثلاثة اخلاص من جانبه اليسار وثلاثة اخلاص من جانبه الايمن وضرب شفاة الحربة ميرفته ففصله كما يفصل الجزار المفصل. ومات لساعته

واخرى تقطع الزرد

وطعن رجل من اجنادنا كردي يقال له مِيَّاح فارساً من الافرنج ادخل قطعة من الزرد في جوفه وقتله. ثم ان الافرنج غاروا علينا بعد ايام، وميَّاح قد تزوج وخرج، وهو لا يس وفوق درعه ثوب احمر من ثياب

(٥١) «تزول» في الاصل

(٥٢) غير واضحة في الاصل حيث وردت «مسفار» أو «سفان» قبل «خريبة» (أو «خربت»). وفوق «مسفار» علامة كاليم اما يتحد منها شطب الكلمة أو تأخير ما قبل «حسن الخربة» ادناه من ٧٨ س ١٥

(٥٣) «قال اذا» مكررة

(٥٤) «ساه» في الاصل

العروس (٥٥)، قد تشهر به. فطعته فارس من الاقرنج قتلته، رحمه الله. «ياقرب ما تمه من العرس!»

فذكرت به الخبر عن النبي، صلى الله عليه وسلم، وقد أئند قول قيس بن الخطيم:

أجاليدهم يوم الحيفة حاسراً كان يدي بالسيف ميخراقاً لا يصيب (٥٦)
فقال النبي صلى الله عليه للحاضرين من الانتصار، رضي الله عنهم وهل
حضر احد منكم يوم الحديقة؟ (٥٧) فقال رجل مناهم «انا حضرته،
يا رسول الله، صلى الله عليك وسلم، وحضره قيس بن الخطيم وهو قريب
عهد بالعرس وعليه ملاء حمراء» فوالذي بعتك بالحق لقد عمل في
قائه كما قال عن نفسه

ونائلة تنفذ في صدر الاقرنجي

ومن عجائب الطعن ان رجلاً من الاكراد يقال له حَمَدَات كان قديم
الصحة قد سافر مع والديه، رحمه الله، الى اصبهان الى درگاه (٥٨)
السلطان ملكشاه (٥٩). فكبر وضعف بصره ونشأ له اولاد. فقال له
عمي عز الدين، رحمه الله، «يا حَمَدَات، قد كبرت وضعفت. ولك علينا
حق وخدمة. فلو لزمنا مسجدك (وكان له مسجد على باب داره) واثبتنا
اولادك في الديوان ويكون لك انت كل شهر ديناران وحمل دقيق وانت
في مسجدك». قال «افضل يا امير». فأجرى له ذلك مديدة
ثم جاء الى عمي وقال «يا امير، والله ما تطاوعني نفسي على القعود

(٥٥) يعني الرئيس

(٥٦) الاصبهاني «كتاب الاغانى» (يولاق ١٧٨٥ - ١٧٨٦: ٢)

(٥٧) بجوار المدينة. واليوم هذا من ايام العرب وقت حوادثه بين الأوس

والخزرج. ياقوت «معجم البلدان» ٢: ٢٢٦

(٥٨) فارسية «درگاه» - بلاط، ديوان. وكان ذلك سنة ١٠٨٥

(٥٩) السجرتي المتوفى سنة ١٠٩٢

في البيت . وقتلي على فرسي اتهي الي من موتي على فراشي . قال
«الامر لك» . وامر (٦٠) [١٥ ق] برد ديوانه عليه كما كان

فما مضى الا الايام القلائل (٦١) حتى غار علينا السرداني (٦٢)
صاحب طرابلس . ففرغ الناس اليهم ، وحمدات في جملة الروع ، فوقف
على رفعة من الارض مستقبل القبلة . فحمل عليه فارس من الافرنج من
غربيته . فصاح اليه بعض اصحابنا «ياحمدات!» فالتفت رأي الفارس
قاصده . فرد رأس فرسه شمالا (٦٣) وسك رمحه بيده ومدّه الي صدر
الافرنجي ، فطعنه نفذ الرمح منه . فرجع الافرنجي متعلقاً برقبة حصانه
في اخر رمقه . فلما انقضى القتال قال حمدات لعلمي «ياامير، لو ان
حمدات في المسجد من كان طعن هذه الطعنة؟»

فاذكرني قول الفند الزماني (٦٤)

ايّا طعنة ما شين كثير يفسد بالي
تفتت بها اد كسره الشكك امشالي

وكان الفند قد كبر وحضر القتال فطعن فارسين مقربين فرماهما جميعاً
طعنة تودي بفارسين وفارسين

وقد كان جرى لنا مثل ذلك: وهو ان فلاحاً من العلاء جاء يركض
الي ابي وعمي، رحمهما الله، قال «شاهدت سرية افرنج تائهن قد جاوا
من البرية» . لو خرجتم اليهم اخذتموهم» . فركب ابي وعمي وخرجوا
بالعسكر الي السرية التائهة واذا به السرداني صاحب طرابلس في

(٦٠) مكررة

(٦١) سنة ١١٠٨

(٦٢) William Jourdain هو كونت Cerdagne

(٦٣) «شال» في الامل

(٦٤) سهل بن شيان خاير جاملي

ثلاثمائة فارس ومائتي تركبولي (٦٥)، وهم رماة الافرنج. فلما راوا اصحابنا ركبوا خيلهم واطلقوا على اصحابنا هزموم، وتموا (٦٦) يطردونهم. فاحرف عليهم مملوك لوالدي يقال له ياقوت الطويل، وامي وعمي، رحمهما الله، يريانه. فطعن فارساً منهم الى جانيه فارس آخر، وهما يتحان اصحابنا. فرمى الفارسين والفارسين

وكان هذا الغلام كثير التخليط والزلات لا يزال قد فعل فعلة يجب تأديبه عليها. فكلنا هم والدي به وبناؤديه يقول عمي «ياخي، بحياتك هب لي ذنبه ولا تنس (٦٧) له تلك الطعنة». فيصفح عنه لكلام اخيه وكان حمدات الذي تقدم ذكره ظريف الحديث. حدثني والدي، رحمه الله، قال «قلت لحمدات ونحن ماثرون في طريق اصبهان سحراً «امير حمدات، اكلت اليوم شيئاً؟ قال نعم يا امير - اكلت ثريدته». قلت «ركبنا في الليل وما [١٦] و] نزلنا ولا اوقدنا ناراً». من اين لك الثريدته؟ قال «يا امير عملتها في فمي». اخلط في فمي الخبز واشرب عليه الماء يصير كالثريدته»

والد اسامة مقاتلاً

وكان الوالد رحمه الله، كثير المباشرة للحرب وفي بدنه جراح هائلة. ومات على فراشه. وحضر يوماً القتال وهو لا بس وعليه خوذة اسلامية بانف فزرقه رجل بحربة - وكان معظم قتالهم مع العرب ذلك الزمان - فوقعت الحربة في انف الخوذة فانطوى وادمى انفه ولم يؤذ. ولو كان قد ر الله سبحانه ان يميل المزراق عن انف الخوذة كان اهلكه.

(٦٥) تعريب Turcopole جندي في خدمة الافرنج آباؤهم اترك (او عرب) وامهاتهم يونان. ذكرهم عماد الدين الكاتب «الفتح القسي» (لیدن ١٨٨٨) ص ٤٢٥ وغيره من مؤرخي الافرنج. راجع Hitti, An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades (نيويورك ١٩٢٩) ص ٧٩ جاشيه ٤٢

(٦٦) «و هو ماء في الامل» عامية بمعنى «وما زالوا»

(٦٧) «سي» في الامل

وضرب مرة أخرى بنسابة في ساقه، وفي خفته دُفني (٦٨)، فوقع السهم في الدفن فانكسر فيه ولم يجرحه. هذا لحسن دفاع الله تعالى وشهد، رحمه الله، الحرب يوم الأحد تاسع وعشرين شوال سنة سبع وتسعين وأربعمائة (٦٩) مع سيف الدولة خلف بن مُلّاعب الأشعبي (٧٠) صاحب أفاية بارض كفرطاب. فليس جوشه، وعجّل الغلام عن طرح كلاب الجوشن من الجانب. فجاءه خشت (٧١) فصر به في ذلك الموضع الذي احلّ الغلام بستره فوق بزّه أليس خرج الخشت من فوق بزّه الأيمن. فكانت اباب السلامة لما جرت بها الميثة من العجب، والجرح لسا قدره الله سبحانه من العجب

قطعن، رحمه الله، في ذلك اليوم فارساً واحرف حصاه ونى يده برمحه وجذبه من المطعون. فحدثني قال «حست شيئاً قد لدع زندي، فظنته من حرارة مفائح الجوشن. الا ان رمحي مقط من يدي، فرددتها فاذا قد طُعت في يدي وقد استرخت لقطع شيء من الاعصاب». فحضرت، رحمه الله، وزيد الجرائحي يداوي جرحه، وعلى راسه غلام واقف، فقال «يازيد، اخرج هذه الحصاة من الجرح». فما كلمه الجرائحي. فعاد فقال «يازيد ما تبصر هذه الحصاة؟ ما (٧٢) تزيلها من الجرح!» فلما اصجره قال «اين الحصاة؟ هذا راس عصب قد انقطع». وكان بالحقيقة ايضاً كأنه حصاة من حصا الفرات وامابه ذلك اليوم طعنة اخرى وسلم الله حتى مات على فراشه، رحمه

(٦٨) ١ «دشن». فارسية «دشنت» - خنجر

(٦٩) ٢٥ تموز سنة ١١٠٤

(٧٠) ذكره ابن نوري بردي «النجوم الزاهرة» (جامعة كليفورنيا) جلد ٢٠ حر ٢٠

ص ٢٨٤ و ٢٨٧

(٧١) فارسية معناها حربة

(٧٢) يظهر ان اتصال «ا» هنا وفي غير مواضع هو للامر (كما في اللغة العباسية

اليوم) ولست للاستفهام

الله، يوم الاثنين ثامن شهر رمضان سنة احدى وثلاثين وخمس مائة (٧٣)

والد اسامة ناسخاً

وكان يكتب خطاً مليحاً، فما غيّرت تلك الطلعة من خطه. وكان لا ينسخ سوى القرآن. فساله يوماً فقلت «يامولاي كم كتبت ختمة؟» قال «الساعة تعلمون». فلما حضرته الوفاة قال «في ذلك الصندوق مساطر كتبتُ على كل مسطرة ختمة ضعوا [١٦ ق] (يعني المساطر) تحت خدي في القبر». فعدناها فكانت ثلاثاً وأربعين مسطرة فكان كتب بعدتها ختمات: منها ختمة كبيرة كتبها بالذهب وكتب فيها علوم القرآن قراءته وغريبه وعريبه وناسخه ومنسوخه وتفسيره وبب نزوله وقضيه، بالبحر والحبرة والزرق، وترجمه بالتفسير الكبير. وكتب ختمة اخرى بالذهب مخرّجة من التفسير. وبقي الختمات بالجبر مذهبة الاعشار والاحماس والآيات وروس السور وروس الاجزاء. وما يقتضي الكتاب ذكر هذا وانما ذكرته لاستدعي له الرحمة ممن وقف عليه

غلام يفتدي مولاه

اعود الى ما تقدم

وفي ذلك اليوم (٧٤) اصاب غلاماً كان لعسي عز الدولة ابي المرحف نصر، رحمه الله، يقال له موقق الدولة شمعون طعنة عظيمة القهاها دون عسي عز الدين ابي العساكر سلطان، رحمه الله. واتفق ان عسي ارسله رسولا الى الملك رضوان بن تاج الدولة تُنْشِش الى حلب. فلما حضر بين يديه قال لغلمانه «مثل هذا يكون الغلمان واوlad الحلال في حق مواليتهم». وقال لشمعون «حدثهم حديثك ايام والدي وما فعلته مع مولاك». فقال «يامولاتنا، بالامس حضرت القتال مع مولاي فحمل عليه

فارس يطعنه . فدخلت بيته وبين مولاي لافديه بنفسي فطعنتي قطع من اخلاعي خلعين وهي (٧٥) - ونعمتك - عندي في قمطرة . فقال له الملك رضوان «والله، ما اعطيك الجواب حتى تنفذ تحضر القمطرة والافلاع» . فاقام عنده وارسل من احضر القمطرة وفيها عظماء من اخلاعه . فعجب رضوان من ذلك وقال لامحابه «كذا اعملوا في خدمتي»

فامّا الامر الذي سأل عنه ايام والده تاج الدولة فان جدي سديد الملك ابا الحسن علي بن مقلّد بن نصر بن منقذ، رحمه الله، سيّر ولده عزّ الدولة نصرًا (٧٦)، رحمه الله، الى خدمة تاج الدولة وهو معسكر بظاهر حلب . فقبض عليه واعتقله ووكل به من يحفظه . وكان لا يدخل اليه سوى مملوكه هذا شمعون والموكّلون حول الخيمة . فكتب عني الى ابيه، رحمهما الله، يقول «تنفّذ لي في الليلة الفلانية (وعينها) قوماً من اصحابه (ذكرهم) وخليلاً اركبها الى الموضع الفلاني» . فلما كانت تلك الليلة دخل شمعون خلع ثيابه فلبسها مولاه وخرج على الموكّلين في الليل، فما انكروه، ومضى الى اصحابه وركب وسار . ونام شمعون في فراشه

وجرت العادة ان يجيئه شمعون في السحر بوضوئه فكان، رحمه الله، من الزهاد القائمين [١٧ و] لي لهم يتلون كتاب الله تعالى . فلما اصبحوا ولم يروا شمعون دخل كعادته دخلوا الخيمة فوجدوا شمعون وعزّ الدولة قد راح . فانهوا ذلك الى تاج الدولة . فامر باحضاره . فلما حضر بين يديه قال «كيف عملت؟» قال «اعطيت مولاي ثيابي لبسها وراح، ونمت انا في فراشه» . قال «وما خشيت ان اضرب رقبتك؟» قال «يا مولاي، اذا ضربت رقبتني وسلم مولاي وعاد الى بيته فانا السعيد بذلك» . ما اشراني ورباني الا لافديه بنفسي»

فقال تاج الدولة، رحمه الله، لحاجبه «سلم الى هذا الغلام خيل مولاه

(٧٥) هكذا في الاصل . والاصح «وعيا»

(٧٦) «سمر» في الاصل

ودوابه وخيامه وجميع بركه، وسيره يتبع صاحبه» • وما انكر عليه وما احقته ما فعل في خدمة مولاه • فهذا الذي قال له رضوان «حدث اصحابي ما عملته ايام والدي مع مولاك»
اعود الى حديث الحرب المقدم ذكرها مع ابن ملأب

عم أسامة يُطعن في جفن عينه

وجرح عمي عز الدولة، رحمه الله، فسي ذلك اليوم عدة جراح منها طعنة طعنها في جفن عينه السفلائي من ناحية المائق • ونشب الرمح في المائق عند موخر العين فسقط الجفن جميعه وبقي معلقاً بجلده من موخر العين، والعين تلعب لا تستقر • وانما الجفون التي تمسك العين • فخطاها الجرائحي وداواها فعاادت كحالها الاولة (٧٧) لا تُعرف العين المطعونة من الاخرى

شجاعة عم أسامة ووالده

وكانا، رحمهما الله، من اشجع قومهما • ولقد شهدتهما يوماً وقد خرجا الى الصيد بالبزاة نحو تل ملح (٧٨) وهناك طير ماء كثير • فما شعرنا الا وعسكر طرابلس قد اغار (٧٩) على البلد ووقفوا عليه • فرجعنا وكان الوالد من اثر مرض • فاما عمي فخفف بمن معه من العسكر ومار حتى عبر من المخاض الى الافرنج، وهم يرونه • واما الوالد فسار والحصان يخب به، وانا معه صبي (٨٠) وفي يده سرجلة يمتص منها • فلما دنونا من الافرنج قال لسي «امض انت ادخل من السكر» وعبر هو من ناحية الافرنج

(٧٧) كذا في الاصل • وقد تكررت ادناؤه ٨٨ مرة و١٠٤ س ٢١

(٧٨) "Meleh" أو "Mellah" في Dussaud مرة ٢٠٨

(٧٩) «غار» في الاصل • عامية • وهذه حلة الكونت برتراند Bertrand

سنة ١١١٠

(٨٠) كان عمر أسامة ١٥ سنة

ومرة أخرى شاهده وقدم اغارت (٨١) علينا خيل محمود (٨٢) قراجاء ونحن على فحة من البلد (٨٣)، وخيل محمود أقرب الي وانا قد حضرت القتال ومارست الحرب. فلبست كزاغندي و حصاني واخذت رمحي، وهو، رحمه الله، على بغلة. فقلت «يا ما تركب حصانك!» قال «بلى» ومار كما هو غير منزعج ولا مست وانا لخوفي عليه الح عليه في ركوبه حصانه، الى ان وصلنا الى ا وهو على بغلته. فلما عاد اولئك واما قلت «يامولاي، ترى العا حال بيتنا وبين البلد وانت لا تركب بعض جنائبك [١٧ ق] وانا اخ فلا تسمع!» قال «ياولدي، في طالعي انني لا ارتاع»

وكان، رحمه الله، ايد الطولى في النجوم مع ورعه ودينه و الدهر وتلاوة القرآن. وكان يحرفني على معرفة علم النجوم واستع. فيقول «فاعرف اسماء النجوم: ما يطلع منها ويغرب». يريني النجوم ويحرفني اسمها

مكية افرنجية علي شيزر

ورأت من إقدام الرجال ونخواتهم في الحرب اننا اصبحنا وقت الصبح (٨٤) رأينا سرية من الافرنج، نحواً من عشرة فوارس، جاؤ باب المدينة (٨٥) قبل [ان] يفتح. فقالوا للبواب «اي شي اسم البلد؟» والبواب خشب بينهما [!] عوارض، وهو داخل الباب. قال «شيزر فرموه بنشاب من خلل الباب ورجعوا وخيلهم تخب بهم. فركبنا

(٨١) «اغارت» في الاصل

(٨٢) شهاب الدين امير حماة. وذلك سنة ١١٢٠

(٨٣) ذلك القسم من شيزر الواقع ضمن القلعة. اما القسم الواقع على النهر الجسر فهو «الديبة». والافرنج أطلقوا على «البلد» اسم praesidium او oppidum وعلى «المدينة» suburbium وعلى حصن الجسر Gistrum

(٨٤) من سنة ١١٢٢ في الراجع

(٨٥) ذلك القسم من شيزر الواقع على النهر بقرب الجسر

عسي، رحمه الله، أول راكب وانا معه، والافرنج راثجون غير مترعجين يلدحنا (٨٦) من الجند نفر. فقلت لعسي «على امرك آخذ اصحابنا واتبعهم اقلعهم وهم غير بعيدين». قال «لا، (وكان اخبر مني بالحرب) في الشام افرنجي لا يعرف شيز؟ هذه مكيدة»

ودعا فارسين من الجند على فرسين سوابق [!] وقال امضيا اكشفا تل ملح. وكان مكنتا للافرنج. فلما شارفا خرج عليهما عسكرا نطاكية جميعه فاستقبلنا متسرعيهم نريد الفرسة فيهم قبل ركود الحرب، ومعنا جمعة الثميري وابنه محمود، وجمعة فارسا وشيخنا. فوقع ابنه محمود في وسطهم فصاح جمعة «يافرسان الخيل! ولدي!» فرجنا معه في مئة عشر فارسا طعنا مئة عشر فارسا من الفرنج واخذنا صاحبنا من بينهم، واختلطنا نحن وهم حتى اخذ واحد رأس [ابن] جمعة تحت ابطه، فخلص بعض تلك الطعنات

أسماء وجمعة يهزمان ثمانية فرسان

ومع هذا فلا يثق انسان بشجاعته ولا يصحب باقدامه. فوالله لقد سرت مع عسي، رحمه الله، اغرنا (٨٧) على اقلية. واتفق ان رجالها خرجوا ليسيروا قافلة فيسروها، وعادوا، ونحن لقيناهم فقتلنا منهم قدر عشرين رجلا. ورايت جمعة الثميري، رحمه الله، وفيه نصف قطارية قد طعن بها في لبد السرج وخرج الرمح من البداد الى فخذه، ونفذ الى خلفه، فانكسرت القطارية فيه. فراعني ذلك. فقال «لا بأس، انا سالم». ومسك سنان القطارية وجذبها منه، وهو وفره سالمان

فقلت «يا ابا محمود، اشتهي اقرب [١٨ و] من الحصن ابصر». قال «سر». فرحت انا وهو نخب فرينا. فلما اشرفنا على الحصن اذا من الافرنج ثمانية من الفرسان وقوف على الطريق وهي مشرفة على الميدان

(٨٦) ولملها «فلحنا»

(٨٧) «غرنا» في الاصل. وذلك حوالي سنة ١١٢٤

من ارتفاع لا يترك منه الا من تلك الطريق . فقال لي جماعة وقف حتى اريك ما اصنع فيهم . قلت «ما هذا انصاف» بل نحمل عليهم انا وانت . قال «سر» . فحملنا عليهم فهزمناهم ورجعنا نحن نرى اننا قد فعلنا شيئا ما يقدر يفعله غيرنا - نحن اثنان قد هزمنا ثمانية فرسان من الافرنج

ثم يهزمهما رُوَيْجِلٌ

فوقفنا على ذلك الشرف ننظر الحصن، فما راعنا الا رُوَيْجِلٌ قد طلع علينا من ذلك السند الصعب معه قوس ونشاب، فرمانا، ولا سبيل لنا اليه فهزمناه، والله ما مدقنا تتخلص منه وخيلنا بالمة . ورجعنا دخلنا مرج اقامية فسقنا منه غنمة كبيرة (٨٨) من الجواميس والبقر والغنم . وانصرفا وفي قلبي من ذلك المراحل الذي هزمنا حسرة الذي (٨٩) ما كان لنا اليه سبيل، وكيف هزمنا راجل واحد وقد هزمنا ثمانية فرسان من الافرنج

المداواة بالعلل

وشهدت يوماً وقد اغارت (٩٠) علينا خيل كفرطاب فسي قلعة فزعنا (٩١) اليهم طامعين فيهم لقلتهم، وقد كمنوا لنا كميناً في جماعة منهم . وانهزم الذين اغاروا (٩٢) فقبضناهم حتى ابعدنا عن البلد . فخرج الينا الكمين ورجع الينا الذين كئاً نطردهم . فراينا اننا انهمزنا قلعونا كلنا . فالتقيناهم مستقيلين (٩٣) . فصر الله عليهم . فقلعنا منهم ثمانية عشر فارساً: منهم من طعن فمات، ومنهم من طعن فوق وهو سالم، ومنهم من طعن حصانه فهو راجل فحجب الذين في الارض منهم سالمون سيوفهم ووقفوا كل من اجتاز

(٨٨) «كسرة في الامل

(٨٩) في العاية «التي» . هنا وادناه ص ٦٣ ص ٧

(٩٠) «غار» في الامل ص ٦٢ ص ٩

(٩١) «مرصا» في الامل

(٩٢) «غاروا» في الامل

(٩٣) «مستقيلين» طبعة درنيورغ ص ٤٣

بهم ضربوه . فاجتاز جماعة الشيرازي، رحمه الله، بواحد منهم فخطأ إليه وضربه على رأسه، وعلى رأسه قلنسوة، فقطعها وشق وجهه وجرى منها الدم حتى نزح . وبقيت مثل فم السمكة مفتوحة . فلقينه ونحن في ما نحن فيه من الأفرنج فقلت له « يا أبا محمود، ما تعصب جرحك! » فقال « ما هذا وقت العصائب وشد الجراح » . وكان لا يزال على وجهه خرقه سوداء وهو رمد وفي عينيه عروق حمراء . فلما أصابه ذلك الجرح وخرج منه الدم الكثير زال ما كان يشكوه من عينيه ولم يعد يناله منهما رمد ولا ألم : « فربما صححت الأجسام بالعلل » (٩٤)

استخلاص ابن عم أسامة من أيدي الأفرنج

[١٨ ق] وأما الأفرنج فانهم اجتمعوا بعد ما قتلنا منهم من قتلنا ووقفوا مقابلتنا . فجاءني ابن عمي ذخيرة الدولة أبو القنا خطام، رحمه الله، فقال « يا ابن عمي، معك جنيتان وأنا على هذا الفرس الحطيم » . قلت للفلان « قدّم له الحصان الأحمر » . فقدّمه له . فساعة ما استوى في سرجه حمل على الأفرنج وحده فافرجوا له حتى توسّطهم وطعنوه رموه، وطعنوا الحصان وأقلبوا قطاريتاتهم وصاروا يركضونه بها، وعليه زردية حصينة ما تحمل رماحهم فيها . فصايحنا « صاحبكم! صاحبكم! » وحملنا عليهم فهزمتهم عنه واستخلصناه وهو سالم . وأما الحصان فمات في يومه . فبجّح المسلم القائد

وتلك الواقعة إنما كانت لسعادة جماعة وشفاء عينيه . فبجّح القائد «وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم» (٩٥)

ضربة سكن تشفي من الاستقاء

وقد جرى لي مثل ذلك . كنت بالجزيرة في عسكر اتابك (٩٦) فدعاني

(٩٤) «لعلّ عنبك محمود وابنه فربما صحت الأجسام بالطلل» - للمتنبّي

(٩٥) القرآن ٢: ٢١٣

(٩٦) زنكي

مديق لي الى داره ومعى ركابي اسم غنيم قد استقى ودقت رقبته وكبر جوفه وقد تقرب معي، فانسا ارضي له ذلك . فدخل بالبطلة السى امطبل ذلك الصديق هو وغللمان الحاضرين . وعندنا شاب تركي سكر وغلب عليه البكر، فخرج السى الامطبل جذب سكينه وهجم على الغلمان . فانهزموا وخرجوا . وغنيم لضعفه ومرضه قد طرح السرج تحت راسه ونام . فما قام حتى خرج كل من في الامطبل . فضربه ذلك السكران بالسكين تحت سترته فشق من جوفه قدر اربع اصابع . فوقع موضعه . فضله الذي دعانا، وهو صاحب قلعة باشرا [٢] (٩٧)، الى دارى، وحمل الذي جرحه وهو مكتوف مع السى دارى . فاطلقتة . وتردد اليه الجراحى فصلح ومشى وتصرف . الا ان الجرح ما ختم . وما زال يخرج منه مثل القشور وماه اصفر مدة شهرين . ثم ختم وضمر جوفه وعاد الى الصحه . فكان ذلك الجرح سببا لعافيته

شوكة تنفي عين باز

ورأيت يوما البازدار قد وقف بين يدي والدي، رحمه الله، وقال «يامولاي، هذا الباز قد لمضه حصي» (٩٨) وهو يموت . وعينه الواحدة قد تلفت . فتصيده به . فهو [١٩ و] باز خاطر وهو تالف . فخرجنا الى الصيد وكان معهما، رحمه الله، عدة بزاة . فرمى ذلك الباز على دراجة وكان يهجم في النيج . فتبجت (٩٩) الدراجة في اجمة (١٠٠) غلفاء . ودخل الباز معها . وقد صار على عيته كالنقطة الكبيرة . فضرته شوكة

(٩٧) «ماهر» في الامل . وموقع باشرا في جبل سمان في شمالي سورية

راجها في Dussaud ٢٢٤

(٩٨) مرض يفقد الطائر ريشه

(٩٩) او «تبجت» اختبأت . وتأتي بسفي صاحت او خرجت من جحرها . وقد

وردت مراراً أدناه ص ٢١١ ص ٤ فما جد

(١٠٠) «جبة» في الامل . «الغلفاء» الارض لم ترع

من الغلفاء في تلك التقلّة فقفاً(ها) (١٠١) . فجاء به البازدار، وعينه قد سالت وهي مطبوقة، فقال «يامولاي، تلفت عين الباز» . فقال «كلّهُ تالف» . ثمّ من الغد فتح عينه وهي سالمة . وسلم ذلك الباز عندنا حتى قرّص قرناصين فكان من اضطرّ البزاة

ذكرته بما جرى لجُمة وغُنيّم وان لم يكن موضع ذكر البزاة
ورأيت من استقى وفصدوا جوفه فمات، وغُنيّم فوق ذلك السكران
جوفه سلم وعوفي . فسبحان القادر

الهزيمة امام افرنج انطاكية

واغار (١٠٢) علينا عسكر انطاكية واصحابنا قد التقوا اوائلهم وجاءوا قد امهم . وانا واقف في طريقهم انتظر وصولهم اليّ لعلّي انازل منهم فرقة، واصحابنا يعبرون عليّ منهزمين . فصرّ عليّ في من عبر محمود بن جُمة . فقلت «قف يامحمود» . فوقف لحظة ثم دفع فرسه ومضى عنيّ . ووصلني اوائل خيلهم . فاندفعت بين ايديهم وانا رادّ رمحي اليهم ملتفت انظرهم لا (١٠٣) يتسرّع اليّ منهم فارس يطعنني . وبين يدي جماعة من اصحابنا . ونحن بين باتين لها حيطان طول قصدة الرجل . فندس فرسي بصدورها رجل من اصحابنا . فرددت (١٠٤) رأس فرسي على يساري . فضربتها بالمهاميز ففزّت الحائط . فضبطت حتى صرت انا والأفرنج مصطفين وبيننا الحائط . فسرعّ منهم فارس عليه تشهير حرير اخضر واصفر . فظننت ان ما تحته درع . فتركته حتى تجاوزني وضربت الفرس بالمهاميز، ففزّت (١٠٥) الحائط . وطمعته، فمال السى ان وصل رأسه ركابه ووقع ترسه والرمح من يده والخوذة عن رأسه، ونحن قد وصلنا

(١٠١) «فقتها» في الأصل . عامية

(١٠٢) «واغار» في الأصل . وذلك حوالي سنة ١١٢٧

(١٠٣) بمعنى «ثلاث»

(١٠٤) «فردت» في الأصل

(١٠٥) «قرب» طبعه درنيورغ ص ٥٥ هنا واحداً ص ١٧

الى رجائنا . ثم عاد انتصب في سرجه وكان عليه زردية تحت التشهير .
فما جرحته الطلعة . وادركه اصحابه ثم عادوا . واخذ الرجالة الترس
والرمح والخوذة

جُمعة نفسه يهرب

فلما انقضى القتال ورجع الافرنج جاءني جُمعة، رحمه الله، يستند
عن ابنه محمود وقال «هذا الكلب انهزم عنك» . قلت «واي شيء يكون؟»
قال «ينهزم عنك ولا يكون شيء؟» قلت «وحياتك [١٩ ق] يا ابا محمود
وانت تنهزم عني ايضاً» . قال «ياضين! والله ان موتي اسهل علي من ان
انهزم عنك» . ولم يمض الا ايام قلائل حتى اغارت علينا خيل حماسة
فاخذوا لنا بالقورة وجسوها في جزيرة (١٠٦) تحت الطاحون الجلالتي .
وطلع الرماة على الطاحون يحمون بالقورة . فوصلتهم انا وجُمعة وشجاع
الدولة ماضي مولد لنا وكان رجلاً شجاعاً . فقلت لهما «نبر الماء وناخذ
الدواب» . فعبرنا . فاما ماضي فضربت فرسه نَشْأَةً فقتلتها وبالجهد اوصلته
الى اصحابه . واما انا فضربت فرسي نَشْأَةً في اصل رقبته فجازت فيها قدر
شبر، فوالله ما رمحت ولا قلفت ولا كانها احسَّت بالجرح . واما جُمعة
فرجع خوفاً على فرسه . فلما عدنا قلت «يا ابا محمود، ما قلت لك انك
تنهزم عني وانت تلوم ابنك محمود؟» قال «والله ما خفت الا على الفرس .
فانها تمزُّ علي» واعتذر

أسامة يظن رفيقه خطأ

وقد كنا ذلك اليوم التقينا نحن وخيل حماة وقد سبقهم بعضهم بالقورة
الى الجزيرة . فاقتلنا نحن وهم، وفيهم فرسان عسكر حماة: سهرنك
وغازي التلي ومحمود بن بلداجي وحضر الطوط واسباسلار

(١٠٦) في العاصي قرب شيزر

خَطْلُخ (١٠٧). وهم اكبر عدائنا. فحملنا عليهم. فهزمناهم وقصدت فارساً منهم اريد اطعته واذا هو حضر الطوط. فقال «الصنعة، يا فلان!» فعدلت عنه الى آخر قطعتة فوقع الرمح تحت اجله. فلو تركه ما كان وقع. فندد عصبه عليه يريد ياخذ الرمح والفرس مستدرة (١٠٨) يبي فطار في السرج على رقبة الحصان، فوقع. ثم قام وهو على غفير الوادي المنحدر الى الجلالى (١٠٩). فضرب حصانه وساقه بين يديه ونزل. وحمدت الله سبحانه الذي ما ناله ضرر من تلك الطعنة لانه كان غازي التلي. وكان رحمه الله رجلاً جيداً

جُمعة يستخلص اسيراً

وتزل علينا عسكر انطاكية في بعض الايام (١١٠) منزلاً كان ينزله كلثما نزل علينا. ونحن ركاب مقابلهم وبيننا النهر (١١١). فلم يقصدنا منهم احد. وضربوا خيامهم وتزلوا فيها. فرجنا نحن نزلنا في دورنا، ونحن نراهم من الحصن (١١٢). فخرج من جندنا نحو من عشرين فارساً الى بندرتين (١١٣) قرية بالقرب من البلد يرعون خيلهم، وقد تركوا رماحهم في دورهم. فخرج من الافرنج فارسان سارا الى قريب من اولئك الجند الذين يرعون خيلهم. فصادفاً (١١٤) رجلاً [٣٠ و] على الطريق يسوق بهيمة فاخذه (١١٥) وبهيته ونحن نراهم من الحصن. وركب اولئك

(١٠٧) إسبيلار أو إسبيلار فارسية (به سالاري - قائد جيش). خطلخ ترية (فثلج). ذكره كمال الدين في *Reconquête* ٩٥:٣

(١٠٨) مسرعة

(١٠٩) نهر صيب في العاصي

(١١٠) حوالي سنة ١١٢٩

(١١١) العاصي

(١١٢) شيزر

(١١٣) «مس» في الامل

(١١٤) «فصادفوا» في الامل. عامية

(١١٥) «فاخذوه» في الامل. عامية

الجند ووقفوا ما معهم راسح. فقال عتي «هالاه عثرون لا يخلصون
ايسرًا مع فارسين! لو حضرم جُصة رأيت ما يعمل». هو يقول ذلك
وجُصة لا يس يركض اليهم. فقال عتي «ابصروا الساعة ما يعمل».
فلما دنا من الفارسين وهو يركض كف راس فرسه وسار خلفهم متره.
فلما رأى عتي توقفه عنهما وهو على روشن له في الحصن يراه، دخل
من الروشن مضياً وقال «هذا خذلان!»، وكان توقف جُصة خوفاً من
جورة كانت بين يدي الفارسين لا (١١٦) يكون لهم فيها كمين. فلما
ومل تلك الجورة وما فيها احد حمل على الفارسين خلص الرجل
والبهيمة وطردهما الى الخيام

وكان ابن ميمون (١١٧) صاحب انطاكية يرى ما جرى. فلما ومل
الفارسان اخذ اخذ ترسيهما جعلهما صالفاً (١١٨) للدواب ورمى
خبيتهما وطردهما وقال «فارس واحد من المسلمين يطرد فارسين من
الافرنج! ما اتم رجال اتم نساء»

واما جُصة فويئذه وحرد عليه لوقوفه عنهما اول ما وصلهما. فقال
«يامولاي، خفت لا (١١٩) يكون لهم في جورة رايصة القرامطة كمين
يخرج علي». فلما كفتها وما رايت فيها احدا استخلصت الرجل
والبهيمة وطردتهما حتى دخلا عسكرهما. فلا والله ما قبل عذره ولا
رضي عنه

متزلة الفارس عند الافرنج

والافرنج، خذلهم الله، ما فيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة،
ولا عندهم تقنة ولا متزلة عالية الا للفُرسان، ولا عندهم ناس الا الفُرسان -
فهم اصحاب الرأي وهم اصحاب القضاء والحكم. وقد حاكمتهم

(١١٦) بمعنى «لئلا»

Bohemond II (١١٧)

(١١٨) «سالفا» في الاصل

(١١٩) بمعنى «لئلا»

مرة (١٢٠) على قطعان غنم اخذها صاحب بانياس (١٢١) من الشعراء وبيننا وبينهم صلح، وانا اذ ذاك بدمشق. فقلت للملك فلك بن فلك (١٢٢) «هذا تعدى علينا واخذ دوائنا، وهو وقت ولاد الغنم. فولدت وماتت اولادها وردتها علينا بعد ان اتلفها». فقال الملك لسته سبعة من الفرسان «قوموا اعملوا له حكماً». فخرجوا من مجلسه واعتزلوا وتشاوروا حتى اتفق راىهم كلهم على شيء واحد وعادوا الى مجلس الملك. فقالوا «قد حكمنا ان صاحب بانياس عليه غرامة ما اتلف من غنمهم». فامرهم الملك بالغرامة. فتوسل اليه وقل (١٢٣) علي وسألني حتى اخذت منه اربع مائة دينار. وهذا الحكم بعد ان تفقه الفرسان [٢٠ ق] ما يقدر الملك ولا احد من مقدمي الافرنج بغيره ولا يتقبضه. فالفارس امر عظيم عندهم

ولقد قال لي الملك «يا فلان، وحق ديني لقد فرحت البارحة فرحاً عظيماً». قلت «الله يفرح الملك بماذا فرحت؟» قال «قالوا لي انك فارس عظيم. وما كنت اعتقد انك فارس». قلت «يامولاي، انا فارس من جنسي وقومي». واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان اعجب لهم (١٢٤)

أمان تنكرد لا قيمة له

وكان نزل علينا (١٢٥) دنكري (١٢٦) وهو اول اصحاب انطاكية بعد ميمون (١٢٧)، فقاتلنا ثم اصطلحنا. فنقذ يطلب حصاناً لغلام لعلمي

(١٢٠) سنة ١١٤٠

(١٢١) واسمه رنيه Renier

(١٢٢) Fulk V تزوج ملكاً على اورشليم سنة ١١٣١

(١٢٣) «ولعل» في الاصل

(١٢٤) الضمير يعود للافرنج ولكن درنورغ في ترجمته الاخرية Autobiog-

raphie d' Ousama Ibn Mounkidh (باريز ١٨٩٥) ص ٦٦ يرجعه لـ «قومي»

وبشمس البارة الاخيرة كلها في كلام أسامة المقتبس

(١٢٥) ٢٧ تشرين الثاني سنة ١١٠٨

(١٢٦) Tancred (١٢٧) Bohemond I وخلفه تنكرد سنة ١١٠٤

عز الدين، رحمه الله، وكان فارساً جواداً^١، فنقذه له عمي تحت رجل من اصحابنا كردي يقال له حسنون، وكان من العرسان السجبان وهو شاب مقبول الصورة دقيق، ليايق بالحصان بين يدي دنكري. فابق به فبق الخيل المجرة كلها. وحضر بين يدي دنكري فصار العرسان يكفون سواعده وينصبون من دقته وشابه، وقد عرفوا انه فارس شجاع. فخلع عليه دنكري. فقال له حسنون «يامولاي، اربدك تعطيني امانك انك ان ظفرت بي في القتال تعطيني وتطلقني». فاعطاه امانه - على ما توهّم حسنون، فانهم لا يتكلمون الا بالافرنجي ما ندري ما يهولون

ومضى على هذا سنة او اكثر (١٢٨) واقتضت مدة الصلح. وجاءنا دنكري في عسكر انطاكية، فقاتلنا عند سور المدينة. وكانت خيلنا لعت اوائلهم. فطعن فيهم رجل يقال له كامل المستطوب من اصحابنا كردي، وهو وحسنون نظراء في النجاعة، وحسنون واقف مع والدي، رحمه الله، على حجرة له ينتظر حصانه ياتيه به غلامه من عند البيطار ياتيه كزاغنده. فابطأ عليه واقلقه طعن كامل المستطوب فقال لوالدي «يامولاي، امر» (١٢٩) لي بلباس خفيف. فقال «هذه البغال عليها السلاح وافهة. مهما صلح لك البسه». وانا اذ ذاك واقف خلف والدي، وانا مبي (١٣٠)، وهو اول يوم رايت فيه القتال. فنظر الكزاغندات في عيها على البغال فما واقفته، وهو خللي يريد يتقدم يعمل كما عمل كامل المستطوب. فتقدم على حجرته، وهو معري، فاعترضه فارس منهم. فطعن الفرس في قطاتها فضت على فاس اللجام وحملت به حتى رمته في وسط موكب الافرنج. فاخذوه اسيرا وعذبوه انواع العذاب وارادوا قلع عينه [٢١ و] اليسرى. فقال لهم دنكري، لعنه الله، «اقلعوا عينه اليمين، حتى اذا حمل الترس استرت عينه اليسار فلا يبقى يبصر شيئاً». فقلعوا

(١٢٨) ربيع ١١١٠

(١٢٩) «امر» في الاصل

(١٣٠) كان عمر امانة ١٥ سنة

عينه اليمين كما امرهم وطلبوا منه الف دينار وحصاناً ادهم كان لوالديه
من خيل خَفَّاجَة (١٣١) جواداً من احسن الخيل . فاشترأ بالحصان،
رحمه الله

وكان خرج من شيزر في ذلك اليوم راجل كثير . فحمل عليهم الفرنج
فما زعزعوهم من مكانهم . فحرد دنكري وقال «انتم فرساني، وكل واحد
منكم له ديوان مثل ديوان مائة مسلم . وهاولاء مرجند (١٣٢) (يعني
رجالاً) ما تقدرون (١٣٣) تقاهونهم من موضعهم!» قالوا «انسا خوفنا
على الخيل، والا دستاهم وطعناتهم» . قال «الخيل لي، من قُتل حصانه
اخلفته عليه» . فحملوا على الناس عدة حملات، فقتل منهم سبعون حصاناً
وما قدروا يزحزحونهم من مواقعهم

فارس افرنجي يهزم اربعة مسلمين

وكان بافامية فارس من كبار فرسانهم يقال له بدرهوا (١٣٤) . فكان
ابداً يقول «تُرى ما التقى جمعة في القتال؟» وجمعة يقول «تُرى ما
التقى بدرهوا في القتال؟»

فنزّل علينا عسكر انطاكية وضرب خيامه في الموضع الذي كان ينزله،
وبينا وبينهم الماء (١٣٥) ، ولنا موكب واقف على شرف مقابلهم . فركب
فارس من الخيام وسار حتى وقف تحت موكبنا، والماء بينه وبينهم، وصاح
بهم «فيكم جمعة؟» قالوا «لا» . والله ما كان حاضراً فيهم . وكان ذلك
الفارس بدرهوا . فالتفت فرأى اربعة فوارس متاً من ناحيته، يحيى بن
صافي الاعسر وسهل بن ابي غانم الكردي وحارثة الثميري وفارس آخر .

(١٣٦) قبيلة عربية اشتهرت خيلها بالجودة

sergeant (١٣٧)

(١٣٨) «تقدروا» في الامل . عامية

(١٣٩) لعله Pedrovant . راجع دنيورغ Vie d' Ousdama (باريز ١٨٨٩)

ص ٥٧ حاشية ٢

(١٤٠) الصامي

فحمل عليهم فهزمهم . ولحق واحدا منهم طعنه طعنة فتلة ما الحقه
حصانه ليتمكن الطعن . وعاد الى الخيام

ودخل اولئك الثغر الى البلد فافتضحوا واستخفهم الناس ولا مومهم
وازروا بهم وقالوا « اربعة فوارس يهزمهم فارس واحد! كتم افرقتم له
فكان طعن واحدا منكم وكان الثلاثة قتلوه، ولا قد افضحتم » . وكان اشد
الناس عليهم جمعة الثميري

فكان تلك الهزيمة منحتهم قلوباً غير قلوبهم وشجاعة ما كانوا يطمعون
فيها . فاتخذوا وقاتلوا واشتهروا في الحرب وصاروا من الفرسان المعدودين،
بعد تلك الهزيمة

واماً بدرهوا فانه سار بعد ذلك من اقامية في بعض شغله يريد انطاكية .
فخرج عليه الاسد من غاب في الروج (١٣٦) في طريقه فخطفه عن بغلته
ودخل به الى الغاب اكله - لا رحمه الله

وأخر يحمل على عسكر

ومن إقدام الرجل الواحد على الجمع الكثير: فمن ذلك [٢١ ق]
ان اسبالار مودود (١٣٧)، رحمه الله، نزل بظاهر شيزر يوم الخميس
تاسع ربيع الاول سنة خمس وخمس مائة (١٣٨)، وقد قصده دنكري
صاحب انطاكية في جمع كبير . فخرج اليه عمي ووالدي، رحمهما الله،
وقالا « الصواب ان ترحل (وكان نازلا شرقي البلد على النهر) وتنزل في
البلد، ويضرب العسكر خيامهم على السطوحات في المدينة (١٣٩) » . ونلقى

(١٣٦) بين حلب والحرمه . ياقوت ٤: ٢٨٨

(١٣٧) شرف الدين مودود بن التوتكين حاكم الموصل باسم السلطان السلجوقي
محمد شاه في امهاتان . وهو قائد الجيش الذي نفذه السلطان لمحاربة تنكرد . بناء
على طلب الخليفة السياسي . ابن تقي بردي جلد ٢ جزء ٢ ص ٣٥٤

(١٣٨) ١٥ ايلول سنة ١١١١

(١٣٩) البلد هو القسم من شيزر الواقع ضمن القلعة . « المدينة » هو القسم من شيزر
الواقع على النهر قرب الجسر

الأفرنج بعد أن تحرّز خيامنا واتقائنا. فرحل ونزل كما قال له .
وأصبحا خرجا إليه وخرج من شير خمسة آلاف (١٤٠) راجل معدّين .
ففرح بهم اسبالار وقويت نفسه

وكان معه، رحمه الله، رجال جياد . فصَفّوا من قبليّ الماء والأفرنج
نزول شماله، فمنعهم من الشرب والورود نهارهم . فلمّا كان الليل
رحلوا راجعين إلى بلادهم والناس حولهم . فنزلوا على تلّ
التُرْمُسي (١٤١) فمنعهم الورود كما عملوا بالأمس . فرحلوا في
الليل ونزلوا على تلّ التلول (١٤٢) والعسكر قد خابقهم ومنعهم من
المسير . فاحتاطوا بالماء ومنعهم من الورود . ورحلوا في الليل
متوجّهين إلى أفاية . ففرغ اليهم العسكر واحتاطوا بهم، وهم سائرون .
فخرج منهم فارس واحد فحمل على الناس حتى توسّطهم، فقتلوا حصانه
واخضعوه بالجراح . فقاتل وهو راجل حتى وصل إلى أصحابه

ودخل الأفرنج أرضهم، وعاد المسلمون عنهم

ومضى اسبالار مودود، رحمه الله، إلى دمشق . فجاءنا بعد أشهر
كتاب دنكري صاحب انطاكية مع فارس معه غلمان وأصحاب يقول «هذا
فارس محتشم من الأفرنج، وملّ حجّ ويريد الرجوع إلى بلاده . وسألني
أن أسيره اليكم يبصر فرسانكم . وقد نفّذته، فاستوصوا به . وكان شاباً
حسن الصورة حسن اللباس، إلا أن فيه آثار جراح كثيرة وفي وجهه ضربة
سيف قد قدّت من مفرقه إلى حكّمته . فسألته عنه فقالوا «هذا الذي
حمل على عسكر اسبالار مودود، وقتلوا حصانه، وقاتل حتى رجع إلى
أصحابه .» ف تعالى الله القادر على ما يشاء كيف شاء لا يؤخّر الأجل
الأحجام ولا يقدّمه إلا قدام

(١٤٠) «الف» في الأمل

(١٤١) تيرميسي في Dussaud ٢٠٨

(١٤٢) «تلّ التلول» في الأمل . Dussaud بجعلها "Tawil" (الطويل)

من ٢٠٨ حاشية ٧

واحد يغزو ثمانية

ومن ذلك ما حكاه لي العقاب الشاعر، رجل من اجنادنا من المغرب، قال «خرج ابي من تدمر يريد سوق دمشق ومعه اربعة فوارس واربعة رجالة وهم يسوفون ثمانية جمال ليعوها» [٢٢ د] (قال) بسنا نحن نسير اذا فارس مقبل من صدر البرية. فجاء بسير حتى صار بالقرب منا. فقال: خلثوا عن الجمال! فصحنا عليه وشمناه. فاطلق حصانه علينا. فطعن منا فارساً رماء عن فرسه وجرحه. فطردناه فسبق، ثم عاد الينا وقال: خلثوا عن الجمال! فصحنا عليه وشمناه. فحمل علينا، فطعن رجلاً منا اوقعه بالجرح. وتبعناه فسبقناه، ثم عاد وقد بطل منا رجلاً فاطلق علينا. فاستقبله رجل منا. فطعنه صاحبنا فوقعت الطعنة في قربوس سرجه فانكسر رمح صاحبنا. وطعنه الفارس فجرحه. ثم حمل علينا فطعن رجلاً منا فصرعه. وقال: خلثوا عن الجمال! والا افينكم. قلنا: تعال خذ نصفها. قال: لا. احبسوا منها اربعة اتركوها وقوقاً وخذوا اربعة وامضوا. ففعلنا وما صدقنا نخلص بما سلم معنا. وساق هو تلك الاربعة ونحن نراه ما لنا فيه حيلة ولا طمع. وعاد بالفئيمة وهو وحده ونحن ثمانية رجال»

افرنجي يستولي على مغار

ومن ذلك ان دنكري صاحب انطاكية اغار على شيزر فاستاق دواب (١٤٣) كثيرة وقتل وسبى (١٤٤). ونزل على قرية يقال لها زلين (١٤٥) فيها مغار معلقة [كذا] لا يوصل اليها في وسط الجبل: ما اليها من فوق منزل ولا اليها من اسفل مطلع. انما ينزل اليها من يحتمي فيها بالجمال. وذلك يوم الخميس العشرين من ربيع الآخر سنة اثنين

(١٤٣) «دوانا» في الامل

(١٤٤) «سبا» في الامل

(١٤٥) «رلس» في الامل

وخمس مائة (١٤٦) • فجاء سلطان من فرسانهم الى دنكري فقال «اعمل لي صندوقاً من خشب، وانا اقدم فيه، ودلوني من الجبل اليهم بسلام او تقوها في الصندوق حتى لا يقطعوها بالسيف، فاسقطه» • فعملوا له صندوقاً ودلوه بالسلال المعلقة الى المغارة، فاخذها وانزل كل من كان فيها الى دنكري • وذلك ان المغار بهو ما فيه مكان يستتر الناس فيه • وذلك يرميهم بالنشأ فلا تقع نشأة الا في انسان لضيق الموضع وكثرة الناس فيه

عم أسامة بفك اسر مسلمة

وكان ممن اسر في جملة من اسر في ذلك اليوم امرأة كانت من اصل جيد من العرب وصفت لعسي عز الدين ابي الصاكر سلطان، رحمه الله، قبل ذلك وهي في بيت ابيها • فارسل عسي عجوزاً من امحابه تبصرها فصادت تصفها [٢٢ ق] وجمالها وعقلها اما لرغبة بذلونها لها واما اروها غيرها • فخطبها عسي وتزوجها • فلما دخلت عليه رأى غير ما وُصف له منها • ثم هي خرساء • فوفاهامهرها وردّها الى قومها • فأسرت من بيوت قومها ذلك اليوم • فقال عسي «ما ادع امرأة تزوجتها وانكسفت عليّ في اسر الافرنج» • فاشترأها، رحمه الله، بخمس مائة دينار وسلمها الى اهلها

فطنة فتاة تركية

ومن ذلك ما حدثني به المؤيد الشاعر البغدادي بالموصل سنة خمس وستين وخمس مائة (١٤٧) قال «اقطع الخليفة والذي ضيعة وهو يتردد اليها • وبها جماعة من العيارين يقطعون الطريق والذي يصانهم لخوفه منهم ولا تتفاهع بشيء • ممّا يأخذونه • فتجن يوماً جلوس بها اقبل غلام تركي على حصانه ومعه بطل رحل عليه خرج وجارية راكبة فوق الخرج • فنزل وانزل الجارية فقال دياقبيان، اسعدوني على حطّ الخرج» • فجنّا

(١٤٦) ٢٧ تشرين الثاني سنة ١١٠٨

(١٤٧) ٢٥ ايلول سنة ١١٦٩ - ١٣ ايلول ١١٧٠

حططناه (١٤٨) معه، وإذا به كلته دنائير ذهب ومصاع. فجلس هو والجارية أكلًا (١٤٩) شيئًا ثم قال «اسعدوني على رفع الخرج»، فرفعناه معه. فقال لنا «كيف طريق الأنبار؟» فقال له «والذي الطريق عاهنا (واشار الى الطريق) ولكن في الطريق ستون عيارًا اخاف عليك منهم، فضرط له وقال «انا أخاف من العيَّارين!»

فتركه والذي ومضى الى العيَّارين اخبرهم خبره وما معه. فخرجوا حتى عارصوه في الطريق. فلمَّا رأهم اخرج قوسه وترك فيه سهمًا واستوفاه يريد برميهم، فانقطع الوتر. فهجم عليه العيَّارون، فانهزم. واخذوا البغل والجارية والخرج. فقالت لهم الجارية «ياشباب، بالله لا تهتكوني. ويعتوني نفسي والبغل ايضًا بقصد جوهر مع التركيّ قيمته خمس مائة دينار، وخذوا الخرج وما فيه». قالوا «قد فعلنا». قالت (١٥٠) «اجثوا معي بعضكم حتى اتحدث مع التركيّ وأخذ العقد». فبشوا معها من يحفظها حتى دنت من التركيّ وقالت له «قد اشتريت نفسي والبغل بالعقد الذي في ساق موزك (١٥١) خفك اليسار». فادفعه لسي، قال «نعم». وانصح عنهم واخرج الساق سوزا وإذا فيه وتر قوس. فركبه على قوسه ورجع اليهم. فما زالوا يقاتلونه وهو يقتل منهم واحدًا واحدًا حتى قتل منهم ثلاثة واربعين رجلًا. ونظر فاذا والذي فسي [٢٣] و [الجماعة الباقين من العيَّارين فقال «وانت فيهم! فتشتهي اعطيك نصيبك من النشاب!»، قال لا، قال «خذ هاولاء السبعة عشر الباقين امض بهم الى شحنة البلد يشقهم» (١٥٢)، واولئك قد زنهروا ورموا سلاحهم. وساق بغله بما

(١٤٨) «حطناه» في الاصل

(١٤٩) «اكلوا» في الاصل. عامية

(١٥٠) «قال» في الاصل

(١٥١) «موزا» تعريب «موزة» الفارسية - الخف. ويظهر ان ناسخ السخطولة اضاف «خفك» لزادة الايضاح

(١٥٢) «تسقيهم» طبعة در سورغ ص ٥٤. «تسقيهم» لا يدبرغ ص ٢٦

عليه ومضى . وقد ارسل الله تعالى على العيارين منه مصيبة وسخطه عظيمة

مغامرات اخرى

ومن ذلك ما حضرته في سنة تسع وخمس مائة (١٥٣) وقد خرج والدي، رحمه الله، بالسكر الى اسبلا ريرسق بن يرسق، رحمه الله، وقدومل بأمر السلطان (١٥٤) الى الغزاة، وهو في خلق عظيم وجماعة من الامراء: منهم امير الجيوش اوزبه (١٥٥) صاحب المومل، وسفر د راز صاحب الرحبة، والامير كند عدي، والحاجب الكبير بكسر، وزنكي بن يرسق وكان من الابطال، وتميرك، واسماعيل البكجي (١٥٦)، وغيرهم من الامراء. فنزلوا على كفرطاب وفيها اخوا نيوفل والافرنج. فقاتلوا. ودخلوا الخراسانية في الخندق ينقبون، والافرنج قد ايقنوا بالهلاك. فطرحوا النار في الحصن فاحرقوا المقوف ووقعت على الخيل والدواب والغنم والمخازير والأسارى. فاحرق الجميع. وبقي الافرنج معلقين في اعلاء على الجيطان

فوقع لي ان ادخل في القبة اجسره. فنزلت في الخندق، والنشاب والحجار مثل المطر علينا، ودخلت القبة. فرائت حكمة عظيمة: فد نقبوا من الخندق الى الباشورة واقاموا في جوانب القبة قائمين وعليهما عريضة تمنع من تهدم ما فوقها. ونظموا القبة بالاختاب كذلك الى اساس الباشورة. ثم نقبوا حائط (١٥٧) الباشورة وعلقوه. وبلغوا اساس البرج. والقبة ضيق، انما هو طريق الى البرج. فلما وصلوه

(١٥٣) ٢٧ ايار سنة ١١١٥ - ١٥ ايار سنة ١١١٦

(١٥٤) محمد شاه بن ملكشاه السلجوقي في امبها

(١٥٥) او «أزبك» تترية - فائس جيشي. ولقد ذكره ابو الفدا وابن الاثير

بلقب «امير الجيوش بك» راجع *Recueil* ١٣:١ و ٣٠٠

(١٥٦) «الحي» في الاصل. قابل ابن الاثير (اليدن ١٨٦٤) ١٠: ٤٦٦ و

Recueil جلد ٢ حز ٢٠ ص ٤٥ حاشية ٣

(١٥٧) «حطه» في الاصل. عامة

وسعوا النقب في حائط البرج وحملوه على الاخشاب، ويخرجون ثقارة الاحجار اولا فاؤلا (١٥٨) • وارضى النقب من النقش قد صارت طيناً • فرائيته وخرجت ولم يعرفني الخراسانية • ولو عرفوني ما تركوني اخرج الا بغرامة كثيرة لهم

وشرعوا في تقطيع الخشب اليابس وحشوا النقب بذلك الخشب • واصبحوا طرحوا فيه النار • وقد لبسنا وزحفنا الى الخندق [٢٣ ق] لتهجم الحصن اذا وقع البرج، وعلينا من الحجارة والنشاب بلاءٌ عظيم • فاؤل ما عملت النار صار يسقط ما بين الاحجار من تكجيل الكلس ثم اشقّ واتسع الشقّ ووقع البرج، ونحن نظن انه اذا وقع تمكنا من الدخول عليهم • فوقع الوجه البراني وبقي الحائط (١٥٩) الجواني كما هو • فوقنا الى ان خبت علينا الشمس ورجعنا الى خيامنا، وقد نالنا من الحجارة اذى كثير (١٦٠)

فمكنا الى الظهر واذا قد خرج من العسكر راجل واحد معه سيفه وتره فمضى الى حائط (١٦١) البرج الذي قد وقع، وقد صارت جوانبه كدرج السلم، فتوكل فيه حتى معد الى اعلاه • فلما رآه رجال العسكر تبعه منهم قدر عشرة رجال تسرعوا بعدتهم فصعدوا واحدا وراء واحد حتى صاروا على البرج والافرنج لا يشعرون بهم • ولبسنا نحن من الخيام وزحفنا • فكثروا على البرج قبل ان يتكامل الناس عندهم

ففرغ اليهم الافرنج فرموهم بالنشاب، فجرحوا الذي طلع في الاول، فنزل • وتابع الناس في الطلوع، وصاروا مع الافرنج على بدن من حيطان البرج، وبين يديهم برج في بابه فارس لا بس ومعه ترسه وقطارته يحمي من دخول البرج • وعلى البرج جماعة من الافرنج يقاتلون الناس

(١٥٨) «فاؤل» في الاصل

(١٥٩) «حيط» في الاصل

(١٦٠) او «كبير» - «كسر» في الاصل

(١٦١) «حيط» في الاصل

بالنسب والحجارة . فصعد رجل من الأتراك، ونحن نراه، ومضى والبلاء
بأخذه الى ان دنا من البرج وصرب الذي عليه بقارورة فقط . فراهيه
كالنهب على تلك الحجارة اليهم (١٦٢) وقد رموا نفوسهم الى الارض
خوفاً من الحريق . ثم عاد

وطلع آخر مشي على البدن ومعه سيف وترس . فخرج عليه من
البرج الذي في بابه الفارس رجل منهم عليه زرديتان وبيده قطارية وما
معه ترس . فلبه التركي وفي يده سيفه . فطعنه الافرنجي . فذفع
سنال القطارية عنه بالترس ومنى الى الافرنجي . وقد دخل، على الرمح،
اليه . فولئى عنه وادار ظهره وامال ظهره كالراكب خوفاً على رأسه .
فضربه الركي ضربات ما عملت فيه شيئاً . ومنى حتى دخل البرج وقوي
عليهم الناس وتكاثروا . فسلّموا الحصن ونزل الأمازي الى خيام برسق
ابن برسق

فناهد ذلك الذي خرج بقنطاريته على التركي . وقد جمعهم في
سرادق برسق بن برسق ليقطعوا على نفوسهم ثمناً يخلصون به . فوقف
وكان سرجندياً (١٦٣) وقال «كم تأخذون مني؟» قالوا «نريد ستمائة
دينار» . فشرط لهم وقال «انا سرجندي ديواني كل شهر دينار» (١٦٤) .
من اين لسي ستمائة دينار؟ وعاد جلس بين اصحابه . وكان خلقة
عظيمة . فقال الامير السيد الشريف (١٦٥)، وكان من كبار الأمراء،
لوالدي، رحمهما الله، «ياخي، ترى هالاء القوم؟ نعوذ بالله منهم»
فقضى الله سبحانه ان العسكر رحل عن كفر طاب السي دانيت (١٦٦) .
وصبّحهم عسكرا انطاكية يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من ربيع الآخر (١٦٧) .

(١٦٢) «الهم» في الاصل . ولعلها «الهم»

(١٦٣) «سرجندي» في الاصل . تعريب sergeant

(١٦٤) «دسارس» في الاصل . عامية

(١٦٥) قابل ابن الاثير في *Recueil* ٢٨٢-١

(١٦٦) من اعمال حلب وموقها بين حلب وكفرطاب . ياقوت ٥١٠٠٢

(١٦٧) ١٥ ايلول سنة ١١١٥

وكان تسليم كفرطاب يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الآخر (١٦٨). فقتل
الأمير السيد، رحمه الله، وخلق كبير من المسلمين
وعاد الوالد، رحمه الله، وكنت فارقته من كفرطاب وقد كسر العسكر
ونحن في كفرطاب نحرزها نريد نحرزها، وكان أسابلاز سلمها إلينا.
ونحن نخرج الأسارى كل اثنين في قيد من أهل شيزر وقد احترق نصف
ذا وقد بقيت فخذ، وذا قد مات في النار. فرائيت منهم عبرة (١٦٩)
عظيمة. فتركناها وعدنا إلى شيزر مع الوالد، رحمه الله. وقد أخذ كل
ما كان معه من الخيام والحمال والبغال والبرك والنحمل (١٧٠).
وتفرق العسكر

مكية لولوه

وكان ما جرى عليهم بمكية من لولوه الخادم (١٧١) صاحب حلب
ذلك الوقت. فرّر مع صاحب انطاكية إن يخال عليهم ويفرقهم ويخرج
ذلك من انطاكية بهسكه يكسرهم. فأرسل إلى أسابلاز برسق، رحمه
الله، يقول «تفقد لي بعض الأمراء ومعه جماعة من العسكر اسلم إليهم حلب»
فأني أخاف من أهل البلد أن لا يطاوعوني على التسليم. فأريد أن يكون
مع الأمير جماعة اتقوى بهم على الحليين. فتفقد إليه أمير الجيوش
أوزبة (١٧٢) ومعه ثلاثة آلاف (١٧٣) فارس. وصحبهم روجار (١٧٤)،
لعه الله، كسرهم لنفاذ المشيئة
وعاد الأفرنج، لعنهم الله، إلى كفرطاب عمروها وسكنوها

- (١٦٨) ٥ أيلول سنة ١١١٥. مفايلة هذين التاريخين ويومتي وقوعهما نال
على وجود خطا فيهما أو في أحدهما
(١٦٩) قابل عنوان الكتاب «كتاب الاعتبار»
(١٧٠) «والجبل» في الأصل
(١٧١) بدر الدين لؤلؤ الذي خلف رضوان بن شش في إمارة حلب سنة ١١١٧
(١٧٢) «أوربه» في الأصل
(١٧٣) «الف» في الأصل
(١٧٤) Roger صاحب انطاكية كانون الأول ١١١٢ — حزيران ١١١٩

وقدر الله تعالى ان يخلص الأسرى من الفرنج الذين أخذوا من كمرطاب. فان الامراء افسنموهم وابقوهم معهم ليستروا انفسهم الا ما كان من امير الجيوش فانه تقدم الذين طلعوا في سهمه ضرب رقاب جميعهم قبل [ان] يتوجه الى حلب. وافرق العسكر - من سلم منهم من دانيث - وتوجهوا الى بلادهم. فذلك الرجل الذي طلع وحده الى برج كمرطاب كان سبب اخذها

نُصير يستولي على مغارة للافرنج

ومن ذلك: كان في خدمتي رجل يقال له نُصير العَلَّارُوزي، ورجل شجاع اُتيه، نهض هو وقوم من رجال شيزر الى الرُّوج الى الافرنج. ففشروا في البلد على قافلة من الافرنج في مغارة. فقال بعضهم لبعض «من يدخل عليهم؟» قال نُصير «انا». فدفع اليهم سيفه وترسه وجذب سكينه ودخل [٢٤ ق] عليهم. فاستقبله رجل منهم. فضربه بالسكين رماء وبرك عليه يقتله، وخلفه افرنجي معه سيف فضربه، وعلى ظهر نُصير مزود فيه خبز، فهو يرد عنه. فلما قتل الرجل الذي تحته التفت الى صاحب السيف يريد. فضربه بالسيف في جانب وجهه فقطع حاجبه وجفن عينه وخذه وانفه وفتقه العليا. فتدلى جانب وجهه على صدره. فخرج من المغارة الى اصحابه فشدوا جرحه ورجعوا به في ليلة باردة ماطرة. فوصل شيزر وهو على تلك الحالة. فخبط وجهه وداوى جراحه فبرأ وعاد الى ما كان عليه. الا ان عينه تلفت. وهو احد الثلاثة الذين رماهم (١٧٥) الاسماعيليه من حصن شيزر وقد تقدم ذكرهم (١٧٦)

(١٧٥) «رموهم» في الأصل

(١٧٦) في الجزء الاول المخروم من المخطوطة - على ما يظهر. ولقد اشار ابو الفدا وابن الاثير الى هذه الحلة الاسماعيليه على شيزر بتاريخ يقابل نيسان سنة ١١٠٩ في Recueil ١٠:١ و٢٧٢ وسبط ابن الجوزي بتاريخ يقابل نيسان سنة

١١١٤ في Recueil ٥٤٨:٣

واحد يهزم قوماً في رقيّة

وحدثني الرئيس مهري (١٧٧)، وكان في خدمة الأمير شمس الخوامس^١ آل توتاش (١٧٨) صاحب رقيّة وكان بينه وبين علم الدين عليّ كرد صاحب حماة عداوة وخلف، قال «امرني شمس الخوامس ان اخرج اقدّر بلد رقيّة وابصر زرعه». فخرجت ومعني قوم من الجند قدّرت البلد. ونزلت ليلة عند المساء بقرية من قرى رقيّة لها برج معدنا الى سطحه تعشينا وجلسنا وخیلنا على باب البرج. فما شعرنا الا برجل قد اشرف علينا من بين شرايف البرج فصاح علينا ورمى نفسه الينا وفي يده سكينه فانهزمنا ونزلنا في السلم الأوّل وهو خلفنا، ونزلنا في السلم الثاني، وهو خلفنا، حتى وصلنا الباب. فخرجنا واذا قد رتبّ لنا رجلا على الباب فقبضونا جميعنا واوثقونا رباطا ودخلوا بنا الى حماة التي عليّ كرد فسا ملنا من ضرب الرقبة الابهسة الأجل. فحبسنا وغرّ منا. وكان الذي فعل بنا ذلك كلّ رجل واحد.

ابن المرحي يتولي على حصن

ومثل ذلك جرى في حصن اسخرية (١٧٩) كانت لصالح الدين محمد ابن ايوب القسياني، رحمه الله، وفيها الحاجب عيسى واليهما. وهو حصن منع على مخرة مرتفعة من جميع جوانبه يُطلّع اليه بسلم خشب ثم يرفع السلم فلا يبقى اليها طريق. وليس مع الوالي في الحصن سوى ابنه وغلامه وبواب الحصن وله صاحب يقال له ابن المرحي (١٨٠) يطلع اليه في الوقت بعد الوقت في اشغاله. فتحدث مع الاسماعيليّة وقرّر له

(١٧٧) «مهري» في الاصل. والرئيس هنا رئيس المقدّرين

(١٧٨) «الوئاس» في الاصل

(١٧٩) «المره» في الاصل. Dussaud من ١٤٥ حاشية ٦ يحب هذا الحصن

هو «الخربية» الذي تخدم ذكره من ٤٨ س ٤. ومن اسمائه «المنش الشرفي»

Dussaud من ١٤٦

(١٨٠) «المرحي» في الاصل

معهم قراراً ارساه من مال واطاع ويسلم اليهم حصن الخربة . ثم جاء الى الحصن فاسأذن وطلع . فبدأ بالبواب قتله، ولقيه الغلام قتلته، ودخل على الوالي قتله، وعاد الى ابن الوالي قتله . وسلمه الى [٢٥ ر] الاسماعيليه . وقاموا له بما كانوا قرّوه له والرجال اذا قوّوا نفوسهم على شيء فعلوه

مروعة مكاري نصراني

ومن ذلك تفاضل الرجال في هممهم ونخواتهم . وكان الوالد، رحمه الله، يقول لي «كلّ جيّد من سائر الاجناس من الرديء من جنسه ما يكون بقيمته . مثل حصان جيّد يسوى مائة دينار، خمس حصن رديئة تسوى مائة دينار . وكذلك الجمال . وكذلك انواع الملبوس . الا ابن آدم فان الف رجل اردياء لا يساويون رجلاً واحداً جيّداً» . وصدق، رحمه الله كنت (١٨١) قد نفّذت مملوكاً لي في شغل مهم الى دمشق واتفق ان اتابك زنكي، رحمه الله، اخذ حماة ونزل على حمص . فاستدّت الطريق على صاحبي . فتوجّه الى بعلبك ومنها الى طرابلس واكرى بغل رجل نصرانيّ يقال له يونان (١٨٢) . فحمله الى حيث اكترأ وودّعه . ورجع وخرج صاحبي في قافلة يريد يتوصّل الى شيزر من حصون (١٨٣) الجبل . فلقيهم انسان فقال لارباب الدواب «لا تمضوا . فان في طريقكم في الموضع القلانيّ عقد حراميه في ستين سبعين رجلاً ياخذونكم» . قال «فوقفنا لاندري ما نعمل ما تطيب نفوسنا بالرجوع ولا نجسر على المسير من الخوف . فتحن كذلك اذا الرئيس يونان قد اقبل مسرعاً . فقلنا ما لك ياريس؟ قال «سمعت ان في طريقكم حراميه جئت لاسيركم . سيروا» . فسرنا معه الى ذلك الموضع . واذا قد نزل من الجبل خلق عظيم من

(١٨١) سنة ١١٢٩ او ١١٣٠

(١٨٢) «يونان» في الاصل

(١٨٣) «حصون» في الاصل . ولعلها «حُفُون»

الحرامية يريدون اخذنا . فلقبهم يونان وقال يا فتيان، موضعكم ! انا يونان، وهؤلاء في خفاتي . والله ما فيكم من يتقرب منهم؟ فردهم والله جميعهم غثا وما اكلوا من عندنا رغيف خبز . ومشى معنا يونان حتى امشأتم ودعنا وانصرف

وفاء بدوي

وحكى لي صاحبي هذا عن ابن صاحب الطور وكان طلع معي من مصر في سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة (١٨٤) قال حدثني ابن والي الطور (١٨٥) (وهي ولاية لمصر بيعة كان الحافظ لدين الله، رحمه الله، اذا اراد ابعاد بعض الامراء ولاء الطور . وهو قريب من بلاد الافرنج) قال «ولها والذي خرجت انا معه الى الولاية وكنت مغرياً بالصيد . فخرجت اصبداً . فوقع بي قوم من الافرنج فاخذوني ومضوا بي الى بيت جبريل فحبسوني فيه في جب وحدي . وقطع علي صاحب بيت جبريل الف دينار . فبقيت في الجب سنة لا يسأل (١٨٦) عني احد . فانا في بعض الايام نسي الجب واذا قد رفع عنه الغطاء [٢٥ ق] ودلني السي رجل بدوي . فقلت من اين اخذك؟ قال «من الطريق» . فاقام عندي يومين وقطعوا عليه خمسين ديناراً . فقال لي يوماً من الايام «تريد تعلم ان ما يخلصك من هذا الجب الا انا؟ فخلصني حتى اخلصك» . فقلت في نفسي «رجل قد وقع في شدة يريد لروحه الخلاص» . فما جاوبته . ثم بعد ايام اعاد علي ذلك القول . فقلت في نفسي «والله لاسعين» (١٨٧) في خلاصه لعل الله يخلصني بثوابه» . فصحت بالسجان فقلت له «قل للصاحب اشتهي اتحدث معك» . فعاد واطلعني من الجب واحضرني عند صاحب . فقلت له «لي في حبسك سنة ما سأل احد عني ولا يدري

(١٨٤) انتهت هذه السنة في ٣ تموز سنة ١١٤٤

(١٨٥) جبل سيناء

(١٨٦) «سل» في الاصل

(١٨٧) «لاسم» في الاصل

انا حيّ او ميت • وقد حبست عندي هذا البدوي وقطعت عليه خمسين ديناراً اجعلها زيادة على قطيعتي ودعني اسيره الى ابي حتى يفكّني • قال «افعل» • فرجعت عرّقت البدوي وخرج ودّعني ومضى فانتظرت ما يكون منه شهرين فما رأيت له اثرًا ولا سمعت له خبرًا • فبست منه • فما راغني ليلة من الليالي الا وهو قد خرج عليّ من ثقب في جانب الجب وقال «قم والله لي خمسة (١٨٨) اشهر احفر هذا السرب من قرية خربة حتى وصلت اليك» • فقمّت معه وخرجنا من ذلك السرب وكسر قيدي واوصلني الى بيتي • فما ادري ممّ اعجب من حسن وفائه او من هدايته حتى طلع ثقبه من جانب الجب • واذا قضي الله سبحانه بالفرج فما اسهل امّابه

أسامة يفندي الاسرى

كنت اتردّد الى ملك الافرنج (١٨٩) فسي الصلح بينه وبين جمال الدين محمد بن تاج الملوك (١٩٠)، رحمه الله، ليدكّان للوالد، رحمه الله، عليّ بن يثوبين (١٩١) الملك والد الملكة امرأة الملك فلك بن فلك • فكان الافرنج يسوفون اسرارهم اليّ لاشتريهم • فكنت اشترى منهم من سهل الله تعالى خلاصه • فخرج شيطان منهم يقال له كلبام جيبا [؟] (١٩٢) فسي موكب له يغزي فأخذ مركباً فيه حجاج من المغاربة نحو اربع مائة نفس رجال ونساء • فكان يجيء اقوام مع مالكم فاشترى منهم من قدرت على شراء • وفيهم رجل شابّ يسلم ويقعد لا يتكلّم • فسألت عنه ففعل

(١٨٨) قابلها مع «شهرين» اعلام • الظاهر ان تقويم البدوي غير مضبوط

(١٨٩) فُلُكُ الخامس ملك اورشليم • Fulk of Anjou

(١٩٠) تاج الملوك بُوري بن طُنشكِين امير دمشق (٢٤ حزيران ١١٣٩ -

٢٩ آذار ١١٤٠) • وهو اخو شهاب الدين محمود

(١٩١) Baldwin الثاني ملك اورنليم والد Mélisende التي تزوجت

Fulk الخامس سنة ١١٢٩

(١٩٢) «كلّام جساء» في الامل • «كلّام» - William

لي هو رجل راحه دناغ . فقلت له «بكم تبغني هدا؟» قال «وحق ديني ما ابيع الا هو وهذا النسخ جملة كما اشتريتهما بثلاثة واربعين ديناراً» . فاشتريتهما واشترت لسي منهم نفراً . واشترت للأمير معين الدين (١٩٣)، رحمه الله، منهم نفراً بمائة وعشرين ديناراً ووزنت [٢٦ و] ما كان معي وضمت عليّ بالباقي

وجئت الى دمشق فقلت للأمير معين الدين، رحمه الله، «قد اشتريت لك اماري اختصتك بهم» . وما كان معي ثمنهم . والآن قد وصلت الي بيبي . ان اردتكم وزنت ثمنهم، والا وزنته انا» . قال «لا بل انا اذن، والله، ثمنهم وانا ارغب الناس في ثوابهم» . وكان، رحمه الله، اسرع الناس الى فعل خير وكسب ثوبة . ووزن ثمنهم . وعدت بعد ايام الي عكا

وقد بقي من الاسرى عند كليام جيا (١٩٤) ثمانية وثلاثون اسيراً، وفيهم امرأة لبعض الذين خلّصهم الله تعالى علي يدي . فاشتريتها منه، وما وزنت ثمنها . فركبت الي داره، لعنه الله، وقلت «تبغني منهم عشرة؟» قال «وحق ديني ما ابيع الا الجميع» . قلت «ما معي ثمن الجميع» . وانا اشترى بعضهم . والنوبة الاخرى اشترى الباقي» . قال «ما ابيعك الا الجميع» . فانصرفت وقد رآه سبحانه انهم هربوا في تلك الليلة جميعهم . وسكان ضياع عكسا كلّهم من المسلمين اذا وصل اليهم الاسير اخفوه واوصلوه الي بلاد الاملام

وتطلبهم ذلك الملعون فما ظفر منهم باحد . واحسن الله سبحانه خلاصهم . واصبح يطالبني بثمان المراه التي كنت اشتريتها وما وزنت ثمنها وقد هربت في من هرب . فقلت «سلمها اليّ وخذ ثمنها» . قال «ثمنها لي من اس قبل ان تهرب» . والزمني بوزن ثمنها . فوزنته وهان ذلك عليّ لمسرّي بخلاص اولئك المساكين

(١٩٣) أنر

(١٩٤) كدافي الامل

عجائب السلامة: في آمد

ومن عجائب السلامة اذا جرى بها القدر وسبقت بها المشيئة ان الأمير فخر الدين قرا ارسلان بن سقمان بن أرتق (١٩٥)، رحمه الله، عمل على مدينة آمد (١٩٦) عدة مرار، وانا في خدمته، ولا يبلغ منها مقصوده. وكان آخر ما عمل عليها (١٩٧) ان اميراً من الاكراد كان مد يوراً بآمد راسله ومعه جماعة من اصحابه وقرّر الامر ان يصله الصاكر في ليلة تواعدوا اليها ويطلعهم بالرجال ويملك آمد. فعول فخر الدين في ذلك المهم على خادم له افرنجي يقال له ياروق (١٩٨) والعسكر كله يمقته وبكره لسوء اخلاقه. فركب في بعض العسكر وتقدم. وركب باقي الامراء فبحوه. وتوانى هوفي السير فسبقه الامراء الى آمد. فاشرف عليهم ذلك الامير الكردي واصحابه من برج ودلّوا اليهم الرجال وقالوا «اطلعوا» - ما طلع منهم احد. فنزلوا كسروا اقفال [٢٦ ق] باب المدينة وقالوا «ادخلوا» - ما دخلوا. كل ذلك لاعتماد فخر الدين على صبي جاهل في هذا المهم العظيم دون الامراء الكبار

وعلم بذلك الامير كمال الدين علي بن نيران (١٩٩) والبلدية والجند. ففرغوا اليهم. فقتلوا بعضهم ورمى بعضهم نفسه، وقبضوا بعضهم. ومدّ بعض الذين رموا نفوسهم، وهو نازل في الهواء، يده كأنه يريد شيئاً يتمسك به. فوقع في يده جبل من تلك الجبال التي دلّوها اول الليل وما طلّعوا فيها فعلق به ونجا دون اصحابه. الا ان كفيته اسلخنا (٢٠٠) من الجبل. هذا وانا حاضر

(١٩٥) صاحب حصن كيفا في ديار بكر

(١٩٦) عاصمة مقاطعة ديار بكر. اما اليوم فديار بكر يطلق على المدينة آمد

(١٩٧) قابل بأشامة ٤٠:٢

(١٩٨) «ياروق» في الاصل

(١٩٩) «سان» في الاصل. وهو وزير صاحب آمد

(٢٠٠) «اسلخنا» في الاصل

وأصبح صاحب آمد يتبع الذين عملوا عليه فقتلهم . وسلم ذلك من
دونهم . فسبحان من إذا قدر السلامة انقذ الإنسان من لهأة الأسد فذلك
حق لا مثل

الانقاذ من لهأة الأسد

كان في حصن الجسر (٢٠١) رجل من اصحابنا من بني كنانة يُعرف
بأبن الأحمر ركب فرسه من حصن الجسر يريد كفرطاب لثقل له . فاجتاز
بكفر نبوذا (٢٠٢) وقافلة عابرة على الطريق . فراءوا الأسد ومع ابن
الأحمر حربة تلمع . فصاح اليه اهل القافلة «يا صاحب الخشب البراق!
دونك الأسد!» فحملته الحياء من صياحهم ان حمل على الأسد فحاصت به
الفرس، فوقع . وجاء فبرك عليه . وكان لهما يريد الله من سلامته، الأسد
شجان . فالتقم وجهه وجهته . فخرج (٢٠٣) وجهه وصار يلحس الدم،
وهو بارك عليه لا يؤذيه . قال «فتفتحت عيني فابصرت لهأة الأسد . ثم
جذبت نفسي من تحته، ورفعت فخذه عني، وخرجت تعلقت بشجرة
بالقرب منه، وصعدت فيها . فراءني وجاء خلفي . فسبقت وطلعت فسي
الشجرة . فنام الأسد تحت الشجرة وعلاني من الذر في عظيم على تلك
الجراح (والذر يطلب جريح الأسد كما يطلب الفأر جريح النمر) .
(قال) فراءت الأسد قد قعد وانصب آذانه كأنه يستمع . ثم قام يهرول .
فاذا قافلة قد اقبلت على الطريق، كأنه سمع حسها . فعرفوه وحملوه
الى بيته . وكان اثر انساب السبع فسي جهته وخذيته كوسم النار فسبحان
المسلم

(٢٠١) الحصن القائم على جسر شيزو . والجسر هو السومل الوحيد بين شيزو
وغلة العامي البني . ولقد ذكره مؤرخو الافرنج باسم *Gistum*

(٢٠٢) «كفتر نبو» لسي ياقوت ٢٩١:٤ . «كفر نبودي» اليوم *Dussaud*

من ١٨٦ حاشية ٧

(٢٠٣) «مخرج» في الامل «مخرج» طبعة دربورغ من ٦٣

العقل والقتال

قلت: تفاوضنا يوماً في ذكر القتال وموعد بني الشيخ العالم ابو عبد الله محمد بن يوسف المعروف بابن المشيرة (٢٠٤)، رحمه الله، يسمع. فقلت له «يا استاذ، لو ركب حصاناً ولبست كراغندا وخوذة وتقلدت سيفاً وحملت رمحاً وترساً ووقفت عند مشهد (٢٠٥). [٢٧] والعاصي (موضع ضيق كان الافرنج، لعنهم الله، يجتازون به) ما كان يجوزك احد منهم». قال «بلى والله، كلهم». قلت «كانوا يهابونك، ولا يعرفونك». قال «سبحان الله! فانا ما اعرف نفسي!» ثم قال لي «يا فلان، ما يقاتل عاقل». قلت «يا استاذ، تحكم على فلان وفلان (وعددت له رجالاً من اصحابنا من شجعان الفرسان) انهم مجانين!» قال «ما ذا قصدت». انما قصدي ان العقل لا يحضر وقت القتال. ولو حضر ما كان الانسان يلقي بوجهه السيف ويصدرة الرماح والسهام. ما هذا شي. يقضي به العقل»

وكان، رحمه الله، بالعلم اخبر مما هو بالحرب. فان العقل هو الذي يحمل على الاقدام على السيوف والرماح والسهام اتفة من موقف الجبان وسؤ الاحدثة. ودليل ذلك ان الشجاع يلحقه الزممع والرعدة وتغير اللون قبل دخوله في الحرب لئما يفكر (٢٠٦) فيه وتحدث به نفسه مما يريد عمله وبأشده من الخطر. والنفس ترتاع لذلك وتكرهه. فاذا دخل في الحرب وخاض غمارها ذهب عنه ذلك الزممع والرعدة وتغير اللون. وكل امر لا يحضره العقل يظهر فيه الخطأ والزلل

الذهول وعواقبه

ومن ذلك ان الفرنج (٢٠٧) نزلوا مرة على حماة في ازوارها،

(٢٠٤) ولد في كبرطاب وتوفي عام ١١٠٩. ذكره حاجي خليفة «كنف الطنون» (بيزغ ١٨٣٥ - ٥٨) ٢٢:٢ و ٢٣١:٤ و ٢٧٨:٦

(٢٠٥) مناعة

(٢٠٦) «لما تفكر» طبعة دنيورغ ص ٦٤

(٢٠٧) من طرابلس وذلك سنة ١١١٧. ابن الاثير في *Recueil* ٢٠٩:١

وفيها زرع مخضب، فضربوا خيامهم في ذلك الزرع. وخرج من شيزر جماعة من الحرامية يدورون بهسكر الأفرنج يسرقون منه، فأوا الخيام في الزرع. فاصح بعضهم حضر صاحب حماة (٢٠٨) وقال «الليلة احرق عسكر الأفرنج كله». قال «ان فعلت خلعت عليك». فلما امسى خرج ومعه نفر على رأيه طرحوا النار غربي الخيام في الزرع لتسوقها الرياح الى خيامهم. فصار الليل بضوء النار كالنهار. فرآهم الأفرنج فقصدهم فقتلوا اكثرهم. وما نجا منهم الا من رمى نفسه في الماء وسبح الى الجانب الآخر. فهذه اثار الجهل وعواقبه

ورأيت مثل ذلك، وان لم يكن في الحرب، وقد عسكر الأفرنج على بانياس في جمع كثير، ومعه البطرك (٢٠٩)، وقد ضرب خيمة كبيرة جعلها كنيّة يصلّون فيها يتولّى خدمتها شيخ شماس منهم وقد فرش ارضها بالحلفاء والحشيش. فكثرت البراغيث فوقع لذلك الشماس ان يحرق الحلفاء والحشيش لتحرق البراغيث. فطرح فيه النار، وقد يس، فارتفعت الستها وعلقت بالخيمة فتركتها رماداً. فهذا لم بحضره العقل

حاضر الذهن تحت الاسد

وضده اثنار كننا في بعض الايام من شيزر الى الصيد [٢٧ ق] وعمتي، رحمه الله، معنا وجماعة من العسكر. فخرج علينا السبع من قصباء دخلناها لصيد الدراج. فحمل عليه رجل من الجند كردي يقال له زهر الدولة بختيار القبرصي (٢١٠) سُمّي بذلك للطف خلقته. وكان، رحمه الله، من فرسان المسلمين. فاستقبله السبع فحاص به الحصان، فرماه. وجاءه السبع وهو ملقى. فرفع رجله، فلقمها السبع. وبادرناه فقتلنا السبع

(٢٠٨) شهاب الدين محمود بن قنجا

(٢٠٩) بطريك اورنليم واسه وليم William . R. Röhricht, Ge-

schichte des Königreichs Jerusalem (انز بروك ١٨٩٨) ٢٢١

(٢١٠) «القرمي» لمبة دربنورغ ص ٦٤. والماء منقطة في الاصل

واستخلصناه وهو سالم . قتلنا له «يازهر الدولة» لم رفعت رجلك الى قم السج؟ قال مجسمي كما ترونه ضعيف نحيف . وعليّ ثوب وغلالة . وما فيّ أكسى (٢١١) من رجلي فيها الرانات والخف والساق موزاً . قتلنا «اشقله» بها عن اضلاعي او يدي او رأسي الى ان يفرج الله تعالى . فهدا حضرة العقل فسي موضع نزول فيه العقول واولئك ما حضره هم العقل . فالانسان احوج الى العقل من كل ما سواه . وهو محمود عند العاقل والجاهل

عم أسامة وحسن ادارته

ومن ذلك ان روجار (٢١٢) صاحب انطاكية كتب الى عمّي يقول «قد نفذت فارساً من فرساني في شغل مهم الى القدس . امّا (٢١٣) ان تنفذ خيلك تأخذه من افيامية ويوصلونه الى رقيّة» . فركب وارسل اليه من احضره . فلمّا لقى قال «قد نفذني صاحبني فسي شغل وسر له . لكنني رأيتك رجلاً عاقلاً . فانا احذّك به» . فقال له عمّي «من اين عرفت اني عاقل وما رأيتني قبل الساعة؟» قال «لاني رأيت البلاد التي مشيت فيها خربة وبلدك عامر . فعرفت انك ما عمّرت الا بعقلك وسياتك» . وحدّته ما جاء فيه

تعقل صاحب ديار بكر

وحديثي الامير فضل بن ابي الهيجاء صاحب اربل (٢١٤) قال «حدثني ابو الهيجاء قال «بعثني السلطان ملك شاه (٢١٥) لمّا وصل الى الشام الى الامير ابن مروان صاحب ديار بكر يقول: اريد ثلاثين الف دينار . فاجتمعت

(٢١١) «أكسا» في الاصل

Roger (٢١٢)

(٢١٣) «امل» في الاصل

(٢١٤) جنوبي الموصل . ولقد ذكر ابن خلكان «تاريخ» ١١٠:١ زيارة أسامة

لهذه المدينة . راجع ياقوت ١٨٦:١ - ٨٩

(٢١٥) ابن آلب ارسلان السلجوقي وخلقه في اماره اسفهان

به واعدت عليه الرماله . فقال: تسريح وتحدث . واصبح امر ان يدخلوني الحمام ونفذ آلة الحمام جميعها فضة ونفذ لي بدلة ثياب . وقالوا للفراشي: كل آلة الحمام لكم . فلما خرجت لبست ثيابي ورددت جميع الحوائج . فتركتني اياماً ثم امر لي بالحمام وما انكر رد الحوائج . وحملوا معي آلة الحمام افضل من الآلة الاولى وبدلة ثياب افضل من البدلة الاولى . وقال الفراشي للفراشي كما قال اولاً . فلما خرجت لبست ثيابي ورددت الحوائج والثياب . فتركتني ثلاثة اربعة ايام ثم عاد ادخلني السى [٢٨] والحمام وحملوا معي آلات فضة افضل من الاولى وبدلة ثياب افضل من الاولى . فلما خرجت لبست ثيابي ورددت الجميع . فلما حضرت عند الامير قال لي: يا ولدي، نفدت اليك ثياباً ما لبستها، وآلة الحمام ما قبلتها، ورددتها . اى شيء سبب هذا؟ قلت: يامولاي، جئت برسالة السلطان في شغل ما اقضى . اقبل ما تفضلت به وارجع وما اقضى شغل السلطان فكأنني ما جئت الا فسي حاجتي؟ قال: يا ولدي، ما رأيت عمارة بلادي وكثرة خيرها وبساتينها وكثرة فلاحيتها وعمارة ضياعها؟ أتراني كنت اتلف هذا كله من اجل ثلاثين الف دينار؟ والله ان الذهب قد كسبته من يوم وصولك . وانما انتظرت ان يتجاوز السلطان بلادي وتلفه بالمال خوفاً من ان استقبله بالذي طلب فيطلب مني اذا دنا من بلادي اضاعفه . فلا تشغل قلبك . فتشكك قد اقضى . ثم نفذ لي الثلاث بدلات، التي كان نفذها لي ورددتها، مع جميع حوائج الحمام التي نفذها لي في الثلاث دخلات، فقبلتها . ولما تجاوز السلطان ديار بكر اعطاني المال فحملته ولحقت به السلطان،

حسن سياحة صاحب بعلبيس

وفي حسن السياحة ربح كثير من عمارة البلاد . فمن ذلك ان اتابك زنكي، رحمه الله، خطب بنت صاحب خلاط (٢١٦) وقد مات

ابوها (٢١٧) واماها مدبرة البلد . ونفذ حسام الدولة بن دلساج (٢١٨) خطبها لابنه ، وهو صاحب بدليس (٢١٩) . فصار انا بك بحسب حسن الى خلاط على غير الطريق المسلوك لاجل درب (٢٢٠) بدليس . فسلك فيها الجبال . فكثرت نزل بغير خيام ، وكل في واحد في موضعه من الطريق ، حتى وصلنا خلاط . فخيّم انا بك عليها ودخلنا قلعتها وكتبنا المهر

فلما انقضى النخل (٢٢١) امر انا بك ان ياخذ صلاح الدين (٢٢٢) معظم العسكر ويسري الى بدليس يقاتلها (٢٢٣) . فركبنا اول الليل وسرنا واصبحنا على بدليس . فخرج الينا حسام الدولة صاحبها . فلقينا على فسحة من البلد . وبنزل صلاح الدين في الميدان ، وحمل اليه الضيافة الحسنة . وخدمه وشرب عنده في الميدان وقال « يا مولاي ، اي شيء ترسم ؟ فقد تعبت (٢٢٤) » وتعبت في مجيئك . قال « انا بك احققه خطبتك للبت التي كان خطبها . وانت بذلت لهم عشرة الف دينار تريد ما منك . » قال « السمع والطاعة . » فصجّل له بعض المال واستهله بياقيه اياماً عيشها . ورجعنا وبلد به حسن سياسته عامر ما دخل عليه خلل

وصاحب قلعة جبر

[٢٨ ق] وهذا قريب مما جرى لنجم الدولة مالك (٢٢٥) بن سالم

(٢١٧) سكان او سكران القطبي مؤسس دولة أرمن شاه توفيق سنة ٥٠٦ (١١١٢)

— (١٣) . ابو اللدا « تاريخ » (الامتانة ١٢٨٦: ٢٠٢٧٧)

(٢١٨) ولعله طغان ارملان بن الكين . ابن الاثير ١٠: ٣٨٩ و ٤٣٦ وفسى

Recueil ٣٢٥:١ و ٣٥٤

(٢١٩) وبالتركية « يدكيس » او « يدكيس » قاعدة كردستان

(٢٢٠) وفوقها في الامل « در بند » وهي فارسية بمعنى درب

(٢٢١) قابل كمال الدين في Recueil ٣٦٦:٣ — ٦٧

(٢٢٢) ابن ايوب الفسياني

(٢٢٣) « سالها » في الامل . « سالها » طبة دربورغ ص ٦٦

(٢٢٤) « حب » في الامل . « تنبيت » طبة دربورغ ص ٦٧

(٢٢٥) « ملك » في الامل هنا وفيما يلي . وهو صاحب قلعة جبر على الفرات بقر

الرتة

رحمه الله . وذلك ان جوسلين (٢٢٦) اغار (٢٢٧) على الرقة والقلعة
فأخذ كل ما عليها وساق غنائم (٢٢٨) كثيرة ونزل مقابل القلعة
وبينهم الفرات . فركب نجم الدولة مالك في زورق ومعه ثلاثة اربعة
من غلماناه وعبر الفرات الى جوسلين وبينهما معرفة قديمة، ولمالك عليه
جميل . وظن جوسلين ان في الزورق رسولا من مالك . فجهاد واحد
من الافرنج وقال «هذا مالك في الزورق» . قال «ما هو صحيح» . فاتاه آخر
قال «قد نزل مالك (٢٢٩) من الزورق وهو جاءني بمشي» . فقام جوسلين
والتقاء واكرمه ورد عليه جميع ما كان اخذه من الغنائم والسبي . ولولا
سياسة نجم الدولة كان خرب بلده

شدة ابن سرايا لا تنفعه

إذا اقتضت المدة لم تنفع الشجاعة ولا الشدة

شاهدت يوماً وقد زحف الينا عسكر الافرنج (٢٣٠) يقاتلنا . ومضى
بعضهم مع طغتكين (٢٣١) اتابك الذي حصن الجسر يقاتله . وكان
اتابك اجتمع هو وبلغازي (٢٣٢) بن أرتق والافرنج في اقامية لمحاربة
عساكر السلطان (٢٣٣) . وكان وصل بها الى الشام إسماعيل برسق
ابن برسق وقد نزل حماه يوم الاحد تاسع عشر محرّم سنة تسع وخميس

(٢٢٦) Joscelyn الاول صاحب بل ماسر

(٢٢٧) «غار» في الاصل

(٢٢٨) «غاساً» في الاصل

(٢٢٩) كذا في الاصل

(٢٣٠) اشرك في هذه الزحف بالدون الاول ملك اورشليم وروجار (Roger)

صاحب انطاكية وپنتيوس (Pontius) صاحب طرابلس

(٢٣١) وفنسي الغالب «ملّكتكين» تركية معناها «الباز المقاتل» . وهو وزير

دقاق وتلقب فيما بعد «سيف الدولة» . ومؤرخو الافرنج يسمونه Doldequin

(٢٣٢) «والماري» في الاصل هنا وفيما يلي . فكان النامع حسب المقطع الاول

اداة التعريف

(٢٣٣) محمد شاه سلطان امبهان

مائة (٢٣٤) • فأما نحن فقاتلونا بالقرب من سور المدينة • فاستظهرنا عليهم ودفعناهم وانسبنا معهم • فهاجت رجلاً من اصحابنا يقال له محمد ابن سرايا (٢٣٥)، وهو شاب شديد ابد، قد حمل عليه فارس من الأفرنج، لعنه الله، فطعته في فخذه فنقذ القنطارية فيها • فمسكها محمد وهي في فخذه، وجعل الأفرنجي يجذبها لياخذها ومحمد يجذبها لياخذها فترجع في فخذه حتى قورت فخذه • واستلب القنطارية بعد ان اتلف فخذه • ومات بعد يومين، رحمه الله

أسامة ينقذ ابن عمه

ورأيت في ذلك اليوم، وانا في جانب الناس في القتال، فارساً قد حمل على فارس مثلاً طعن حصانه قتله، وصاحبنا راجل في الأرض ولا ادري من هو لبعد ما بيننا • فدفعني حصاني اليه خوفاً عليه من الأفرنجي الذي طعنه، وقد بقيت (٢٣٦) القنطارية في الحصان وهو ميت قد خرجت مصاريته، والأفرنجي قد اعتزل عنه غير بعيد وجذب سيفه ووقف مستقبلاً • فلما وصلته وجدته ابن عمي ناصر الدولة كامل بن مقلد، رحمه الله • فوفقت عليه واخليت [٢٩] و[له ركابي وقلت «اركب» • فلمّا ركب رددت رأس حصاني الى المغرب، والمدينة من شرفتنا • قال لي «الى اين تروح؟» قلت «الى هذا الذي طعن حصانك، فهو فرسة» • فمد يده وقبض على عنان الحصان وقال «ما تطاعن وعلى حصانك لابسان • اذا اوصلتني ارجع طاعنه» • فمضيت اوصلته وعدت الى ذلك الكلب وقد دخل في اصحابه

زاهد تنقذه العناية

وشاهدت من لطف الله تعالى وحسن دفاعه ان الأفرنج، لعنهم الله،

(٢٣٤) ١٤ حزيران سنة ١١١٥

(٢٣٥) «سرايا» في الاصل

(٢٣٦) «مضب» في الاصل • «نصت» طبعة درنورغ ص ٦٨

نزّلوا (٢٣٧) علينا بالفارس والراجل • وبيننا وبينهم العاصي وهو زائد
 زيادة عظيمة لا يمكنهم ان يجوزوا النبا ولا تقدر نحن نجوز اليهم •
 فنزلوا على الجبل بخيامهم • ونزل منهم قوم الى الباتين، وهي من
 جانبهم، همّلوا خيلهم في القصيل وناموا • فتجرّد شاب من رجالة شيزر
 وخلعوا ثيابهم واخذوا سيوفهم وسبحوا الى اولئك النيام • فقتلوا بعضهم •
 وتكاثروا على اصحابنا • فرموا نفوسهم الى الماء وجازوا، وعسكر الفرنج
 قد ركب من الجبل مثل السيل، ومن جانبهم مسجد يُعرف بمسجد ابي
 المجد بن سُمَيَّة (٢٣٨) فيه رجل يقال له حسن الزاهد، وهو واقف
 على طلع يتوب (٢٣٩) في المسجد يصلّي وعليه ثياب سود صوف - ونحن
 نراه وما لنا له سبيل • وقد جاء الافرنج فنزلوا على باب المسجد، ومعدوا
 اليه ونحن نقول لا حول ولا قوّة الا بالله! الساعة يقتلونه • فلا
 والله (٢٤٠) ما قطع ملاته ولا زال من مكانه • وعاد الافرنج نزّلوا ركبوا
 خيلهم وانصرفوا، وهو واقف مكانه يصلّي • ولا نشك ان الله سبحانه
 اعلمهم عنه وسرّه عن ابصارهم • فبجحان القادر الرحيم

غريب يفك اسيراً

ومن الطاف الله تعالى ان ملك الروم لَمَّا نزل على شيزر في سنة اثنتين
 وثلاثين وخمس مائة (٢٤١) خرج من شيزر جماعة من الرجالة للقتال •
 فاقطعهم (٢٤٢) الروم فقتلوا بعضاً واسروا بعضاً • فكان في جملة من
 اسروا زاهد من بني كردوس من الصالحية من مولدي محمود بن

(٢٣٧) في الزخفة نفسها سنة ١١١٥

(٢٣٨) «ابي المجد بن مسه» في الاصل

(٢٣٩) «سوف» في الاصل • «بنوب» طيبة دربورغ ص ٦٩ • «تتور» لاندرغ

ص ٢٩ • ثوب تضي مكي ما هو زائد عن الفريضة

(٢٤٠) «واله» في الاصل

(٢٤١) سنة ١١٣٨ • وملك الروم هو حان الثاني كومنينوس (١١١٨ - ٤٣)

(٢٤٢) «ما مطروم» في الاصل

صالح (٢٤٣) صاحب حلب . فلما عاد الروم كان معهم مائوركا . فوصل القسطنطينية . فهو في بعض الأيام فيها اذ لقيه انسان فقال « انت ابن كردوس ؟ » قال « نعم » . قال « سر معي اوقفني على صاحبك » . فصار معه حتى اراه صاحبه . فقاوله على ثمنه حتى تقرر بينه وبين الرومي مبلغ ارضاء [٢٩ ق] فوزن له الثمن واعطى ابن كردوس نفقة وقال « تبلغ بها الى اهلك ، وامض » (٢٤٤) في دعة الله تعالى . فخرج من القسطنطينية وتوصل الى ان عاد الى شيزر ، وذلك من فرج الله تعالى وخفي لطفه ، ولا يدري من الذي شراه واطلقه

ملاك بحيث اُسامة

وقد جري لي ما يشبه ذلك لما خرج علينا الافرنج في طريق مصر وقتلوا عباس بن ابي الفتوح وابنه نصرأ (٢٤٥) الكبير . انهزمنا نحن الى جبل قريب منّا . فصعد الناس فيه رجالة يمشون يجرّون خيلهم وانا على الاكديش ولا استطع المشي . فصعدت وانا راكب وسفوح ذلك الجبل كلثها نقارة وحصى كلثها وطئه الفرس انهروا تحت قوائمه . فضربت الاكديش ليطلع فما استطاع ، ونزل والحصى والنقارة تنزل به . فترجلت عنه واقمته ووقفت لا اقدر على المشي . فنزل الي رجل من الجبل فسك بيدي ويرذوني في يدي الاخرى حتى اطلقني . ولا ، والله ما ادري من هو ولا عدت رأيت

وقد كان في ذلك الوقت الصعب يُمتن فيه بيسير الاحسان ويُطلب المكافاة عنه . ولقد شربت من بعض الاتراك شربة ماء اعطينه عنها دينارين ، وما زال بعد وصولنا دمشق يقتضي حوائجه ويتوصل بي الى

(٢٤٣) تاج الملوك محمود بن ناصر بن صالح البرداسي (١٠٦٠ - ٧٤)
(٢٤٤) « واسمى » في الامل . وفوقها فحطة صغيرة ربما كان المراد منها شط الكلة باسمها
(٢٤٥) « نصر » في الامل

اغراضه لاجل تلك الشربة التي سقانيها . وما كان ذلك الذي اعانيه الا ملكاً رحمني الله تعالى فاغاثني (٢٤٦) به

النبى يقطع قيد سجين

ومن لطف الله تعالى ما حدثني به عبد الله المشرف قال «حُبِسْتُ بِحَيْرَانَ (٢٤٧) وَقَبِلْتُ وَخَبِقَ عَلَيَّ . فَأَنَا فِي الْحَبْسِ وَالْمُوكَلَّنِ عَلَى يَأْه فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي النَّوْمِ فَقَالَ «أَقْلَعِ الْقَيْدَ وَاخْرُجْ» . فَأَتَيْتُهِ جَذِبْتُ الْقَيْدَ فَخَرَجَ مِنْ رَجْلِي . وَقَمْتُ إِلَى الْبَابِ أُرِيدُ افْتِخَهُ، فَوَجَدْتُهُ مَفْتُوحًا . فَتَخَطَّيْتُ الرِّجَالَ الْمُوكَلَّنِينَ إِلَى مَنْفَسٍ فِي السُّورِ مَا ظَنَنْتُ يَدِي تَخْرُجُ مِنْهُ . فَخَرَجْتُ مِنْهُ، وَوَقَعْتُ عَلَى مِزْبَلَةٍ . فَبَقِيَ فِيهَا أَثَارُ وَقُوعِي وَأَثَارُ رَجْلِي . وَنَزَلْتُ فِي وَادٍ (٢٤٨) حَوْلَ السُّورِ وَدَخَلْتُ مِقَارَةً فِي مَفْحِ الْجِبَلِ مِنْ ذَلِكَ الْجَانِبِ وَأَنَا أَقُولُ فِي نَفْسِي «السَّاعَةُ يَخْرُجُونَ يَرَوْنَ أُنْرِي وَيَأْخُذُونِي» . فَأَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ ثَلَجًا غَطَّى (٢٤٩) ذَلِكَ الْأَثَرَ . وَخَرَجُوا [٣٠] وَاطُوفُونَ عَلَيَّ، وَأَنَا أَرَاهُمْ نَهَارَهُمْ ذَلِكَ . فَلَمَّا أَمْسَتْ وَأَمْتُ الطَّلَبُ خَرَجْتُ مِنْ تِلْكَ الْمِقَارَةِ وَسَرْتُ إِلَى مَا مَنِي . كَانَ هَذَا الرَّجُلُ مُشْرِقًا عَلَى مَطْبِخِ صَاحِبِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ أَيُّوبَ الْغِسْيَانِيِّ، وَرَحِمَهُ اللَّهُ

فيه وزاهد يقاتلان للجنة

ومن الناس من يقاتل كما كان الصحابة، رضوان الله عليهم، يقاتلون للجنة لا لرغبة ولا لسمعة
ومن ذلك ان ملك الامان (٢٥٠) الافرنجي، لعنه الله، لما وصل الشام

(٢٤٦) عكنا على هامن المخطوطة . «فاغاثني» في الاصل

(٢٤٧) في ارمينية قرب شيروان . ياوت ٣٨٠:٢

(٢٤٨) «وادي» في الاصل

(٢٤٩) «عطاء» في الاصل

(٢٥٠) كراد الثالث Conrad ملك الالمان

اجتمع اليه كلُّ من بالشَّام من الأفرنج . وقصد دمشق . فخرج عسكر دمشق وأهلها لقتالهم وفي جملتهم الفقيه الفسندلاويّ والشيخ الزاهد عبد الرحمن الحَلْحُولِيّ (٢٥١)، رحمهما الله . وكانا من خيار المسلمين . فلما قاربهم قال الفقيه لعبد الرحمن «ما (٢٥٢) هارلاء الروم؟» قال «بلى» . قال «فألسي متى نحن وقوف؟» قال «سر على اسم الله تعالى» . فتقدّما قاتلا حتى قتلا، رحمهما الله، في مكان واحد

كردي يقاتل لجبيل عليه

ومن الناس من يقاتل للوفاء . فمن ذلك ان رجلاً من الأكراد يقال له فارس، وكان كاسمه فارساً وإيّ فارس . فحضر أبي وعمي، رحمهما الله، وقعة كانت بينهما وبين سيف الدولة خلف بن مُلَاعِب (٢٥٣) عمل عليهم فيها وغدر بهم، وقد حشد وجمع وهم غير متّاهين لما جرى . وسبب ذلك انه راسلهم وقال «نمضي إلى اسفونا» (٢٥٤) وفيها الفرنج نأخذها» . فسيقه أصحابنا إليها وترجلوا وزحفوا إلى الحصن نهبوه . وهم في القتال وابن مُلَاعِب وصل . فأخذ خيل من كان ترجل من أصحابنا ووقع القتال بينهم، بعد ما كان للأفرنج، واشتد بينهم القتال . فقاتل فارس الكردي قتالاً عظيماً وجرح عدة جراح . وما زال يقاتل ويُجرح حتى أثنى بالجراح . وأفضل القتال . فاجتاز به أبي وعمي، رحمهما الله، وهو محمول بين الرجال فوقفا عليه وهتأه (٢٥٥) بالسلامة . فقال «والله ما قاتلت أريد السلامة . لكن لكم عليّ جبيل وفضل كثير» .

(٢٥١) ياقوت ٣١٦:٢

(٢٥٢) «أما» في أبي شامة ٥٢:١ . ويظهر ان أبا شامة نقل عن نسخة لاسانة اضبط من نسختنا هذه

(٢٥٣) صاحب الغاية . ابن تترى بردي جلد ٢ جزء ٢٨٦ ص . وتاريخ هذه الوقعة ١١٠٩

(٢٥٤) غربي كفرطاب بجزء السرّة النمان . E. Rey, Les colonies franques de Syrie (باريز ١٨٨٣) ٣٣٠

(٢٥٥) «وعتياء» في الأصل

وما رايتكم في عدة مثل هذا اليوم . فقلت «أقاتل بين ايديكم واجازيكم عن جميلكم وأقتل قدامكم»

وقضى الله سبحانه انه عوفي من تلك الجراح ومضى الى جبلة (٢٥٦)، وفيها فخر الملك بن عمار (٢٥٧) وفي اللاذقية الافرنج . فخرجت خيل من جبلة تريد القارة على اللاذقية، وخرجت خيل من اللاذقية تريد القارة على جبلة . فتلز الفريقان في الطريق وبينهما رابية . فطلع فارس من الافرنج [٣٠ ق] من جانبهم يكشف الرابية وطلع فارس الكردي من الجانب الآخر يكشف لاصحابه . فالتقى الفارسان على متن الرابية فحمل كل واحد منهما على صاحبه فاختلفا طعنتين فوقهما ميتين . وبقيت الحصن تتناول على الرابية، والفارسان قتيلا

وكان لفارس هذا عندنا ولد اسمه علان من الجند له الخيل الملاح والعدة الحسنة . ولكن ما كان كايه . فتلز علينا دنكري (٢٥٨) صاحب انطاكية يوما وقاتلنا قبل ضرب الخيام . وهذا علان بن فارس على حصان مليح باغز (٢٥٩) من احسن الخيل، وهو واقف على رفعة من الارض . فحمل عليه فارس من الافرنج، وهو كالغافل، فطعن حصانه في رقبته نفذ القنطارية . فشب الحصان رمى علان . وعاد الافرنجي، والحصان معارضه والقنطارية في رقبته كانه تجبه يتمختر (٢٦٠) بغنمة حسنة

الصبور في الخيل

وعلى ذكر الخيل ففيها الصبور كالرجال وفيها الخوار . فمن ذلك انه كان في جندنا رجل كردي يقال له كامل المشطوب فيه التجاعة

(٢٥٦) على شاطئ البحر قرب اللاذقية

(٢٥٧) فخر الملك ابو علي عمار بن محمد بن عمار نولثي طرابلس سنة

١١٠٧

(٢٥٨) Tancred وذلك سنة ١١١٠

(٢٥٩) «باغز» في الامل

(٢٦٠) «بسر» في الامل

والدين والخير، رحمه الله، وله حصان ادمم اسم مثل الجبل. فالتقى هو وفارس من الأفرنج فطعن الأفرنجي حصانه في موضع القلادة فمالت رقبته من شدة الطعنة وخرجت القنطارية من اصل رقبة الحصان فضربت فخذ كامل المشطوب وخرجت من الجانب الآخر. وما تزعزع الحصان من تلك الطعنة، ولا فارسه. فكنت ارى ذلك الجرح الذي في فخذيه بعد ما اندمل وختم وهو كأكبر ما يكون من الجراح، وسلم الحصان وعاد حضر عليه القتال. فالتقى هو وفارس من الأفرنج، فطعن الحصان في جبهته خسفها ولم يتزعزع. وسلم من تلك الطعنة الثانية. فكانت بعد ان اختمت اذا اطبق الانسان كفه وادخلها في جبهة الحصان في موضع الجرح وسعها وكان من طريف ما جرى في ذلك الحصان ان اخي عز الدولة ابا الحسن علياً (٣٦١)، رحمه الله، اشترى من كامل المشطوب. وكان ثقل العدو. فاخرجه في ضمان قرية كانت بيننا وبين فارس من أفرنج كقرطاب. فبقي عنده سنة ثم مات. فارسل اليها يطلب ثمنه. قلنا «اشتريناه وركبته. ومات عندك». كيف تطلب ثمنه؟ قال «اتم مقبتموه شيئاً يموت منه بعد سنة». فسحبنا من جهله وسخافة عقله

وجرح تحتي حصان على حمص شقت الطعنة قلبه واصابه عدة سهام. فاخرجني من المعركة ومنخرا يدميان [٣١ و] بالدم كالعزتين. وما انكرت منه شيئاً. وبعد وصولي الى اصحابي مات

وجرح تحتي حصان في بلد شير في حرب محمود بن قراجا ثلاثة جراح. وانا اقاتل عليه ولا اعلم، والله انه قد جرح، لاني ما انكرت منه شيئاً

الضعيفة منها

واماً خورها وضعفها على الجراح فان عسكر دمشق نزل على

حماة (٢٦٢)، وهي لصالح الدين محمد بن أيوب الغساني ودمشق لشهاب الدين محمود بن بوري بن طغتكين، وأنا بها. وزحفوا (٢٦٣) اليافعي جمع كثير، والي حماة شهاب الدين أحمد بن صلاح الدين وهو على تل مجاهد (٢٦٤). فجاءه الحاجب غازي التلّي فقال «قد انتشرت الرجالة والخوذ تلامع بين الخيام» والساعة يحملون على الناس يهلكونهم». فقال «امض ردّهم». فقال «والله ما يردّهم الا انت او فلان» يعني. فقال لي «تخرج ردّهم». فقلت زردية كانت على غلام لي لبستها وخرجت رددت (٢٦٥) الناس بالدبوس، وتحتي حصان اخفر من اجود الخيل واتلعاها. فلمّا رددت الناس زحفوا اليها، وما برأ (٢٦٦) من سور حماة فارس غيري: منهم من دخل المدينة وايقنوا انهم مأخوذون (٢٦٧)، ومنهم من هو مترجل في ركابي. فاذا حملوا علينا اخبرنا الحصان بئانه وأنا مستقبلهم، واذا عادوا مشيت خلفهم سرة (٢٦٨) لضيق المجال وازدحام الناس. فضربت حصاني نشابة في ساقه خمسته. فوقع بي وقام، ووقع، وأنا اخر به حتى قال لي الرجال الذين في ركابي «ادخل الى البادورة اركب غيرهم». فقلت «والله ما انزل عنه». فرائت من ضعف ذلك الحصان ما لم اره من غيره.

حصان يقاتل ومصارينه مندلة

ومن حسن صبر الخيل ان طراد بن وهيب النُميري حضر القتال بين

(٢٦٢) سنة ١١٣٧ أو ١١٣٨

(٢٦٣) سنة ١١٣٥ أو ١١٣٧ أو ١١٣٨. قابل كمال الدين في *Recueil*

٦٧:٣

(٢٦٤) «مساعدة» في الاصل

(٢٦٥) «ردّهم» في الاصل

(٢٦٦) «مراه» في الاصل

(٢٦٧) «مؤخّذون» في الاصل

(٢٦٨) «سره» في الاصل. «سيرة» طبعة دنيورغ ص ٧٣

بني نُمير. وقد قتلوا عليّ بن شمس الدولة سالم بن مالك (٢٦٩) والي الرقة وملكوها. والحرب بينهم وبين اخيه شهاب الدين مالك بن شمس الدولة. وتحت طراد بن وهب حصان له من اجود الخيل له قيمة كبيرة. فطعن في خصره، فخرجت مصارينه. فشدها طراد في السوط لا (٢٧٠) يدوسها فيقطعها، وقاتل حتى انقضى القتال. فدخل به الى الرقة، فمات

أسامة على استعداد دائم للقتال

قلت اذكرني ذكر الخيل بامر جرى لي مع صلاح الدين محمد بن ايوب الغساني، رحمه الله. وذلك ان ملك الامراء اتاك زكي، رحمه الله، نزل على دمشق في سنة ثلثين وخمس مائة (٢٧١) بارض داريا (٢٧٢). وقد راسله صاحب بعلبك جمال الدين محمد بن [٣١ ق] بوري بن طغتكين (٢٧٣)، رحمه الله، في الوصول اليه. وخرج من بعلبك متوجها الى خدمة اتاك. فبلغه ان عسكر دمشق خرج يريد اخذه. فامر صلاح الدين ان تركب للقائه ودفع الدمشقيين عنه. فجاءني رسوله في الليل يقول «اركب» وخيمتي الى جانب خيمته، وهو قد ركب ووقف عند خيمته. فركبت في الوقت. فقال «كنت قد علمت بركوبي». قلت «لا، والله». قال «الساعة نفذت اليك، فركبت في الوقت». قلت «يامولاي، حصاني يا گل شعيره، ويلججه الركابي ويقعد وهو في يده على باب الخيمة. وانا البس عدتي واتقلد سيفي وانا م». فلما جاءني رسولك ما كان لي ما يوقني»

فوقف الى ان اجتمع عنده جماعة من العسكر وقال «البسوا سلاحكم». وقد لبس اكثر الحاضرين وانا الى جانبه. ثم قال «كم اقول لكم البسوا

(٢٦٩) «ملك» في الاصل هنا وفيما يلي

(٢٧٠) بمعنى «ثلاث»

(٢٧١) وليل الصواب ٥٣٢ وهي ١١٣٧ - ٣٨

(٢٧٢) احدى قرى القنطرة على بعد اربعة اميال من دمشق

(٢٧٣) خلف جمال الدين اباه تاج السلوك بوري في اماره بعلبك لدن وفاته

ملاحكم؟ قلت «يامولاي، لا تكون تحنني» (٢٧٤) قال «نعم». قلت «واقة ما اقدر اليس». نحن في اول الليل. وكراغندي فيه زردئين مطبقة» (٢٧٥). اذا رأيت العدو لبسته. فسكت

وسرنا فاصبحنا عند ضمير (٢٧٦). فقال لي «ما تنزل ناكل» (٢٧٧) شيئاً؟ فقد جعلت من السهر». قلت «الامر لك». فترلنا. فما استقر على الارض حتى قال «اين كراغندك؟» فامرت الغلام فاحضره. واخرجه من عيته واخرجت السكين فقتله عند صدره واطهرت جانب الزرديين. وكان فيه زردية افرنجية الى ذيله وفوقها اخرى الى وسطه على كل زردية الطائن واللبد والالاسين (٢٧٨) ووبر الارب. فالتفت الى غلام له كلثمه بالتركي ولا ادري ما يقول. فاحضر بين يديه حصاناً كمتاً كان اعطاه اياه انا بك في تلك الايام كالصخرة الصماء قدت من قسوة الجبل. فقال «هذا الحصان يصلح لهذا الكراغند. سلمه الى غلام فلان». فسلمه الى غلامي

عم امانة يتفقد حضور ذهنه

قلت «كان عمي عز الدين، رحمه الله، يتفقد مني حضور فكري في القتال، ويمتحنني بالمسئلة. فنحن يوماً في بعض الحرب التي كانت بينا وبين صاحب حماة» (٢٧٩) وقد حشد وجمع ووقف على ضيعة من ضياع شيزر يحرق وينهب. فجرد عمي من العسكر نحواً من ستين سبعين فارساً وقال لي «خذهم وسر اليهم». فمضينا تراكض والتقينا بوادر خيلهم فكسرناهم وعلعنا فيهم وقلعناهم من موضعهم الذي كانوا عليه. ونفذت

(٢٧٤) «حسي» في الامل. «تحييني» دربورغ ص ٧٤

(٢٧٥) «مطعمه». ولعل الصواب «مطبختان»

(٢٧٦) قرية شمالي دمشق

(٢٧٧) «ما برل ناكل» في الامل

(٢٧٨) «التيين» في الصافية

(٢٧٩) شهاب الدين محمود بن قراجا (١١١٥ - ٢٤)

فارساً من اصحابي الى عمي وابي، رحمهما الله، وهما واقفان ومعهما باقي
العسكر وراجل كثير اقول (٢٨٠) لهما ميرا بالرجالة فقد كسرتهم*
فبارا الي (٢٨١)* فلماً قريبا حملنا عليهم كسرناهم، ورموا خيلهم في
الناروف (٢٨٢) وعبروه سباحة وهو زائد، ومضوا وعدنا بالنصر* فقال
لسي عمي [٣٢ و] «اي شي نفذت تقول لسي؟» قلت «نفذت اقول لك
»نفذتم بالرجالة فقد كسرناهم*« فقال «مع من نفذت الي؟» قلت «مع
رجب» (٢٨٣) العبد* قال «صدقت* ما اراك كنت الا حاضر القلب، ما
ادهلك القتال»

ومرّة اخرى اقتلنا نحن وعسكر حماة* وكان محمود بن قراجا قد
استعان على قتالنا بعسكر اخيه خيرخان بن قراجا صاحب حمص* وكان
قد ظهر لهم في ذلك الزمان حمل الرماح المودقة بومل الرمح الى
بعض رمح اخر بحيث يصير طوله عشرين ذراعاً او ثمانية (٢٨٤) عشر
ذراعاً* فوقف مقابلي موكب منهم، وانا في سرية نحو من خمسة عشر
فارماً* فحمل علينا منهم علوان العراقي* وهو من فرسانهم وشجعانهم*
فلماً دنا منا وما تزعزعا رجح ورد رمحه الى خلفه، فرأيت كالجبل
مطروحاً على الارض لا يقدر يرفسه* فاطلقت حصاني عليه، فطعته وقد
وصل الى اصحابه* وعدت وراياتهم على رأسي* فلقيتهم اصحابي وفيهم
اخي بهاء الدولة متقذ (٢٨٥)، رحمه الله، فردّهم وقد انقطع نصف
يرقي (٢٨٦) في كراغند علوان، ونحن بالقرب من عمي، وهو يراني*
فلماً انفصل القتال قال لسي عمي «اين طعنت علوان العراقي؟» قلت

(٢٨٠) «ايل» في الاصل* «كثيراً ثل» طبعة دربورغ ص ٧٥

(٢٨١) «لي» في الاصل

(٢٨٢) «الناروف» في الاصل* وهو من رواقد العاصي

(٢٨٣) «رحب» في الاصل

(٢٨٤) «سسه» في الاصل

(٢٨٥) احد اخوة أسامة الثلاثة

(٢٨٦) «يراق» تركية معناها السلاح

«أردت طهره». فقال الهواء باليرق (٢٨٧) فوقع الرمح في جانبه». قال «صدقت». ما كنت إلا حاضر القلب ذلك الوقت»

(٢٨٧) «باليرق» طبعة درنبورغ ص ٧٦

٦ - مكافحة الاسود وسائر الفوارى

تربية أسامة البنية

وما رأيت الوالد، رحمه الله، نهاني عن قتال ولا ركوب خطر معصا
كان يرى فيّ وارى من اخفاقه وإيثاره لي . ولقد رأيت يوماً (١) وكان
عندنا بشير رهاثن عن بغدادين (٢) ملك الافرنج على قطعة قطعها لحسام
الدين تيمر تاش بن إيلغازي (٣)، رحمه الله، فرسان افرنج وارمن .
فلما وقوا ما عليهم وارادوا الرجوع الى بلادهم نفذ خيرخان صاحب
حمص خيلاً كمنوا لهم في ظاهر شيزر . فلما توجه الرهاثن خرجوا
عليهم اخذوهم . ووقع الصائح . فركب عمي واخي، رحمهما الله، ووقفا،
وكل من يصل اليهما قد سيراه من خلفهم . وجئت انا، فقال لي اخي
«اتبعهم بمن معك، وارموا انفسكم عليهم، واستخلصوا رهاثكم» . فتبعهم
وادركهم بعد ركض اكثر النهار واستخلصت من كان معهم واخذت بعض
خيل حمص . وعجبت من قوله «ارموا نفوسكم» (٤) عليهم .

ومرّة كنت معه، رحمه الله، وهو واقف في قاعة داره واذا حيّة عظيمة
قد اخرجت رأسها على افريز رواق القناطر التي في الدار . فوقف
يبصرها . فحملت سلميّا كان في جانب الدار اسندته [٣٢ ق] تحت
الحيّة وصعدت اليها، وهو يراني فلا ينهاني، واخرجت سكيناً مضرة (٥)
من وسطها، وطرحتها على رقبة الحيّة وهي نائمة وبين وجهي وبينها دون

(١) سنة ١١٢٤

(٢) Baldwin الثاني ملك اورخليم

(٣) «الباري» في الاصل . وهو صاحب ماردن

(٤) «انفسكم» اعلاه

(٥) مؤنث في الاصل

الذراع، وحملتُ احزاً رأسها - وخرجت التفت على يدي - التي ان
 قطعت رأسها واليها الى الدار، وهي ميتة
 بل رأته، رحمه الله، وقد خرجنا يوماً لئلا اسد ظهر على الجسر (٦).
 فلما وصلناه حمل علينا من اجمة كان فيها - فحمل على الخيل، ثم وقف،
 وانا واحي بهاء الدولة منقذ، رحمه الله، بين الاسد وبين موكب فيه ابي
 وعمي، رحمهما الله، ومعهما جماعة من الجند - والاسد قد رضى على
 حرف النهر يتفرَّب بصدرة على الارض ويهدد - فحملتُ عليه - فصاح
 عليّ ابي، رحمه الله - لا تستقبله، يامجنون، فإخذك! فطعنته - فلا والله
 ما تحرك من مكانه - ومات موضعه
 فما رأيت نهائي عن قتال غير ذلك اليوم

تركماني يموت من جرح سطحي

خلق الله عز وجل خلقه اطواراً (٧) مختلفي الخلق والطباع:
 الابيض والاسود، والجميل والقبيح، والطويل والقصير، والقوي والضعيف،
 والشجاع والحيان، بمقتضى حكمته وعموم قدرته
 رأيت بعض اولاد الامراء التركمان الذين كانوا في خدمة ملك الامراء
 اتابك زنكي، رحمه الله، وقد اصابته نصابة ما دخلت فسي جلده مقدار
 شعيرة فاسترحى (٨) وانحلت اعصابوه وانقطع كلامه وغاب ذهنه - وهو
 رجل مثل الاسد، اجسم ما يكون من الرجال - فاحضروا له الطبيب
 والجراحين - فقال الطبيب «ما به ياأس» بل متى ما جرح ثانية مات -
 فهدا وركب وتصرف كما كان - ثم اصابته نصابة اخرى بعد مدة احقر
 من الاولى واقل نكايَةً، فمات

(٦) حشر شرر

(٧) قابل القرآن ١٣: ٧١

(٨) «استرخا» في الاصل

وطحّان من لسعة زنبور

ورأيتُ ما بقارب ذلك ايضاً . كان عندنا بشير اخوان يقال لهما
بنو مجاجو (٩) الواحد اسمه ابو المجد (١٠) والاخر محاسن وهما
ضمان رحاة الجسر (١١) ضمان مائة دينار . وعند الرحا مذيح للغنم
يذبح فيه جزأرو (١٢) البلد ويجمع الزناير على اثار الدم . فاجتاز
محاسن بن مجاجو يوماً الى الرحا، فلعسه زنبور، فانفلج وانقطع كلامه
واشرف على الموت . وبقي كذلك مدة . ثم افاق وانقطع عن الرحا
مدة فتابه اخوه ابو المجد وقال له «ياخي، معنا هذه الرحى ضمان مائة
دينار ولا تشرف عليها ولا تبصرها؟ وغداً ينكسر علينا ضمانها ونموت
فسي الجبس» . فقال [٣٣ و] له محاسن «انت مقصودك ان يلعسني زنبور
آخر فقتلني» . واصبح جاء السى الرحا (١٣)، فلعسه زنبور، فمات .
فايسر الاشياء يقتل اذا فرغ الاجل، والفأل موكل بالمنطق

اسد ينتقي غلاماً

فمن ذلك انه ظهر عندنا بارض شيزر سبع . فركبنا اليه فوجدنا غلاماً
للأمير سابق بن وثاب (١٤) بن محمود بن صالح في ذلك المكان يرعى
فرسه اسمه شماس (١٥) . فقال له عمي «ايسن الاسد؟» قال «في تلك
الغلفاء» . قال «سر قدّامي اليها» . قال «انت مقصودك ان يخرج الاسد
ياخذني» . ومشى قدّامه . فخرج الاسد كأنه مرسل الى شماس فأخذه،
فقتله دون الناس . وقتل الاسد

(٩) «مجاجو» في الأصل . «مجاجو» ادناه

(١٠) «المجد» في الأصل

(١١) طاحون جسر شيزر . «ضمان» بالجمع في الأصل

(١٢) «حراري» في الأصل

(١٣) «الرحى» في الأصل

(١٤) «وثاب» في الأصل

(١٥) «شماس» في الأصل

أسامة والامد

وحملت من الامد ما لم اكن لآظنته، ولا اعتقدت ان الامد كالناس فيها الشجاع وفيها الجبان. وذلك ان جويان (١٦) الخيل جاءنا يوماً يركض وقال «في أجمة تلّ التلول ثلاثة سباع». فركبنا فخرجنا اليها، وإذا لبوة خلفها امدان. فدرنا في تلك الاجمة. فخرجت علينا اللبوة. فحملت على الناس ووقفت. فحمل عليها اخي بهاء الدولة ابو المغيث منتقذ، رحمه الله، طعننا قتلها، وتكسر رمحه فيها

ورجنا الى الاجمة. فخرج علينا احد السبعين فطرد الخيل. ووقفت انا واخي بهاء الدولة في طريقه عند عودته من طرد الخيل. فانّ الامد اذا خرج من موضع لا بدّ له من الرجوع اليه بلا شبهة، وجعلنا اعجاز خيلنا اليه، ورددنا (١٧) رماحنا نحوه ونحن نعتقد انه يقصدنا فنسب الرماح فيه فنقتله. فما راعنا الا وهو عابر علينا كالريح الى رجل من اصحابنا يقال له سعد الله الشيانسي، فضرب فرسه رماحاً. فطعته وسطت القنطارية فيه فمات مكانه

ورجنا الى الامد الآخر ومعنا نحو من عشرين راجلاً من الارمن الاجياد رماة (١٨). فخرج السبع الآخر وهو اعظمها خلقه يمشي. وعارضه الارمن بالنشاب، وانا معارض الارمن انتظره يحمل عليهم ياخذ واحداً منهم فاطعنه وهو يمشي. وكلّما وقعت فيه نشابة قد هدر ولوح بذنبه فاقول «الساعة يحمل». ثم يعود يمشي. فما زال كذلك حتى وقع ميتاً. فرأيت من ذلك الامد شيئاً ما ظننته

امد يهرب من خروف

ثم شاهدت من الامد اعجب من ذلك كان بمدينة دمشق جرو امد قد ربّاه سباع معه حتى كبر وعار يطلب

(١٦) «جويان» تركية معناها راع

(١٧) «وردنا» في الامل

(١٨) «الاحاد رماة» في الامل

الخيول وتأذى الناس به . فقبل للامير معين الدين، رحمه الله، وانا عنده
 «هذا السبع قد أذى الناس . والخيول تنفر منه . وهو في الطريق» . وكان
 على [٣٣ ق] مصطبة بالقرب من دار معين الدين في النهار والليل . فقال
 «قولوا للسباع يجي به» . فقال للخوان ملار (١٩) «اخرج من ذبائح
 المطبخ خروفاً اتركه في قاعة الدار حتى ينصر كيف يكسر السبع» .
 فانخرج خروفاً الى قاعة الدار . ودخل السباع ومعه السبع . فساعة رآه
 الخروف، وقد ارسله السباع من السلسلة التي في رقبته، حمل عليه
 فنتطمحه . فانهزم السبع وجعل يدور حول البركة (٢٠) والخروف خلفه
 يطرده وينطحه، ونحن قد غلبنا الضحك عليه . فقال الامير معين الدين،
 رحمه الله، «ذا سبع منحوس ! اخرجوه اذبحوه واسلخوه» . وهاتوا جلده .
 فذبحوه وسلخوه وأعتق ذلك الخروف من الذبح

كلب يخلص صاحبه من اسد

ومن عجب امور السباع ان اسداً ظهر عندنا في ارض شيزر . فخرجنا
 اليه معنا رجالة من اهل شيزر فيهم غلام للمعبود (٢١) الذي كان يطيعه
 اهل الجبل ويكاد ان يُعبد (٢٢) . ومع ذلك الغلام كلب له . فخرج
 الاسد على الخيل، فجعلت قدامة جافلة، ودخل في الرجالة . فاخذ ذلك
 الغلام وبرك عليه . فوثب الكلب على ظهر الاسد، فنفر عن الرجل وعاد
 الى الاجمة . وخرج الرجل الى بين يدي والدي، رحمه الله، يضحك
 وقال «يامولاي، وحياتك، ما جرحني ولا أذاني» . وقتلوا الاسد . ودخل
 الرجل فمات في تلك الليلة من غير جرح اصابه الا انقطع قلبه (٢٣) .

(١٩) فارسية - مدير المطبخ

(٢٠) يظهر ان دور دمشق كانت يومئذ على نسق اليوم نفسه

(٢١) «المعبد» في الامل «المقيد» طيبة دنيورغ من ٨٠ . والحب المظم

كاته يُعبد وربما كانت الاشارة لبغ العشاين

(٢٢) «صده في الامل

(٢٣) لم يزل هذا الاستعمال جارياً على السنة العامة

فكنت اعجب من إقدام ذلك الكلب على الأسد، وكلُّ الحيوان ينفر من الأسد ويتجنبه

الأسد سيّد الحيوانات

ولقد رأيت رأس الأسد يُحمَل إلى بعض دورنا فنرى (٢٤) السانير تهرب من تلك الدار وترمي نفوسها من السطوحات، وما رأيت الأسد قط (٢٥) • وكُنّا نسلخ الأسد ونرميه من الحصن (٢٦) إلى سفح البашورة فلا يقربه الكلاب ولا شيء من الطير • وإذا رأيت القيقان (٢٧) اللحم نزلت إليه ثم دنت منه صاحت وطارت • وما أخبه هيئة الأسد على الحيوان بهية العقاب على الطير فان العقاب يبصره الفروخ الذي ما رأى العقاب قط فيصيح وينهزم • هيئة القاهسا الله تعالى في قلوب الحيوان لهذين الحيوانين

قاتل اسد تقتله عقربة

وعلى ذكر السباع كان عندنا اخوان من اصحابنا يقال لهما بنو الرعام رجالة يترددان من شيزر الى اللاذقية (واللاذقية لمسي عز الدولة ابي المرفه نصر، وفيها اخوه عز الدين ابو العساكر سلطان، رحمهما الله) بالكب بينهما قالا «خرجنا من اللاذقية [٣٤ و] فاشرفنا من عقبة المنة (٢٨)، وهي عقبة عالية تُشرف على ما تحنها من الوطاء، فرأينا السبع وهو راibus على نهر تحت العقبة • فوقفنا مكاننا ما نجسر على النزول من خوف الاسد • فرأينا رجلاً فد اقبل • فصحننا اليه ولوحنا

(٢٤) «رى» في الاصل

(٢٥) يظهر ان ملاحظات اسامة علمية • قابل F. C. Selous, African

Nature, Notes and Reminiscences (لندن ١٩٠٨) ٩٥

(٢٦) شيزر

(٢٧) «الغقان» في الاصل • «الغقان» طبعه در سورع ص ٨٠

(٢٨) «السد» في الاصل

نبأنا اليه نَحْذَرُهُ مِنَ الْاَسَدِ فَمَا سَمَعْنَا . وَاَوْتَرُ قَوْهَ وَطَرَحَ فِيهِ نَشَابَةً وَمَشَى . فَرَأَى الْاَسَدَ فَوَثَبَ اِلَيْهِ . فَضَرَبَهُ مَا اخْطَأَ قَلْبَهُ ، فَقَتَلَهُ . وَمَشَى اِلَيْهِ فَصَمَّ قَتْلَهُ . وَاخَذَ نَشَابَتَهُ وَجَاءَ اِلَى ذَلِكَ النَّهْرِ فَزَرَعَ زُرْبُولَهُ (٢٩) وَقَلَعَ ثِيَابَهُ وَنَزَلَ اغْتَسَلَ فِي الْمَاءِ . ثُمَّ طَلَعَ لِبَسَ ثِيَابَهُ ، وَنَحَنَ نَرَاهُ ، وَجَعَلَ يَنْفُضُ شَعْرَهُ لِيَسْتَفْهَ مِنَ الْمَاءِ . ثُمَّ لَبَسَ فَرْدَةَ زُرْبُولِهِ وَاتَّكَى عَلَى جَنْبِهِ وَطَوَّلَ فِي الْاَتِّكَاءِ . فَقُلْنَا : «وَاللَّهِ مَا قَصُرَ . وَلَكِنْ عَلَى مَنْ يَنْبَغُ؟» وَنَزَلْنَا اِلَيْهِ وَهُوَ عَلَى حَالِهِ فَوَجَدْنَاهُ مَيِّتًا مَا نَدْرِي مَا اَصَابَهُ . فَزَعْنَا فَرْدَةَ الزُّرْبُولِ مِنْ رِجْلِهِ وَادَّا فِيهِ عَقْرَبَ مَخِيزَةٍ قَدْ لَسَعَتْهُ فِي اِبْهَامِهِ . فَمَاتَ لَوْقَتِهِ . فَصَبَّجْنَا مِنْ ذَلِكَ الْجَبَّارِ الَّذِي قَتَلَ الْاَسَدَ وَقَتْلَتَهُ عَقْرَبَ مِثْلَ الْاَصْبَعِ . فَسَبَّحَانَ اَللَّهِ الْقَادِرَ النَّافِذَ الْمَشِئَةَ فِي الْخَلْقِ

طبايع الاسد على ما درسها أسامة

قلت: قاتلتُ السباع في عدّة مواقف لا احصيها . وقتلت عدّة منها ما شركتني في قتلها احده، سوى ما عاركتني فيه غيري، حتى خبرت منها وعرفت من قاتلها ما لم يعرفه غيري . فمن ذلك ان الاسد مثل سواه من البهائم يخاف ابن آدم ويهرب منه وفيه غفلة وبه (٣٠) ما لم يُسْجَرَحَ فحيثُذِرَ هو الاسد، وذلك الوقت يُخَافُ منه . واذا خرج من غاب او اجمّة وحمل على الخيل فلا بد له من الرجوع الى الاجمة التي خرج منها، ولو ان الثيران (٣١) في طريقه . وكنت انا قد عرفت هذا بالتجربة، فمتى حمل على الخيل وقتت في طريق رجوعه، قبل ان يُسْجَرَحَ . فاذا رجع تركه الى ان يتجاوزني وطلعت، قتلته

(٢٩) يونانية بمعنى الحفاء

(٣٠) «وله» في الاصل . «وتلّه» طيبة درنيورغ ص ٨١

(٣١) كان البدو اذا نزلوا مكاناً ليلاً اضمحلوا النار حولهم لاعتقادهم ان الاسد يحاسي النار . وكانوا يطلقون على هذه النار اسم «مار الامد»

قتال النمر

فاماً النمر فقتلها اصعب من قتال الأسد لخصتها وبعد وثبتها . وهي تدخل في الغارات والمجائر كما تدخل الضباع ، والأسد ما تكون الا في الغابات والآجام . وقد كان ظهر عندنا نمر في قرية يقال لها معرّزف (٣٢) من اعمال شيزر . فركب اليه عمي عز الدين ، رحمه الله ، وارسل اليّ فارساً وانا راكب في غل لي يقول «الحقني الي معرّزف» . فلحقته وجئنا الى الموضع الذي [٣٤ ق] زعموا ان النمر فيه ، فما رايناه . وكان هناك جبٌ . فنزلت عن حصاني ومعني قنطارية وجلست على فم الجب ، وهو قصير نحو القامة وفي جانبه خرق كالمجحر . فحركت القنطارية في ذلك الخرق الذي في الجب فخرج النمر برأيه من ذلك الخرق ليأخذ القنطارية . فلما علمنا انه في ذلك الموضع نزل معي بعض اصحابنا ، وصار بعضا يحرك ذلك الموضع بالرمح ، فاذا خرج طعنه الآخر . وكلما اراد الصعود من الجب اوقفناه بالرمح ، حتى قتلناه . وكان خلقه عظيمة . الا انه كان قد اكل من دواب القرية حتى عجز عن نفسه . وهو دون مائر الحيوان يقفز الى فوق اربعين ذراعاً . وقد كان في كنيسة حناك (٣٣) طاقة في ارتفاع اربعين ذراعاً . فكان ياتيها نمر في الهاجرة يشب اليها ينام فيها الى آخر النهار ويشب منها ينزل ويمضي . ومقطع (٣٤) حناك ذلك الوقت فارس افرنجي يقال له سير ادم (٣٥) من شياطين الافرنج . فاخبروه خبر النمر فقال «اذا رايتنوه اعلموني» . فجاء النمر كعادته وب الى تلك الطاقة . فجاء بعض الفلاحين اخبر السير ادم . فلبس درعه وركب حصانه واخذ ترسه ورمحه وجاء الى الكنيسة وهي خراب ، انما فيها حائط قائم فيه تلك الطاقة . فلما

(٣٢) واقعة للصال الغربي من حصاد . ٧٠٧ Dussaud

(٣٣) حصن للجنوب الغربي من معرّة النعمان . يافوت ٣٤٥:٢

(٣٤) ولطها «طلع» في الاصل

Sir Adam (٣٥)

رآه النمر وثب من الطاقة عليه، وهو على حصانه فكسر ظهره وقتله ومضى. فكان قلاحو (٣٦) حثاك يسمونه النمر المجاهد ومن خواص النمر انه اذا جرح الانسان وبالت عليه فأرة مات. ولا ترند الفأرة عن جريح النمر (٣٧). حتى انه يعمل له سرير يجلس في الماء ويربط حوله السنانير خوفاً عليه من الفأر

الفرق بين النمر والفهد

والنمر لا يكاد يالّف بالناس ولا يستأنس بهم. وقد كنت مرّة مجتازاً بمدينة حيفا (٣٨) من الساحل، وهي للأفرنج. فقال لي أفرنجي منهم «تشتري متي فهداً جيداً؟» قلت «نعم». فجاءني نمر قد ربّاه حتى صار في قدّ الكلب. قلت «لا، ما يصلح لي». هذا نمر ما هو فهد (٣٩). فصجبت من انسه وتصرّفه مع الأفرنجي

والفرق بين النمر والفهد ان وجه النمر طويل مثل وجه الكلب وعينه زرق (٤٠) والفهد وجهه مدور وعينه سود (٤٠). وقد كان بعض الحليين اخذ نمرًا وجاء به فسي عدل الى صاحب القموس وهو لبعض بني محرز (٤١)، وهو يشرب. ففتح العدل، فخرج النمر على من في المجلس. فامّا الامير فكان عند طاقة في البرج دخل منها وغلق عليه الباب. وجال النمر في البيت قتل بعضهم وجرح بعضهم الى ان قتلوه

(٣٦) «فلاحوا» في الامل

(٣٧) ليس لهذه الملاحظة من اساس علمي

(٣٨) «حمه» في الامل - وذلك بين سنة ١١٤٠ و ١١٤٣

(٣٩) فابل H. B. Tristram, *The Fauna and Flora of Palestine*

(لندن ١٨٨٨) ص ٩٨

(٤٠) كذا في الامل - هامة

(٤١) «محرر» في الامل - والقموس حصن للتعميرة الى الجنوب الغربي من

شيزر

وسعت وما رايت [٣٥ و] ان في السباع البَبر (٤٢) . وما كنت
اصدق ذلك . فحدثني الشيخ الامام حجة الدين ابو هاشم محمد بن
محمد بن ظفر ، رحمه الله ، قال « سافرت من المغرب ومعى غلام شيخ كان
لوالدي قد سافر وجرت الامور . ففرغ الماء الذي معنا وعطشنا وليس
معنا ثاء ، انما نحن انا وهو على نجيين . فقصدنا ماء في طريقنا فوجدنا
عليه البَبر (٤٣) وهو نائم فاعتزلنا عنه . ونزل صاحبي عن جملة واعطاني
زمامه واخذ سيفه وترسه وقرية معنا وقال لي « احتفظ برأس النجيب ، ومشى
الى الماء . فلما رآه البَبر قام ووثب مستقبه حتى تجاوزه . ثم صاح
فشارت اليه مجريات له عدواً لحقوه (٤٤) . وما عارضنا ولا آذانا .
فشرينا واسقيناه ثم مضينا »

هكذا حدثني ، رحمه الله ، وكان من خيار المسلمين في دته وعلمه

(٤٢) العهد المخطوط ملك الفاه الهندية . والكلمه مأخوذة عن « بَبر » الفارسية
وهي طاهرة في اسم الملك الظاهر بيبرس . الببر ذكره القزويني « عجائب المخلوقات »
(مؤتلفين ١٨٤٩) ٣٩١:١ . وتجد صورته في « الهلال » عند تموز سنة ١٩٢٩
ص ١٠٩٤

(٤٣) لا يعيش الببر في الغريبه كما ان الابد لا يعيش في الهند

(٤٤) « ساربه اله مجرب له عدوا لحقوه » في الاصل

٧- اختبارات حرية

ضرب شيزر بالمنجنيق

ومن عجيب الآجال لما نزل الروم الى شيزر سنة اثنتين وثلاثين وخمس مائة (١) نصبوا عليها مجانيق (٢) هائلة جاءت معهم من بلادهم ترمي النقل (٣) • وتبلغ حجرها ما لا يبلغه التشاية • وترمي الحجر عشرين وخمسة وعشرين رطلاً • ولقد رموا مرة دار صاحب لي يقال له يوسف ابن ابي الغريب، رحمه الله، بقلب قوف (٤) فهدمت علوها وسفلها بحجر واحد • وكان على برج في دار الامير (٥) قنطارية فيها راية منصوبة، وطريق الناس في الحصن من تحتها • فضرب (٦) القنطارية حجر المنجنيق كسرها من نصفها • واقلب كسرهما الذي فيه السنان تنكس ووقع الى الطريق، ورجل من اصحابنا عابر، فوق السنان من ذلك العلو وفيه نصف القنطارية في ترقوته (٧) خرج الى الارض وقتله وحدته خطلنخ مملوك لوالدي، رحمه الله، قال «كنا في حصار الروم جلوساً (٨) في دهليز الحصن (٩) بملدنا وسوقنا فاذا شيخ قد جاءنا

(١) سنة ١١٣٨

(٢) «مجانيعاً» في الاصل

(٣) «النقل» في الاصل • «النقل» طبة دربورغ ص ٨٣

(٤) «قلب قوف» في الاصل • «نكس» طبة دربورغ ص ٨٣ • «القوف»

حجر يعمل منه الرمي

(٥) «الامر» في الاصل

(٦) «فصرب» في الاصل

(٧) «رماء» في الاصل • ويظهر ان الكلمة كانت تلفظ «ترقاء» وقد تكررت

اذا ناه ص ٢١٣ ح ٨١

(٩) حصن شيزر

(٨) «جلوس» في الاصل

يعدو وقال «يا مسلمون (١٠)»، الحريم! دخل الروم معنا، فأخذنا سيوفنا وخرجنا وجدناهم قد طلعوا من ثغرة في السور ففترتها المجانيق. فضربناهم بالسيوف حتى أخرجناهم. وخرجنا خلفهم حتى وصلناهم إلى أصحابهم، وعدنا. ففترقنا، وبقيت أنا وذلك الشيخ الذي استقرعنا. فوقف وادار وجهه إلى الحائط يريق الماء. فأعرضتُ عنه. فسمعت وجبة (١١). فالتفتُ وإذا الشيخ قد ضربت رأسه [٣٥ ق] حجر المنجنيق كسرتة والصقت بالحاظ، ومخَّه قد سال على الحائط. فحملته وصلينا عليه ودفعناه في مكانه، رحمه الله.

وضربت حجر المنجنيق رجلاً من أصحابنا كسرت رجله. فحملوه إلى ابن يدي عمي وهو جالس في دهليز الحصن، فقال «هاتوا المجبر». وكان بشير رجل مانع يقال له يحيى مانع في التجبير. فحضر وجلس يجتبر رجله وهو في مترة خارج باب الحصن. فضربت الرجل المكسور حجر في رأسه طيَّرتَه. فدخل المجبر إلى الدهليز فقال عمي «ما أسرع ما جبرته!» قال «يا مولاي، جاءته حجر ثانية اغتته عن التجبير»

قصيدة الفرنج دمشق (١٢)

ومن نفاذ المشية في الآجال والأعمار ان الأفرنج، خذلهم الله، اجتمع رأيهم على ان يقصدوا دمشق ويأخذوها (١٣). فاجتمع منهم خلق كثير. وسار اليهم صاحب الرها وتلّ باشر (١٤) وصاحب انطاكية. فنزل صاحب انطاكية على شيزر في طريقه إلى دمشق، وقد تباهوا بينهم دور دمشق

(١٠) «ماملس» في الأصل - عامية

(١١) «وجه» في الأصل

(١٢) هذا العنوان هو الوحيد المشب في الأصل في ماضي المنطوقة

(١٣) بقيادة بالدون الأول ملك اورنليم عام ١١١٣

(١٤) ساء الأفرنج Turbessel وموقفه بين حلب والرها (اورفا - ادسا).

صاحب الرها وتل باشر كان جوسلين Joscelin I. راجع Rey ٣٢٢

وحكامها وقياسيرها واشتراها (١٥) البرجاسية (١٦) ووزنوا لهم انما ناه،
وما عندهم شك في فتحها وملكها. وكفرطاب اذ ذاك لصاحب انطاكية (١٧).
فجرد من عسكره مائة فارس انتخبهم وامرهم بالمقام بكفرطاب مقابلنا
ومقابل حماة. فلما صار الى دمشق اجتمع من التام من المسلمين لقصد
كفرطاب وانفذوا رجلاً من اصحابنا يقال له قتيب بن مالك (١٨)، فجس
لهم كفرطاب في الليل، فوصلها دارها وعاد وقال «ابشروا بالفتنة والسلامة».
فسار المسلمون اليهم فالتقوا على مكير (١٩). فنصر الله سبحانه الاسلام
وقتلوا الافرنج جميعهم. وكان قتيب الذي جس لهم كفرطاب قد راى
في خندقها دواب (٢٠) كثيرة. فلما ظفروا بالافرنج وقتلوه طمع في
اخذ تلك الدواب التي في الخندق ورجا ان يفوز بالفتنة وحده. فمضى
يركض الى الخندق. فرمى عليه رجل من الافرنج من الحصن حجراً
فقتله. وكانت له عندنا والدة عجوز كبيرة تندب في ما نمتا ثم تندب
ولدها. فكانت اذا ندبت على ابنتها قتيب تندب نديها باللبن حتى
تفرق ثيابها. فاذا فرغت من نديها (٣٦) و عليه وسكنت لوعثها عادت
نديها كالجلدتين ما فيهما (٢١) قطرة لبن. فبجان من اشرب القلوب
الحية على الاولاد

ولما قيل لصاحب انطاكية وهو على دمشق «قد قتل المسلمون اصحابك»
قال «ما هو صحيح». قد تركت بكفرطاب مائة فارس تلتقي المسلمين
كلهم»

وقضى الله سبحانه ان المسلمين بدمشق نصروا على الافرنج وقتلوا

(١٥) «واسروها» في الاصل

bourgeoisie (١٦)

Roger روجار (١٧)

(١٨) «ملك» في الاصل

(١٩) وقد وردت اعلاه ص ٤٥ ح ٢٩

(٢٠) «دواب» في الاصل

(٢١) «مها» في الاصل. عامية

منهم مقتلة عظيمة واخذوا جميع دوابهم . فحلوا عن دمشق أسوأ رحيل
وأذنت - والحمد لله رب العالمين

كردي يتأبط رأس أخيه

ومن عجيب ما جرى في تلك الوقعة بالافرنج انه كان في عسكر حماة
اخوان كرديان (٢٢) اسم الواحد بدر واسم الآخر عتاز (٢٣) . وكان
هذا عتاز ضعيف النظر . فلما كسر الافرنج وقتلوا قطعوا رؤوسهم
وخذوها في سوط خيلهم . وقطع عتاز رأساً [وشده] في سوطه . فرآه
قوم من عسكر حماة فقالوا له «يا عتاز، أي شيء هذا الرأس منك؟» قال
«سبحان (٢٤) الله لما جرى بيني وبينه حتى قتله» . قالوا له «يارجل،
هذا رأس أخيك بدر!» فنظروا وتأمله، فإذا هو رأس أخيه . فاستحي [كذا]
من الناس وخرج من حماة . فما ندري أين قصد ولا عدنا سمعنا له خبراً .
وكان اخوه بدر قُتل في تلك الوقعة قتل الافرنج، خذلهم الله تعالى

ضربة سيف تشق رأس اسماعيلي

اذكرني ضرب حجر المنجنيق رأس ذلك الشيخ، رحمه الله، ضرب
السيف الماخية . فمن ذلك ان رجلاً من اصحابنا يقال له همام (٢٥)
الحاج التقي هو ورجل من الاسماعيلية، لما عملوا على حصن شيزر (٢٦)،
في رواق في دار عمي، رحمه الله، وفي يد الاسماعيلي سكين والحاج
في يده سيف . فهجم عليه الباطني بالسكين . فضربه همام بالسيف
فوق عينه فقطع فحف رأسه ووقع مخه على الارض فانبطع عليها وتطاير .
فوضع همام السيف من يده وتقياً ما في بطنه لما لحقه من نظر ذلك المنجنيق

(٢٢) «اكراده في الاصل»

(٢٣) «قابل التميمي» المتبعة ٣٧٦

(٢٤) «سبح» في الاصل

(٢٥) أو «همام»

(٢٦) سنة ١١٠٩ أو ١١١٤

من الفتيان (٢٧) • ولقيني في ذلك اليوم واحد منهم في يده سيخ وفي يدي سيف لي • فهجم عليّ بالسيخ فضرته في وسط ساعده، والسيخ في يده قبضته وصله لاصق بساعده، فقطع قد اربع اصابع من نعل السيخ وقطع الساعد من نصفه، فابانه • وبقي اثر فم السيخ في حدة السيف • فراء صانع عندنا فقال «انا اخرج هذا الثلم منه» • قلت «دعه كسا هو» • فهو احسن ما فيه وهو الي الآن اذا رآه الانسان علم انه اثر سكين [٣٦ ق] ولهذا السيف خبر انا ذا كره

واخرى تقطع نعلًا ومرتقا

كان للوالد، رحمه الله، ركابي يقال له جامع • فاغار (٢٨) الفريخ علينا • فلبس الوالد كراغنده وخرج من داره ليركب، فما وجد حصانه • فوقف ساعة ينتظره • فوصل جامع الركابي بالحصان، وقد ابطأ • فضر به الوالد بهذا السيف وهو في غمده متقلد به • فقطع الجهاز والنعل الفضة وبشتا (٢٩) • كان على الركابي وموفية وعظم مرتقه • فرميت يده • فكسان، رحمه الله، يقوم به وباولاده بعده لتلك الضربة • وكان السيف يسمى الجامعي باسم ذلك الركابي

ضربتان قتلان رجلين

ومن ضربات السيوف المذكورة ان اربعة اخوة من انساب الامير افتخار الدولة ابي الفتوح بن عمرو صاحب حصن 'بوقيس' (٣٠) سعدوا اليه الى الحصن وهو نائم او تقوه بالجراح، وما معه في الحصن غير ابنه • ثم خرجوا وهم يظنون انهم قد قتلوه يريدون ابنه • وكان هذا افتخار الدولة قد آناه الله من القوة امرًا عظيمًا • فقام من فرائه

(٢٧) «الفتيان» طيبة درنيورغ ص ٨٦

(٢٨) «صار» في الاصل

(٢٩) أو «بشتا» — عيآة • ولعلها «بشتا» الفارسية

(٣٠) «بوقيس» في الاصل • موقعه غربي شيزر • ياقوت ١٠٣٠١

عرباناً (٣١)، وسيفه معلق في البيت معه، فآخذه وخرج اليهم، فلقبه واحد منهم وهو مقدمهم وشجاعهم، فضربه افتخار الدولة بالسيف وقفز من مقابله خوفاً من ان يصل اليه يسكين كانت في يده، ثم التفت اليه فوجده ملقى قد قتله بتلك الضربة، ومار السى الآخر ضربه قله، وانهزم الاثنان الباقيان، فرما انفسهما (٣٢) من الحصن، فمات احدهما ونجا الآخر

واتانا الخبر الى شيزر، فقعدنا من هنأء بالسلامة، وطلعنا بعد ثلاثة ايام الى حصن ابو قيس لعيادته، فان اخته كانت عند عمي عز الدين وله منها اولاد، فحدثنا حديثه وكيف كان امره، ثم قال «من كلفني يحكني، وما امل اليه»، ودعا غلاماً له ليصير ذلك الموضع اي شيء قمره فيه، فنظر فاذا هو جرح وفيه رأس دشن قد انكسر في ظهره، وما معه منه علم ولا احس به، فلما قاح حكه

وكان من قوة هذا الرجل انه كان يسك رُسُخ رجل البخل ويضرب البخل فلا يقدر يخلص رجله من يده، ويأخذ السمار البيطارى بين اصابعه وينقذه في دف خشب البلوط، وكان اكله مثل قوته لا بل اعظم

بطولة النساء

قد ذكرت شيئاً من افعال الرجال وما ذكر شيئاً من افعال النساء بعد بساط اقدمه

بالدون يعقب روجر في انطاكية

وذلك ان انطاكية كانت لشیطان من الافرنج يقال له روجار، فمضى بحیج الى البيت المقدس، وصاحب البيت المقدس بغدوين

(٣١) «عمرانه في الامل

(٣٢) كذا في الامل

البرونس (٣٣) وهو رجل شيخ، وروجار شاب. فقال لبغدوين «اجعل بني وبينك شرطاً» [٣٧] و «ان مت قبلك كانت انطاكية لك، وان مت قبلني كان البيت المقدس لي». فتعاقدا وتوافقا على ذلك وقدّر الله تعالى ان نجم الدين إيلغازي بن (٣٤) أرتق، رحمه الله، لقي روجار بدانيث يوم الخميس خامس جمادى الاولى سنة ثلاث عشرة وخمسة مائة (٣٥) فقتله (٣٦) وقتل جميع عسكره. ولم يدخل انطاكية منهم الا دون العشرين رجلاً. ومار يعلوين الى انطاكية فتسلمها وضرب مع نجم الدين مصافاً بعد اربعين يوماً. وكان إيلغازي (٣٧) اذا شرب النبيذ يخمر (٣٨) عشرين يوماً. فشرب بعد كسر الافرنج وقتلهم (٣٩) ودخل في الخمار فما افاق حتى حمل الملك يعلوين البرونس الى انطاكية بهسكره.

طغدنكين يقطع رأس روبرت

فكان المصاف الثاني بينهما على السواء: كسر بعض الفرنج بعض المسلمين وكسر بعض المسلمين بعض الفرنج، وقتل من هؤلاء وهاولاء جماعة. واصر المسلمون روبرت (٤٠) صاحب صهيون (٤١) وبلاطنس (٤٢) وتلك الناحية، وكان صديقاً لاتبك طغدنكين صاحب

(٣٣) Prince وهو بالدون الثاني

(٣٤) «العاري اس» في الاصل هنا وفيما يلي

(٣٥) «حمدي» في الاصل. والتاريخ يقابل ١٤ آب سنة ١١١٩

(٣٦) لم يحتفل روجار في معركة دانيث بل في البلاط كما تقدم اعلاه

(٣٧) «العاري» في الاصل هنا وفيما يلي

(٣٨) «يحم» او «يخمر» في الاصل

(٣٩) يظهر ان الاشارة الى وفاة البلاط

(٤٠) Robert

(٤١) حصن بين اللاذقية وحماة. ابن الاثير في *Recueil* ٧٧١:١ و يافوت

١٤٩ Dussaud و ٤٣٨:٣

(٤٢) Palatnus جنوبي صهيون. ابن الاثير في *Recueil* ٧٢٣:١ و يافوت

دمشق ذلك الوقت، وكان مع نجم الدين إيلغازي لما اجتمع بالافرنج في اقامية حين وصل عسكر الشرق مع برسق بن برسق. فقال هذا روبرت الابرمس (٤٣) لانا بك طغندكين «ما ادري باي شيء اضيفك». ولكن قد ابحثك بلادي. انفذ خيلك تغبر عليها وتأخذ كلنا وجدوه. بلى لا يسبوا ولا يقتلوا. الدواب والمال والغلة لهم يأخذون ذلك مباحا لهم». فلما أسر روبرت، وانا بك طغندكين حاضر المصاف في معونة ايلغازي، قطع روبرت على نفسه عشرة آلاف (٤٤) دينار فقال ايلغازي «امضوا به الى انا بك لعلّه يفرّعه فيزيدنا في القطيعة». فمضوا به وانا بك في خيمته يشرب. فلما رآه مقبلا قام شمر اذبال قبائه (٤٥) في البند واخذ سيفه وخرج اليه ضرب رقبته. فتفقد اليه ايلغازي يهتب عليه وقال «نحن محتاجون الى دينار واحد للتركمان. وهذا كان قد قطع على نفسه عشرة آلاف دينار فنذته اليك تفزعه لعلّه يزيدنا في القطيعة، قتله!» قال «انا ما احسن افزع الا كذا»

بالدون يسامح عم اسامه بقطيعة

ثم ملك بضوين البرونس انطاكية. وكان لابي وعمي، رحمهما الله، عليه جميل كبير (٤٦) حيث كان اسره نور الدولة بلك (٤٧)، رحمه الله. ومار بعد قتل بلك (٤٨) الى حسام الدين تيمر تاش بن ايلغازي، فحمله الينا الى شيزر ليتوسط ابي وعمي رحمهما الله، بعه (٤٩). فاحسنا

(٤٣) كمال الدين في *Recueil* ٣: ٦٢١ و ٦٢٩

(٤٤) «الف» في الاصل هنا وادناه

(٤٥) «صاه» في الاصل هنا وفي ص ١٥٩ م ٦

(٤٦) «كسره» في الاصل

(٤٧) ابن بشارم واخو ايلغازي وصاحب مملوكة (ملاطيه في العامية) شمالي اورفا

(٤٨) ١١٢٤ سنة

(٤٩) كمال الدين في *Recueil* ٣: ٦٤٣

اليه . فلما ملك كانت لصاحب انطاكية علينا قطعة (٥٠) مامحنا بها .
ومار امرنا في انطاكية نافذاً

ويتازل عن انطاكية لابن ميمون

فهو فيما هو فيه، وعنده رسول [٣٧ ق] من اصحابنا اذ عمل (٥١)
مركب الى السويدية فيه صبي عليه اخلاق . فحضر عنده وعرفه انه ابن
ميمون . فسلم انطاكية اليه وخرج منها ضرب خيمه في ظاهرها . فحلف
لنا رسولنا الذي كان عنده انه (يعني الملك بشنوين) اشترى عليك خيله
تلك الليلة من السوق، واهراء انطاكية ملأى (٥٢) من الفلّة . ورجع
بشنوين الى القدس

ابن ميمون يهاجم شيزر

وخرج على الناس من ذلك الشيطان ابن ميمون بليّة عظيمة . فنزل
علينا يوماً من الايام بحسكروه . فضرب خيامه، ونحن قد ركبنا مقابلهم،
فما خرج اليانمهم احد ونزلوا في خيامهم . ونحن ركاب على شرف نبصرهم،
وبينا وبينهم العاصي . فنزل من يتا ابن عمي ليث الدولة يحيى بن
مالك (٥٣) بن حميد، رحمه الله، يسر الى العاصي . فظنناه يسقي فرسه .
فخاض الماء وعبر ومار نحو موكب للافرنج واقف بالقرب من خيامهم .
فلما دنا منهم نزل اليه فارس واحد . فحمل كل واحد منهما على صاحبه،
وراغ (٥٤) كل واحد منهما عن طعنة الآخر . فترسعت انا وامثالي
من الشاب ذلك الوقت اليهما . ونزل ذلك الموكب وركب ابن ميمون
وعسكره وجاموا كالسيل، وصاحبنا قد طعنت فرسه . فالتقت اوائل خيلنا

(٥٠) قبينا اربعة آلاف دينار وضما منكر سنة ١١١٠

(٥١) سنة ١١٢٦

(٥٢) «ملاء في الاصل

(٥٣) «ملك في الاصل

(٥٤) «مكدا في الاصل ويبرز «وزاغ»

واوائل خيلهم . وفي اجنادنا رجل كردي . يقال له ميكائيل (٥٥) قد جاء في اوائل خيلهم منهزمه وخلفه فارس افرنجي قد لزمه . وللكردي بين يديه ضجج وصياح عال . فلقيته، فمال عن ذلك الفارس الكردي وزل عن طريقه وقصد خيلاً لنا فسي جماعه على الماء واقفين مما يلينا، وانا خلفه اجهد ان يلحقه حصاني فاطعنه، فلا يلحقه، ولا الافرنجي يلتفت اليّ الا يريد تلك الخيل المجتمعة الى ان وصل الى خيلنا، وانا تابعه . فظعن اصحابي حصانه طعنه اوقتته (٥٦)، واصحابه فسي اثره فسي جمع ما لنا بهم قوة . فرجع الفارس وحصانه في آخر رمقه التقاهم فردهم جميعهم، وعاد، وهم معه . وكان الفارس ابن ميمون صاحب انطاكية وهو صبي (٥٧) قد امتلأ قلبه من الرعب . ولو ترك اصحابه هزمونا الى ان يَدْخُلُونَا المدينة

قصة بُريكة

كل ذلك وامة عجوز يقال لها بُريكة (٥٨) مملوكة لرجل كردي من اصحابنا يقال له علي بن محبوب (٥٩) واقفة بين الخيل على شط النهر في يدها شربة تستقي بها وتسقي الناس . واكثر اصحابنا الذين كانوا على الشرف لمّا رأوا الافرنج مقبلين في ذلك الجمع اندفعوا نحو المدينة وتلك (٦٠) [٣٨] و الشيطانة واقفة لا يرونها ذلك الامر العظيم

وانا ذاكر شيئاً من امر هذه بُريكة، وان لم يكن موضعه، لكن الحديث شُجُونٌ

(٥٥) «ميكائيل» في الاصل

(٥٦) «لوحه» في الاصل

(٥٧) عمره ١٨ عشر عاماً

(٥٨) «بريكة» في الاصل

(٥٩) «محبوب» في الاصل

(٦٠) مكررة في راس الصفحة التالية

كان مولاهما عليّ يندبني ولا يشرب الخمر • فقال لوالدي يوماً «والله، يا امير، ما استحلّ أكل من الديوان ولا أكل الا من كسب بُريكة» • وهو الجاهل يظنّ أن ذلك السحت الحرام احلّ من الديوان الذي هو مستاجر به

وكانت هذه الأمة لها ولد اسمه نصر رجل كبير [وكان] وكيلاً (٦١) في ضجة للوالد، رحمه الله، هو ورجل يقال له بَقِيَّة (٦٢) بن الأصغر • حدثتني قال «دخلتُ في الليل الى البلد اريد الدخول الى داري في شغل لي • فلمّا دنوت من البلد رأيت بين المقابر في ضوء القمر شخصاً ما هو آدميّ ولا هو وحش، فوفقت عنه وتهيّيته • ثم قلت في نفسي «ما انا بَقِيَّة!» ما هذا الخوف من واحد؟ فوضعت سيفي ودَرَقَتِي (٦٣) والحربة التي معي ومشيت قليلاً قليلاً، وانا اسمع لذلك الشخص زجلاً وصوتاً • فلمّا قربت منه وثبت عليه وفي يدي دُخْيَ فقبضته، واذا بها بُريكة مكشوفة الرأس قد نفشت شعرها وهي راكبة قسبة تصهل بين المقابر وتجول • قلت «ويحك! ايّ شيء تملين (٦٤) في هذا الوقت هاهنا؟» قالت «اسحر» • قلت «قبضك الله وقبّع سحرك وصنعتك من بين الصنائع»

امراة تقاتل في شيزر

اذكرني قوّة نفس هذه الكلبة يامور جرت للنساء في الواقعة (٦٥) التي كانت بيننا وبين الاسماعيليّة، وان لم تكن (٦٦) سواء

(٦١) «وكلاء» في الاصل

(٦٢) «عه» في الاصل

(٦٣) ترس من جلد

(٦٤) «حلي» في الاصل

(٦٥) نيسان سنة ١١٠٩

(٦٦) «دكوروا» في الاصل • عامية • والمقصود وان لم تكن هذه الساحرة ونساء

شيزر سواء

لقي في ذلك اليوم مقدم القوم عُلوان بن حرّار (٦٧) ابن عمّي
 سنان الدولة شيب (٦٨) بن حامد بن حميد، رحمه الله، في الحصن، وهو
 تَربى ولِدَتِي ولدتُ أنا وهو في يوم واحد يوم الأحد السابع والعشرين
 من جمادى (٦٩) الآخرة سنة ثمان وثمانين وأربع مائة (٧٠) إلا أنه ما
 باشر الحرب [حتى] ذلك اليوم، وأنا كنت قطبها. فاراد عُلوان اصطناعه.
 فقال له «ارجع الى بيتك. احمل منه ما تقدر عليه وروح (٧١) لا تُقتل،
 فالحصن قد ملكناه». فرجع الى الدار وقال «من كان له شيء يعطيني
 اياه». (يقول ذلك لعمته ونساء عمّه). فكلّ منهم اعطاه شيئاً. فهو
 في ذلك واذا انسان قد دخل الدار عليه زردية وخوذة ومعه سيف وترس.
 فلما رآه ايقن بالموت. فوضع الخوذة، واذا هي امّ ابن عمّه ليث الدولة
 يحيى، رحمه الله. فقالت «اي شيء تريد تعمل؟» قال «أخذ ما قدرت
 عليه، واتزل من الحصن بجبل، واعيش في الدنيا». قالت «بئس ما
 تفعل». تخشّي بنات عمك واهلك للحلاجين وتروح؟ اي عيش يكون
 [٣٨ ق] عيشك اذا افتضحت في اهلك وانهزمت عنهم؟ اخرج قاتل عن
 اهلك حتى تقتل بينهم. فعل الله بك وفعل». ومنعته، رحمها الله، من
 الهرب. وكان من الفرمان المعلومين بعد ذلك

والدة أسامة في القتال

وفي ذلك اليوم فرقت والدي، رحمها الله، سيوفي وكز اغنداني.
 وجاءت الى اخت لي كبيرة السن وقالت «البي خفك وازارك». فلبست
 واخذتها الى روشن في داري يشرف على الوادي من الشرق اجلسنها

(٦٧) «حرار» في الأصل. وربما كانت «جرار» «جزار» «خزار» «خراز»
 «حراز» «حرار» «جزار» «حراز» «خراز» الف. القمي «المشبه» ٩٩ - ١٠٠

(٦٨) «مس» في الأصل

(٦٩) «حدي» في الأصل

(٧٠) ٤ تموز سنة ١٠٩٥. ولكن هذا التاريخ يقع يوم الاربعاء.

(٧١) «وروح» في الأصل. عامية

عليه وحلت الى باب الروشن * ونصرنا الله سبحانه عليهم * وجئت الى
داري اطلب حبساً من ملاحني ما وجلت الا جهيزات السيوف وعبيب
الكر اغندات * قلت «يا امي، اين ملاحني؟» قالت «بابني» اعطيت السلاح
لمن يقاتل عنا * وما ظننتك بالماء * قلت «فاخني اي شيء تعجل هاهنا؟»
قالت «بابني» اجلستها على الروشن وجلست برّاً منها * اذا رايت
الباطنية قد وصلوا اليها دفعتها رميتها الى الوادي فأراها قد ماتت ولا
اراهها مع الفلاحين والحلاجين مأسورة * ففكرتها على ذلك وشكرتها
الاخت وجزتها خيراً * فهذه النخوة اشد من نفحات الرجال

عجوز تضرب بالسيف

وتلثمت في ذلك اليوم عجوز من جوارى (٧٢) جدّي الامير ابي
الحسن علي، رحمه الله، يقال لها فتون (٧٣) * فاخذت سيفاً وخرجت
الى القتال وما زالت كذلك حتى معدنا وتكاثرنا عليهم
وما ينكر للنساء الكرام الانفة والنخوة والامامة في الراي

جدة أسامة تصحّه

ولقد خرجت يوماً من الايام مع الوالد، رحمه الله، الى الصيد * وكان
مشغولاً بالصيد عنده من البزاة والشواهد والمقور والفهود والكلاب
الزغارية ما لا يكاد يجتمع عند غيره، ويركب في اربعين فارساً من اولاده
ومما يليه كل منهم خير بالصيد عارف بالقنص * وله بشير منصيّدان:
يوماً يركب الى غربيّ البلد الى ازوار وانهار فيتصيّد الدراج وطير
الماء والارانب والغزلان ويقتل الخنازير، ويوماً (٧٤) يركب الى الجبل
قبليّ البلد يتصيّد الحجل والارانب * فنحن في الجبل يوماً وقد حانت
صلاة العصر فنزل ونزلنا نصلّي فرادى * واذا غلام قد جاء يركض قال

(٧٢) «حوار» في الامل

(٧٣) قابل النعمي ٣٩٧

(٧٤) «يوم» في الامل

«هذا الادماء! فلست قبل الوالد، رحمه الله، لكيلا يمنعي من قتال الادماء. وركبت ومعى رمحي فحملت عليه. فاستقبلني وهدر. فحاص بي الحصان ووقع الرمح من يدي لثقله وطردني شوطاً جيداً. ثم رجع إلى سفح الجبل وقف عليه وهو من اعظم السباع كأنه قنطرة» جانع». وكلما دنونا منه نزل من الجبل طرد الخيل وعاد إلى مكانه. وما ينزل نزلة الا يودثر [٣٩] وفي امحابتنا

ولقد رأيته ركب مع رجل من غلمان عمي يقال له بستكين غرزة (٧٥) على وركي حصانه وخرق بمخالبه ثيابه ورائاته وعاد إلى الجبل. فما كان لي فيه حيلة الا ان صعدت فوقه في سفح الجبل، ثم حدرت حصاني عليه فطعته فتدث الرمح فيه وتركه في جانبه. فتقلب إلى اسفل الجبل والرمح فيه. فمات الادماء وانكسر الرمح، والوالد، رحمه الله واقف يرانا ومعه اولاد اخيه عز الدين يصرون ما يجري، وهم صبيان وحملنا الادماء ودخلنا البلد العشاء واذا جدتي لابي، رحمهما الله، قد جاءتني في الليل وبين يديها شعة - وهي عجوز كبيرة قد قاربت من العمر مائة سنة. فما شككت انها قد جاءت تهتني بالسلامة وتعرفني مسرتها بما فعلت. فلقيتها وقبلت يدها فقالت لي بغيظ وغضب «يا بني، ايش (٧٦) يحملك على هذه المصائب التي تخاطر فيها بنفسك وحصانك وتكسر ملاحك ويزداد قلب عمك منك وحشة ونفوراً؟ قلت «يا سي، انما اخاطر بنفسي في هذا ومثله لا تقرب إلى قلب عمي». قالت «لا، والله، ما يقربك هذا منه وانه يزيدك منه بعداً ويزيدك منك وحشة ونفوراً». ففعلت انها، رحمها الله، نصحتني في قولها وصدقني. ولعمري انهن امهات الرجال

ولقد كانت هذه العجوز، رحمها الله، من صالحتي المسلمين من الدين والدقة والصوم والصلاة على اجمل طريقة. ولقد حضرته ليلة النصف

(٧٥) «مرره» في الاصل

(٧٦) علمية. أي شيء

من شعبان وهي تصلي عند والدي، وكان، رحمه الله، من احسن من يتلو كتاب الله تعالى، ووالدته تصلي بصلاته. فاتفق عليها فقال «يا أمي، لو جلست صليت من قعود». قالت «يا بني، بقي لي من العمر ما أعيش الى ليلة مثل هذه الليلة؟ لا، والله، ما اجلس». وكان الوالد قد بلغ السبعين سنة (٧٧) وهي قد شارفت المائة سنة، رحمه الله

مسلمة تقتل زوجها

وشاهدت من نخوات النساء عجبا. وهو ان رجلا من اصحاب خلف ابن ملأب يقال له عليّ عبد ابن ابي الريداء (٧٨) كان قد رزقه الله تعالى من النظر ما رزق زرقاء اليمامة. فكان ينهض مع ابن ملأب بمصر القوافل على مسيرة يوم كامل

ولقد حدثني رجل من رفاقه يقال له سالم العجائزي انتقل الى خدمة والدي بعد ما قتل خلف بن ملأب (٧٩) قال «نهضنا يوما وارسلنا عليّا (٨٠) عبد ابن ابي الريداء بكرة [٣٩ ق] يديب لنا. فجادنا وقال «ايتمروا بالغنمة! هذه قافلة كثيرة مقبلة». فنظرنا ما رأينا شيئا. فقلنا «ما نرى قافلة ولا غيرها». قال «والله، اني لارى القافلة وقد امها قرسان معيّنان (٨١) ينفضان معارفهما». فاقمنا في الكمين الى العصر. فوصلتنا القافلة والفرسان المعيّنان قد امها فخرجنا اخذنا القافلة»

وحدثني سالم العجائزي قال «نهضنا يوما ومعد عليّ عبد ابن ابي الريداء يديب (٨٢) لنا. فنام وما درى الا وقد اخذه تركي من سرية

(٧٧) كانت سنة ولادته ٤٦٠ او ٤٦٨ م

(٧٨) «الرياء» في الاصل

(٧٩) سنة ١١٠٦. ابن الاثير في *Recueil* ٢٣٢:١ - ٣٥ وابو الفدا في

Recueil ٨:١ - ٩

(٨٠) «علي» في الاصل

(٨١) «مسان» في الاصل. «معيّنان» ٢٤. وادناه «المسان»

(٨٢) يراقب. فارسية

اتراك ناهضه وقالوا «اي شيء انت؟» قال «انا رجل معلوك قد اكرمت جملي لرجل من التجار في القافلة» اعطني (٨٣) يدك انك تعطيني جملي حتى ادلكم على القافلة، فاعطاه مقلهم يده، فمشى بين ايديهم الى ان اوصلهم اليها الى الكمين، فخرجنا عليهم اخذناهم، وتعلق هو بالذي كان بين يديه اخذ فرسه وعدته، وغنمنا منهم غنيمة حسنة»

فلما قتل ابن ملأب انتقل علي [عبد] ابن ابي الرياء الى خدمة توفيل (٨٤) الافرنجي صاحب كفر طاب، فكان ينهض بالافرنج الى المسلمين يضمهم ويبالغ في اذى المسلمين واخذ مالهم وسفك دمه حتى قطع بل المسافرين، وله امرأة معه بكفر طاب تحت يدي الافرنج تنكر عليه فعله ونهائه فلا يتهيأ، فتفتت احضرت نسيباً لها من بعض الضياع، واغلت اخاه، واخفته في البيت الى الليل، واجتمعت هي وهو على زوجها علي عبد ابن ابي الرياء قتلاء، واحتملا بجميع مالها، واصبحت عندنا بشيزر وقالت «غضبت للمسلمين مما كان يفعل بهم هذا الكافر»، فاراحت الناس من هذا الشيطان، ورعينا لها ما فعلت وكانت عندنا في الكرامة والاحترام

افر نجية تجرح مسلماً

وكان في امراء مصر رجل يقال له ندى (٨٥) الصليحي في وجهه ضربتان الواحدة من حاجبه الايمن الى حد شعر راسه والاخرى من حاجبه الايسر الى حد شعر راسه، فسأله عنهما فقال «كنت انهض وانا شاب من عسقلان، وانا راجل، فنهضت يوماً الى طريق بيت المقدس اريد حجاج الافرنج، فصادفنا قوماً منهم، فلقيت رجلاً معه قنطارية وخلفه امرأته معها كوز خشب فيه ماء، فطعنتي الرجل هذه الطلعة الواحدة وضربتته

(٨٣) «اعطسي» في الاصل

(٨٤) «سول» في الاصل، وقد وردت اعلاه من ٧٣ في الاصل «سول»

(٨٥) «ندي» في الاصل، قابل اعلاه من ٤٢ ح ٢١

قتله . فمئنت (٨٦) التي امرأته وضربني بالكوز الخشب في وجهي
جرحتني هذا الجرح الآخر [٤٠ و] فوسما وجهي

شيزرية تأسر ثلاثة افرنج

ومن إقدام النساء ان جماعة من الافرنج الحجاج حجّوا وعادوا
الى رقيّة، وكانت ذلك الوقت لهم، وخرجوا منها يريدون اقامة .
فتأهوا في الليل وجاءوا الى شيزر وهي اذ ذلك بغير سور . فدخلوا المدينة
وهم في نحو من سبع مائة ثمان مائة رجال ونساء ومياني . وكان عسكر شيزر
قد خرج مع عمّتي (٨٧) عزّ الدين ابي العساكر سلطان وفخر الدين ابي
كامل شافع، رحمهما الله، ليلقيا عرويين قد تزوّجاها من بني الصوفي
الحليّين اختين (٨٨) . ووالدي رحمه الله في الحصن . فخرج رجل
من المدينة في شغل له في الليل فرأى افرنجياً . فعاد اخذ سيفه وخرج
قتله . ووقع الصباح في البلد . وخرج الناس فقتلوه وغنموا ما كان
مهم من النساء والمياني والفضّة والبهائم

وفي شيزر امرأة من نساء اصحابنا يقال لها نَضْرَة (٨٩) بنت بوزرماط
خرجت مع الناس اخذت افرنجياً ادخلته بيتها . وخرجت اخذت آخر
ادخلته بيتها . وعادت خرجت اخذت آخر . فاجتمع عندها ثلاثة من
الافرنج . فاخذت ما كان مهم وما صلح لها من ملبهم وخرجت دعت قوماً
من جيرانها قتلوه

ووصل عمّاي والعسكر في الليل، وقد كان انهزم من الافرنج ناس
وتبعهم رجال من شيزر فقتلوه في ظاهر البلد . فصارت الخيل تشر (٩٠)

(٨٦) «ممسب» في الاصل

(٨٧) «عمّاي» في الاصل

(٨٨) «احوات» في الاصل

(٨٩) «مهر» في الاصل

(٩٠) «سر» في الاصل هنا وفي السطر التالي

في الليل في القتلى، ولا يدرون بماذا تحترق حتى ترجل أحدهم وابصر القتلى في الظلام. فهاهم ذلك واعتقدوا ان البلد قد كبس
أفرنجية توءثر ان تكون زوجة اسكاف

وكانت غنيمة ساقها الله عز وجل إلى الناس. فصار إلى دار والدي، رحمه الله، عدة من الجوارى (٩١) من سيهم. وهم، لعنهم الله، جنس ملعون لا يألفون لغير جنسهم. فرأى منهم جارية مليحة شابة فقال لقهرمانه داره «ادخلي هذه الحمام، واصلحي كسوتها، واعلمي شغلها للسفر». ففعلت. وسلمها إلى بعض خدامه وسيرها إلى الأمير شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك (٩٢) صاحب قلعة جعبر (٩٣)، وكان صديقه، وكتب إليه يقول «غنمنا من الأفرنج غنيمة قد نفدت لك سهماً منها». فوافقته وأعجبته واتخذها لنفسه. فولدت له ولداً ساء [٤٠ ق] بدران (٩٤). فجعله أبوه ولتي عهده. وكبر ومات والده. وتولّى بدران البلد والرعيّة وأمّه الأمرة الناعية. فواعدت قوماً وتدلّت من القلعة بجبل ومضى بها أولئك إلى سروج (٩٥)، وهي اذ ذاك للأفرنج، فتزوجت بأفرنجي اسكاف وابنها صاحب قلعة جعبر (٩٦)

أفرنجي يتنصر بعد اسلامه

وكان في أولئك (٩٧) الذين صاروا إلى دار والدي امرأة عجوز ومعها بنت لها امرأة شابة حنة المخلقة وابن مشد. فاسلم الابن وحسن اسلامه فيما يرى من صلاته وصومه. وتعلم الترخيم من مرخيم كان

(٩١) «الحوار» في الاصل

(٩٢) «ملك» في الاصل. والتي قبلها «مالك» في الاصل

(٩٣) على الفرات

(٩٤) ذكره كمال الدين في *Recueil* ٧٢٨:٣

(٩٥) إلى الجنوب الغربي من اورفا. قابل ابن الاثير *Recueil* ٢٠٧:١

(٩٦) «ملصه جبر» في الاصل

(٩٧) «ذلك» في الاصل

برحيم دار والدي - فلما طال مقامه زوجه الوالد بامرأة من قوم
 صالحين وقام له بكل ما احتاجه لغيره بوليه - فرزق منها ولدين وكبرا
 ومار لكل واحد منهما خمس سنين - والظلام راوول (٩٨) ابوهما
 مسرور بهما - فاختدهما وامثهما وما بقي به واصبح بافامية عند الافرنج
 وتصبر هو واولاده بعد الإسلام والصلاة والدين - فافقه تعالى يطهر الدنيا
 منهم

(٩٨) «والظلام راوول» في الامل

٨ - طبائع الافرنج و اخلاقهم

سبحان الخالق البارئ اذا خبر الانسان امور الافرنج مَبَّحَ اللهُ تعالى
وقدّمه ورأى بهائم (١) فيهم فضيلة الشجاعة والقتال لا غير، كما في
البهائم فضيلة القوة والحمل. وساذكر شيئاً من امورهم وعجائب عقولهم

لاعقل لهم

كان في عسكر الملك فلک بن فلک فارس محتشم افرنجي قد وصل من
بلادهم يهيج ويهود. فانس يسي وصار ملازمي يدعونسي «اخي» وبيننا
المودة والمعاشرة. فلما عزم على التوجه في البحر الى بلاده قال لسي
«يا اخي، انا سائر الى بلادتي. وأريدك تُنفذ معي ابنك (وكان ابني (٢)
معي وهو ابن اربع عشرة سنة) الى بلادتي يبصر الفرسان ويتعلّم العقل
والفروسيّة. واذا رجع كان مثل رجل عاقل». فطرق مسعي كلام ما
يخرج من رأس عاقل. فان ابني لو أسر ما بلغ به الاسر اكثر من
رواحه الى بلاد الافرنج. فقلت «وحياتك، هذا الذي كان في نفسي.
لكن معني من ذلك ان جدته تحبّه وما تركه يخرج معي حتى استحلقتني
اني اردّه اليها». قال «وامّاك تعيش؟» قلت «نعم». قال «لا تخالفها»
عجائب طبّئهم.

ومن عجيب طبّئهم ان صاحب المنيطرة (٣) كتب الى عمّتي يطلب منه
انفاذ طبيب يداوي مرضى من اصحابه. فارسل اليه طبيباً نصرانياً يقال

(١) «بهائم» في الاصل

(٢) ابو الفوارس مُرّصف. وكان والده امامة مشغولاً به

(٣) قرب الله عند منبع نهر ابراهيم في شمالي لبنان

له ثابت (٤) . فما غاب عسرة ابّام حتى عاد فقلنا (٥) له وما اسرع ما داويت
المرضى! قال «احضروا عندي فارساً قد طلعت في رجله [٤١ و] دملّة
وامرأة قد لحقها نشاف (٦) . فعملت للفارس ليخفة ففتحت الدملّة
وصلحت . وحميت المرأة ورطب مزاجها . فجامع طيب افرنجي فقال
لهم «هذا ما يعرف شي (٧) يدابوهم» . وقال للفارس «ايّما احب اليك
تعيش برجل واحدة او تموت برجلين؟» قال «اعيش برجل واحدة» .
قال «احضروا لي فارساً قوياً وفأساً قاطعاً» . فحضر الفارس والفأس،
وانا حاضر، فحطّ ساقه على قرمة خشب وقال للفارس «أضرب رجله
بالفأس ضربة واحدة اقطعها» . فضربه، وانا اراء، ضربة واحدة ما
انقطعت . ضربه ضربة ثانية فقال منخ الساق، ومات من ساعته . وابصر
المرأة فقال «هذه امرأة في رأسها شيطان قد عثقها» . احلقوا شعرها .
فحلقوه . وعادت تأكل من ماكلهم (٨) الثوم والخردل . فزاد بها
النشاف . فقال «الشيطان قد دخل في رأسها» . فأخذ الموصي وشقّ
رأسها حلياً وسلخ وسطه حتى ظهر عظم الرأس وحكه بالملح، فمات
في وقتها . فقلت لهم «يقي لكم المي حاجة؟» قالوا «لا» . فجنّت وقد
تعلمت من طبّهم ما لم اكن اعرفه»

وقد تاهدت من طبّهم خلاف ذلك . كان للملك خازن من فرسانهم
يقال له برناد (٩)، لعنه الله، من العن الافرنج وارجمهم . فرمحه حصان
في ساقه فعملت عليه رجله وفنت في اربعة عشر (١٠) موضعاً . والجراح

(٤) «باب» في الاصل

(٥) مكررة

(٦) «نشاف» في الاصل . ولعلها «نشاف» فارسيّة بمعنى البه

(٧) عامية

(٨) «مواكلهم» في الاصل . عامية

(٩) «برناد» في الاصل - Bernard

(١٠) «اربع عسره» في الاصل

كلّما حسم موضع فُتح موضع (١١)، وانا ادعو بهلاكه • فجاء طيب
افرنجي - فزال عنه تلك المراهم وجعل يضلها بالخلّ الحاذق • فحُثت
تلك الجراح وبرأ • وقام ملّ الشيطان

ومن عجيب طبّهم انه كان عندنا بتيزر صانع يقال له ابو الفتح له ولد
قد طلع في رفته خنازير • وكلّما حتم موضع فتح موضع • فدخل انطاكية
في نخل له وابنه معه • فرأه رجل افرنجي - فقال له عنه فقال «هو ولدي» •
قال «تحلف لي بدنياك ان وصفت لك دواء يُبرئُه لا تأخذ من احد
تداويه به اجرة حتى اصف لك دواء يبرئُه؟» فحلف • فقال له «تأخذ
له اشناناً (١٢) غير مطحون تحرقه وتربّه (١٣) بالزيت والخلّ الحاذق
وتداويه به حتى يأكل الموضع • ثم خذ الرصاص المحرق وربّه (١٤)
بالسن • ثم داوله (١٥) به فهو يبرئُه» • فداوله بذلك فبرأ • وحثت
تلك الجراح • وعاد الى ما كان عليه من الصحة
وقد داويت بهذا الدواء من طلع فيه هذا الداء فنفعه وازال ما كان
[٤١ ق] يشكو •

افرنجي يعترض اُسامة في صلاته

فكلّ من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية اجفى اخلاقاً من الذين قد
تبكّدوا وعاشروا المسلمين
فمن جفاء اخلاقهم، فبَحّهم الله، انني كنت اذا زرت البيت المقدّس
دخلت الى المسجد الأقصى وفي جانبه مسجد صغير قد جعله الافرنج كنيسة •
فكنت اذا دخلت المسجد الأقصى وفيه الداوية (١٦)، وهم اصداقائي،

(١١) «ومما فتح موضعاً في الاصل

(١٢) «اشان» في الاصل • وهو نبات

(١٣) «ربيه» في الاصل

(١٤) «وربه» في الاصل

(١٥) «داو» في الاصل

(١٦) Templars

يُخلون لي ذلك المسجد الصغير اُصلي فيه . فدخلته يوماً فكبرت ووقفت في الصلاة . فهجم عليّ واحد من الافرنج مكني وردّ وجهي الى الشرق وقال «كذا صلّ !» (١٧) فبادر اليه قوم من الداوئة اخذوه اخرجوه عني . وعدت انا الى الصلاة . فاعتقلهم وعاد هجم عليّ ذلك بعينه (١٨) وردّ وجهي الى الشرق وقال «كذا صلّ !» (١٩) فعاد الداوئة دخلوا اليه واخرجوه، واعتذروا اليّ، وقالوا «هذا غريب ومل من بلاد الافرنج في هذه الايام، وما راى من يصلي الى غير الشرق» . فقلت «حسبي من الصلاة!» فخرجت فكنت اعجب من ذلك الشيطان وتغيير وجهه ورعده وما لحقه من نظر الصلاة الى القبلة

الله طغلاً

ورأيت واحداً منهم جاء الى الامير معين الدين، رحمه الله، وهو في الصخرة (٢٠) فقال «تريد تصر الله صغيراً؟» (٢١) قال «نعم» . فمشى بين ايدينا حتى ارانا (٢٢) صورة مريم والمسيح عليه السلام (٢٣) صغير في حجرها فقال «هذا الله صغير» - تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً

ليس للافرنج غيرة جنسية

وليس عندهم شيء من النخوة والغيرة . يكون الرجل منهم يسي هو وامرأته يلقاه رجل آخر يأخذ المرأة ويحتزل بها وينحدث معها، والزوج واقف ناحية ينتظر فراغها من الحديث . فاذا طوّلت عليه خلاها مع المتحدث ومضى

(١٧) «صلى» في الاصل

(١٨) «سه» في الاصل

(١٩) «صلى» في الاصل

(٢٠) جامع الصخرة في اورشليم

(٢١) «صغر» في الاصل . وصوابه «صغيراً»

(٢٢) «اورانا» في الاصل . عالية

(٢٣) «السم» في الاصل

ومما شاهدت من ذلك اني كنت اذا جئت الى نابلس انزل في دار رجل يقال له معز داره عمارة المسلمين لها طاقات تفتح الى الطريق . ويقابلها من جانب الطريق الآخر دار لرجل افرنجي يبيع الخمر للتجار يأخذ في قنينة من النبيذ وينادي عليه ويقول «فلان التاجر قد فتح قنينة من هذا الخمر» من اراد منها شيئاً فهو في موضع كذا وكذا» . واجبرته عن ندائه (٢٤) النبيذ الذي في تلك القنينة . فجاء يوماً ووجد رجلاً مع امرأته في الفراش فقال له «اي شيء ادخلك الى عند امرأتي؟» قال «كنت تعبان [كذا] دخلت استريح» . قال «كيف دخلت السى فراشي؟» قال «وجدت فراشاً مفروخاً نمت فيه» . قال «والمرأة نائمة معك؟» قال «الفراش لها» . كنت اقدر امنعها من فراشها؟» [٢٥ و] قال «وحق ديني، ان عدت فعلت كذا تخاصمت انسا وانت» . فكان هذا نكيره ومبلغ غيـرته

ومن ذلك انه كان عندنا رجل حمّامي يقال له سالم من اهل المعرفة (٢٥) في حمّام لوالدي، رحمه الله . قال «فتحت حمّاماً في المعرفة اتعيش فيها» . فدخل اليها فارس (٢٦) منهم، وهم ينكرون على من يشد في وسطه المثزرفي الحمّام، فمدّ يده فجذب مثزرفي من وسطي رماه . فرآني، وانا قريب عهد بحلق عاتني، فقال سالم . «تفقرتُ منه» . فمد يده على عاتني وقال سالم، جيّد! وحق ديني اعمل لسي كذا، . واستلقي على ظهري وله مثل لحيته في ذلك الموضع . فحلقته فمرّ يده عليه فاستوطأ . فقال سالم، بحق دينك اعمل للدّاما، (والدّاما بلسانهم الست) يعني امرأته . وقال لفلان له «قل للدّاما تعج» . فمضى الغلام احضرها وادخلها . فاستلقت على ظهرها وقال «اعمل كما عملت لي» فحلق ذلك

(٢٤) «واجره عن بدا» في الاصل . «واجره عن بداية» طيبة درنيورغ ص

١٠٠ اما لاندبرغ ص ٣٨ فيقول انه قضى ساعتين في درس فراءتها فلم يهتد اليها

(٢٥) مرّة النعنان

(٢٦) «فارس» في الاصل

الشعر وزوجها قاعد ينظرني • فشكرني ووهبني حق خدمتي»
 فانظروا الى هذا الاختلاف العظيم: ما فيهم غيرة ولا نخوة وفيهم
 النجاعة العظيمة، وما تكون النجاعة الامن النخوة والانفة من سوء الاحدوة
 ومما يقارب هذا انني دخلت الحمام بمدينة صور فجلست في خلوة
 فيها • فقال لي بعض غلماني في الحمام «معنا امرأة» • فلما خرجت
 جلست على المصاطب واذا التي كانت في الحمام قد خرجت وهي مقابلي
 قد لبست ثيابها وهي واقفة مع ابيها ولم اتحقق انها امرأة • فقلت لواحد
 من اصحابي «يا الله ابصر هذه امرأة هي» • وانا اقصد ان يسأل عنها •
 فمضى، وانا اراءه رفع ذيلها وطلّغ (٢٧) فيها • فالتفت اليّ ابوها وقال
 «هذه ابنتي، ماتت امها وما لها من يضل رأسها • فادخلتها معي الحمام
 غسلت رأسها» • قلت «جيد [ما] عملت» • هذا لك فيه ثواب

عجائب طبّهم ايضاً

ومن عجيب طبّهم ما حدثنا به كلبام دبور (٢٨) صاحب طبرية وكان
 مقدّمًا فيهم • واتفق انه رافق الامير معين الدين (٢٩)، رحمه الله، من
 عكا الى طبرية وانا معه • فحدثنا في الطريق قال «كان عندنا في بلادنا
 فارس كبير القدر فمرض واشرف على الموت • فجنّا الى قسّ كبير
 من قسوسنا قلنا «تجي» معنا حتى تبصر الفارس فلانّا؟ (٣٠)، قال «نعم» •
 ومشى معنا ونحن نتحقق انه اذا حطّ يده عليه عوفي • فلما رآه قال
 «اعطوني شمعاً» (٣١)، • فاحضرنه له قليل شمع، فليّسه وعمله مثل عقّد
 الاصبع • وعمل كل واحدة في جانب انفه • فمات الفارس • [٤٢ ق]

(٢٧) عامية بمعنى تطلّغ

(٢٨) «دبور» في الامل • Guillaume de Bures (William of Bures)

(٢٩) أنر

(٣٠) «ملان» في الامل

(٣١) «سمع» في الامل

فقلنا له «قد مات» قال «نعم» كان يعتذب مدد^٢ انفه حتى يموت
ويستريح»

دع ذا وعد^٣ القول في هرير^٤ (٣٢)

سابق افرنجي

نرجع من حديث مجاريهم (٣٣)

حضرت بطريقه في عيد من اعيادهم، وقد خرج الفرسان يلعبون بالرماح.
وقد خرج معهم عجوزان فانيان (٣٤) اوقفوهما في رأس الميدان،
وتركوا في رأسه الآخر خنزيراً سطوه وطرحوه على محزة* وما بقوا
بين العجوزين ومسح كل واحدة منهن سريه من الخيالة يشدون (٣٥)
منها، والعجائز يقمن ويقعن على كل خطوة، وهم يضحكون، حتى سبقت
واحدة منهن* فاخذت ذلك الخنزير في سبها

محاكمات افرنجية

وشهدت يوماً بنابلس وقد احضروا اثنين للمبارزة* وكان سبب ذلك
ان حرامية من المسلمين كبسوا ضيعة من ضياع نابلس فاتهموا بها رجالاً
من القلاحين وقالوا «هو دل الحرامية على الضيعة» فهرب* فنفذ
الملك (٣٦) فقبض اولاده* فعاد اليه وقال «انصفني» انا ابارز الذي
قال عني اني دلت (٣٧) الحرامية على القرية* فقال الملك لصاحب
القرية المقتطع (٣٨) «احضر من يارزه» فمضى الى قريته وفيها رجل
حداد فاخذه وقال له «تبارز» اشفاقاً من المقتطع على فلاحيه لا يقتل

(٣٢) من بيت للشاعر الجاهلي زهير بن ابي سلمى الميزني

(٣٣) «مجارهم» في الامل

(٣٤) «عاساب» في الامل

(٣٥) «سبور» في الامل

(٣٦) فلك Fulk ملك اورغليم ١١٣١ - ٤٢

(٣٧) «دليت» في الامل. عاسه

(٣٨) صاحب الاقطاع. قابل من ١١٠ س ١٨

منهم واحد فتخرب فلاحته . فنهاهت هذا الحداد، وهو شاب قوي الا انه قد انقطع، يمشي ويجلس يطلب ما يشربه، وذلك الآخر الذي طلب البراز شيخ الا انه قوي النفس يزجر وهو غير محتفل بالمبارزة . فجاء البسكند (٣٩)، وهو شحنة البلد، فاعطى كل واحد منهما العصا والترس، وجعل الناس حولهم حلقة

والتي (٤٠) فكان الشيخ يلز ذلك الحداد، وهو يتأخر حتى يلجئه الى الحلقة، ثم يعود الى الوسط . وقد تضاربا حتى بقيا كعمود الدم . فطال الامر بينهما والبسكند يستعجلهما وهو يقول بالعجلة . وتفسح الحداد اذمانه بضرب المطرقة . واعبى ذلك الشيخ . فضربه الحداد فوقه، ووقعت عصاه تحت ظهره . فبرك عليه الحداد يداخل اصابعه في عينه ولا يتمكن من كثره الدم من عينه . ثم قام عنه وضرب رأسه بالعصا حتى قتله . فطرحوا في رقبته في الوقت جبلاً وجروه شقوقه . وجاء صاحب الحداد اعطاه ثغارته واركب خلفه واخذ وانصرف وهذا من جملة فقههم [٤٣] و] وحكمهم لعنهم الله

ومضيت مرة مع الامير معين الدين، رحمه الله، الى القدس . فنزلنا نابلس . فخرج الى عنده رجل اعمى، وهو شاب عليه ملبوس جيد مسلم، وحمل له فاكهة وسأله في ان يأذن له في الوصول الى خدمته الى دمشق . ففعل . وسألت عنه فخبرت ان امه كانت مزوجة لرجل افرنجي، فقتلته . وكان ابنها يحتال على حجاجهم ويتعاون هو وامه على قتلهم، فاتهموه بذلك وعملوا له حكم الافرنج: جلسوا بتيّة عظيمة ومألوها (٤١) ماء وعرضوا عليها دف خشب، وكثفوا ذلك المئتم وربطوا في كتافه جبلاً ورموه في البتيّة - فان كان بريئاً غاص في الماء فرفضوه بذلك الجبل لا يموت في الماء، وان كان له الذنب ما يوضع في الماء . فحرم

viscount (٣٩)

(٤٠) «والعواء في الاصل

(٤١) «وملوما في الاصل

ذلك لئلا رموه في الماء ان يغوص، فما قدر • فوجب عليه حكمهم، لعنهم الله، فكحلوه

ثم ان الرجل وصل الى دمشق فاجرى له الامير معين الدين، رحمه الله، ما يحتاجه • وقال لبعض غلمانه «تمضي به الى برهان الدين البلخي، رحمه الله، تقول له «تأمر من يُقرأ هذا القرآن شيئاً من الفقه» • فقال له ذلك الاعشى «النصر والغلب! ما كان هذا ظنّي!» قال «وما ظننت بي؟» قال «تعطيني الحصان والبغلة والسلاح وتجعلني فارساً» • قال «ما اعتقدت ان اعشى يصير من الفرسان»

افرنجى لا يأكل الخنزير

ومن الافرنج قوم قد تبلّثوا وعاشروا المسلمين فهم اصلح من القريبى العهد ببلادهم، ولكنهم شاذ لا يقاس عليه

فمن ذلك انني تفذت صاحباً الى انطاكية في شغل • وكان بها الرئيس تادرس بن الصغتي (٤٢) ويني وبينه صداقة، وهو نافذ الحكم في انطاكية • فقال لصاحبي يوماً «قد دعاني صديق لي من الافرنج • تجي» • معي حتى ترى زبيهم» • قال «فمضيت معه فوجدنا الى دار فارس من الفرسان العتق الذين خرجوا في اول خروج الافرنج، وقد اعتفى من الديوان والخدمة، وله بانطاكية ملك يعيش منه • فاحضر مائدة حسنة وطعاماً في غاية النظافة والجودة • ورآني متوقفاً عن الاكل، فقال «كل طيب النفس» • فانا ما اكل من طعام الافرنج • ولي طبّاخات مصريات ما اكل الا من طيبخهن • ولا يدخل داري لحم خنزير، • فاكلت وانا محترز وانصرفنا

فانا بعد مجتازاً في السوق وامرأة افرنجية تهلكت بي وهي تبرير بلسانهم وما ادري ما تقول • فاجتمع علي خلق من الافرنج، فايقنت بالهلاك • واذا ذلك الفارس قد اقبل قرآني • فجاء فقال لتلك المرأة

«ما لك ولهذا المسلم؟» قالت «هذا قتل [٤٣ ق] اخي عرس (٤٣)، وكان هذا عرس فارساً بافامية قتله بعض جند حماة». فصاح عليها وقال «هذا رجل برجاسي (٤٤) (اي تاجر) لا يقاتل ولا يحضر القتال». وصاح على اولئك المجتمعين، ففترقوا واخذ بيدي ومضى. فكان تأثير تلك الموءكلة خلاصتي من القتل»

Hurso (٤٣)

bourgeoisie (٤٤)

٩ - اختبارات وملاحظات

عم أسامة يخاف من الفأرة

ومن عجائب القلوب ان الانسان يخوض الضمرات ويركب الاخطار ولا يرتاع قلبه من ذلك، ويخاف ما لا يخاف منه الميآن ولا السوان ولقد رأيت عمي عز الدين ايا (١) العساكر سلطان، رحمه الله، وهو من اضجع امله له المواقف المشهورة والعلعات المذكورة، وهو اذا رأى الفأرة تغيرت صوره وجهه ولحقه كالزمع من نظرها وقام من الموضع الذي يراها فيه

وكان في غلماناه رجل شجاع معروف بالشجاعة والاقدام اسمه صندوق يفزع من الحية حتى يخرج من عقله. فقال له والدي، رحمه الله، وهو واقف بين يدي عمي «ياصندوق، انت رجل جيد معروف بالشجاعة ما تسحي تفزع من الحية؟» قال «يامولاي، واي شيء في هذا من العجب؟ في حمص رجل شجاع بطل من الابطال يفزع من الفأرة ويموت» - يعني مولاه - فقال له عمي، رحمه الله «قبحك الله يا كذا كذا»

وغيره يخاف من الحية

ورأيت مملوكاً لوالدي، رحمه الله، يقال له لولهو. وكان رجلاً جيداً مقداماً. وقد خرجت ليلة من شيزر ومعني بضال كثيرة وبهائم اريد احمل عليها من الجبل خشباً قد قطعته هناك لناعورة لي. فسرنا من ظاهر شيزر ونحن نظن ان الصبح قد دنا، فوصلنا الى قرية يقال لها ديبس (٢)، وما تصف الليل. فقلت «انزلوا ما ندخل الجبل في الليل»

(١) «امي» في الاصل

(٢) «دسا» في الاصل

فلما نزلنا واسعررتنا (٣) سمعنا صهيل حصان • فقلنا «الأفرنج!»
فركبتا في الظلام وأنا احداثُ نفسي أنني اطعن واحداً منهم وأخذ
حصانه ويأخذون دوابنا والرجال الذين مع الدواب • فقلت للولوء
وثلاثة من الغلمان «تقدمونا، اكتفوا هذا الصهيل» • فتقدموا
يركضون (٤) • فلقوا اولئك وهم في جمع وسواد كبير • فسبق اليهم للولوء
وقال «تكلّموا، والا اقتلكم كلّكم» وهو رام جيد • فعرفوا صوته وقالوا
«حاجب للولوء؟» قال «نعم» • واذا هم عسكر حماة مع الأمير سيف الدين
سوار (٥)، رحمه الله، قد اغاروا (٦) على بلاد الأفرنج وعادوا • فكان
هذا اقدامه على ذلك الجمع • واذا رأي في بيته حيّة خرج منهزماً وقال
لامراته «دونك والحيّة» فتقوم اليها تقتلها

أسامة يُجرح بأعمال الركابي

والمحارب، ولوانه الأسد، اتلفه واعجزه السير من العوائق كما اصابني
على حمص • [٤٤ و] خرجت (٧) وقُتل حصاني وضربتُ خمسين
سيفاً - كل ذلك لنفاذ المشيئة، ثم لتواني الركابي في تركيب عنان
اللعجام • فانه عقدته في الباشات ولم يشقه (٨) • فلما جذبته اريد الخروج
من بينهم انحط العنان من عقدته في الباشات (٩)، فثالني ما ثالني

ويحارب بلا ركاب

وقد كان صاح الصائح يوماً بشيزر من القبله • فلبنا وفرغنا • فكان

(٣) «واسعررتنا» في الاصل

(٤) «يركضوا» في الاصل

(٥) أو «سوار» عامل زنكي في حلب • «اسوار» بوجه ابي الاثير في *Recueil*

٤١٦:١ - ١٧ وكمال الدين في *Recueil* ٣٧٢:٣

(٦) «غاروا» في الاصل

(٧) «حرجت» في الاصل

(٨) «سقه» في الاصل

(٩) الباقية هي الحلقة

الصائح كذاً أباً . فرحل ابي وعسي، رحمهما الله، ووقفت بعدهما . فوقع الصائح من الشمال من جانب الأفرنج . فركضت حصاني الى الصائح . فرأيت الناس في المخاض يركب بعضهم بعضاً وقالوا «الفرنج!» فعبرت المخاض وقلت للناس «لا بأس عليكم، انا دونكم!» ثم طلعت اركض الى رابية القرافطة، واذا الخيل مقبلة في جمع كثير . وقد تقدم منهم فارس لابس (١٠) زردية وخوذة، وقد دنا مني . فقصدته استفرس بعده من اصحابه، واستقبلني . فحين حرّكت حصاني اليه انقطع ركابي وما بقي لي مندوحة عن لقاءه فقت (١١) اليه بلا ركاب . فلما تدانينا ولم يبق غير الطعن سلّم عليّ وخدمني واذا هو السّار (١٢) عُمر خال السّار زين الدين اسمعيل بن عُمر بن بختيار . وكان نهض مع عسكر حماة الى بلد كفرطاب . فخرج عليهم الأفرنج فعادوا الى شيزر منهزمين . وقدّمهم الأمير موار، رحمه الله

فبيل الرجل المحارب يتفقد عدّة حصانه، فان ايسر الاشياء واقلّها يؤذي ويهلك . كل ذلك مقرون بما يجري به الأقدار والأقضية

ضبعة توعّي أسامة

وقد شهدت قتال الأسد في مواقف لا احصيه، وقتلت عدّة منها لم يشركني احد في قتلها، فما نالني من شيء منها اذى وخرجت يوماً مع والدي، رحمه الله، الى الصيد في جبل قريب من البلد نصيده من الجبل بالزاة . ويكون الوالد ونحن معه والبازيارية على الجبل وبعض الغلمان والبازيارية اسفل من الجبل للتخليص من الزاة والوقوف على النبع . فقامت لنا ضبعة فدخلت مغارة، وفي تلك المغارة مجحر دخلت فيه . فصحت بخلام لي ركابي اسمه يوسف خلع

(١٠) «فارساً لاساً» في الأصل

(١١) «قتلت» في الأصل

(١٢) «سار» بالفارسية وسماها القائد

نيابه واخذ سكينه ودخل في ذلك المجحر، وانا في يدي قطارية مستقبل
الموضع اذا خرجت طعنتها. فصاح الغلام «اليكم قد خرجت!» فطعنتها
اخطأتها لان الضبة رقيقة [٤٤ ق] الحجم. وصاح الغلام «عندي ضبة
اخرى!» فخرجت في اثرها. فتمت وقفت في باب المغارة وهي ضبة
الباب متعلبة قدر فامتن انظر ما يعمل اصحابنا الذين في الوطأ بالضباع
التي نزلت اليهم. فخرجت ضبة ثالثة، وانا مشغول بالنظر الى الاول،
فندستني رمتني من باب المغارة الى القرارة التي تحته فكادت تكسرنني.
فتأذيت بضبة ومسا تأذيت بالسباع. فسبحان مقدّر الأقدار ومسبب
الاسباب

أسامة الصبي يقتل خادمه

وشاهدت من ضعف نفوس بعض الرجال يخورهم ما لا كنت اغلته بالنساء
فمن ذلك انني كنت يوماً على باب دار والدي، رحمه الله، وانا صبي
عمري دون العشر سنين. فلطم غلام لوالدي اسمه محمد العجمي صبياً
من خدام الدار فانهزم منه وجاء تعلق بشوي، فلحقه وهو مامك بشوي
فلطمه. فضربه بضرب كان في يدي فلففني. فجذبت من وسطى سكيناً
ضربه بها فوقعت في بزه الأيسر، فوقع. وجاءنا غلام كبير لوالدي يقال
له القائد اسد فوقف عليه ونظر الجرح واذا تنفس طلع منه الدم مثل
فواقع الماء. فاصفر وارعد ووقع مضياً عليه. فحُمل الى داره وكان
يسكن معنا في الحصن على تلك الحال. فما افاق من غيبته الى آخر النهار.
وقد مات المجروح وقبر

رجل يشي عليه من الفصاد

ومما يقارب ذلك: كان يزورنا الى شيزر رجل من اهل حلب فيه فضل
وادب يلعب بالشرنج طبقة ويلعب بها غائباً يقال له ابو المرجى (١٣)
سالم بن قانت، رحمه الله. فكان يقيم عندنا السنة والاكثر والاقل. فريماً

مرض فيصف له الطبيب الفصاد . فإذا حضر الفامد تغير لونه وارعد .
فإذا فصد غشي عليه فلا يزال في غشيته حتى يند فصاده ثم يفيق

وآخر ينشر ساقه

ومما بفاذ ذلك انه كان في اصحابنا من بني كنانة رجل اسود يقال
له علي بن فرج (١٤) طلعت في رجله حبة فتحببت، وتناثرت امامه
واتنت رجله . فقال له الجرائحي «ما لرجلك الا القطع، والا تلفت» .
فحصل عنده منشاراً وجعل ينشر ساقه حتى يغلبه قيض الدم ويغشى
عليه، فإذا هو افاق عاد الى نشرها حتى قطعها من نصف ساقه . ودواها
فبرأت

وكان، رحمه الله، من اجلد الرجال واقواهم . فكان يركب فسي
سرجه (١٥) يركاب واحد، وفي الجانب الآخر سير تكون فيه ركبة،
ويحضر القتال ويطاعن الفرنج وهو على تلك الحال . وكنت اراه،
رحمه الله، [٤٥] ولا يستطيع رجل يشابهه ولا يقابضه . وكان خفيف
الروح مع قوته وشجاعته

فاصبح يوماً من الايام، وهو بنو كنانة يسكنون حصننا حصن الجسر (١٦)،
ارسل الى رجال من وجوه بني كنانة فقال «اليوم يوم مطير . وعندى
فضلة نيذ وماكول تفضّلون (١٧) علي بالحضور لشرب» . فاجتمعوا
عنده . فجلس في باب البيت وقال «هل فيكم من يقدر يخرج من الباب
ان لم اشأ؟» يشير الى قوته . قالوا «لا، والله» . قال «هذا يوم مطير،
وما اصح في داري دقيق ولا خبز ولا نيذ . وما فيكم الا من في داره ما
يحتاجه ليومه . انفذوا الى دوركم احضروا طعامكم ونيذكم، والبيت من
عندي، ونجتمع اليوم نشرب وتحدث» . قالوا كلهم «نعم» ما رايت

(١٤) «فرج» في الامل

(١٥) «سرجه» في الامل

(١٦) في شبر على العامي

(١٧) «مصلوا» في الامل

يا ابا الحسن!« وانمذوا احضروا ما في دورهم من طعام وشراب وقضوا نهارهم عنده . وكان رجلاً محترماً . فعالي من خلق الخلق اطواراً . ابن خلدُ هذا وقوة نفسه من خور اولئك وضعف نفوسهم؟

مستحق يسقى بطنه فيسقى

وقريب من هذا ان رجلاً من بني كنانة حدثني بحسن العجر ان رجلاً في الحصن استسقى فشقّ بطنه فبرى (١٨) وعاد صحيحاً كما كان . فقلت اريد ابصره واستخبره . وكان الذي حدثني رجل من بني كنانة يقال له احمد بن معبد بن احمد . فاحضر ذلك الرجل عندي . فاستخبرته عن حاله وكيف فعل بنفسه فقال «انا رجل مملوك وحيد استسقى جوفي، وكبرت حتى عمزت عن التصرف . وتبرمتُ بالحياة . فاخذت موسى وضربت به فوق سرّتي في عرض جوفي، شققته (١٩)، فخرج منه قدر طباحتين ماء (يعني قدرين). وما زال الماء ينزُّ منه حتى ضمر جوفي . فخيّطته وداويت الجرح فبرأ . فقال ما كان بي . واراني موضع الشقّ في جوفه اطول من شبر ولا شبهة ان هذا الرجل كان له في الارض رزق يستوفيه والا فقد رأيت من استسقى وفصد الطيب جوفه فخرج منه من الماء كما خرج من الذي يزل نفسه الا انه مات من ذلك الفصد . لكن الاجل حصن حصين

فرسان الافرنج يهاجمون شير ويفشلون

النصر في الحرب من الله تبارك وتعالى لا بترتيب وتدبير ولا بكثرة نفير ولا نصير . وقد كنتُ اذا بعثت عيّتي، رحمه الله، لقتال اترك او افرنج اقول له «يامولاي، امرني بما تدبّر به اذا [٤٥ ق] لقيت العدو» . فيقول «يا بني، الحرب تدبّر نفسها» . وصدق

(١٨) «فبرأ» ادناه س١٣ . «وبرأ» س١٥٦ س١٦

(١٩) «خيطته» في الاصل . عالية

وكان امرني (٢٠) ان آخذ امرأته واولاده خاتون بنت تاج الدولة
تُنش (٢١) والعسكر وامضي اوصلهم الى حصن مصياف (٢٢)، وهو اذ
ذلك له، وكان يُشْفِق عليهم من حرّ شيزر. فركبت وركب ابني وعمي،
رحمهما الله، معنا الى بعض الطريق، وعادا وليس معهما الا الماليك
الصغار لجرّ الجنائب وحمل السلاح. والعسكر كلّه معي. فلما قربا
من المدينة سمعا طبل الجسر يضرب. فقالا «شيء قد جرى في الجسر».
فدخبا خيلهما تناقلا ونجبا الى الجسر (٢٣). وكان بيننا وبين الافرنج،
لعنهم الله، هدة. فنقذوا من كشف لهم مخافة يعبرون منها الى مدينة
الجسر، وهي في جزيرة (٢٤) لا يُعبر اليها الا من جسر معقود (٢٥)
بالحجر والكلس لا يصل الافرنج اليه. فدلّهم ذلك الجاسوس على
مخافة. فركبوا جميعهم من افامية فاصبحوا الى ذلك الموضع الذي دلّهم
عليه، عبروا الماء وملكوا المدينة ونهبوا وسبوا وقتلوا. ونقذوا بعض
السبي والنهب الى افامية وملكوا الدور. وعلم كل واحد منهم صليبه
على دار وركز عليها رايته

فلما اشرف ابني وعمي، رحمهما الله، على الحصن كبر اهل الحصن
وصاحوا. فالتقى الله سبحانه على الافرنج الرعب والتخلان. فذهلوا
عن الموضع الذي عبروا منه، ورموا خيلهم، وهم يدروهم عليها، في غير
مخاض. ففرق منهم جماعة كثيرة: كان الفارس يغمس في الماء فيسقط
عن سرجه ويرسب في الماء ويطلع الحصان. ومضى من سلم منهم منهزمين

(٢٠) سنة ١١٢٢ او ١١٢٣

(٢١) امير حلب السلجوقي واخو ملك شاه صاحب امبيهان

(٢٢) وكذلك في ابني شامة ١: ٧٦١. وفي ياقوت ٤: ٥٥٦ «مصيا» «مصيا».

ولل الامم مصياد

(٢٣) «رمضا خيلهما سافلا وحما الى الحس» في الامم

(٢٤) المقصود شبه جزيرة

(٢٥) «حسّر معقود» في الامم

لا يلوي بعضهم على بعض، وهم في جمع كثير، وابي وعمي معهما عشرة ممالك ميان

فأقام عمي بالجسر ورجع ابي الى شيزر. واصلت انا اولاد عمي الى مصايف وعتدت من يومي وصلت العشاء. فاخبرت بما جرى. فحضرت عند والدي، رحمه الله، وشاورته في ان امضي الى عمي الى حصن الجسر. قال «تصل في الليل، وهم نيام». ولكن سر اليهم من بكرة. فاصبحت سرت وحضرت عنده. وركبنا وقفنا على ذلك الموضع الذي غرق فيه الافرنج. ونزل اليه جماعة من السباح فاخرجوا جماعة من فرسانهم موتى. فقلت لعمي «يامولاي، ما تقطع رءوسهم وتنفذها الى شيزر؟» قال «افضل». فقطعتنا منهم نحواً (٢٦) من العشرين رأساً. فكان الدم يسيل منهم كأنهم قد قتلوا تلك الساعة، ولهم يوم وليلة. واطن الماء حفظ فيهم دهم وغنم الناس منهم سلاحاً كثيراً من الزرديات والسيوف والفتناريات والخنوذ والكلسات الزرد. ورأيت رجلاً من فلاحي الجسر (٤٦) و قد حضر عند عمي ويده تحت ثيابه. فقال له عمي يمزح معه «اي شيء اعزلت لي من الغنمة؟» قال «اعزلت لك حصاناً بعدته وزرديته وترماً وسيفاً». ومضى احضر الجميع. فاخذ عمي العدة واعطاه الحصان وقال «اي شيء بيدك؟» قال «يامولاي، تقايضت انا والافرنجى وما هي عدة ولا سيف فرمته ولكمت وجهه وعلبه اللثام الزرد حتى اسكرته، واخذت سيفه قتلته به. وتهرأ الجلد الذي على عقد اصابعي. وورمت يدي فما تنفعني». واظهر لنا يده وهي كما قال قد انكشفت عظام اصابعه

اسيرة مسلمة تفرق نفسها

وكان في جند الجسر رجل كردي يقال له ابو الجيش (٢٧) له بنت اسمها رفول (٢٨) قد سبها الافرنجى، وهو قد توسوس عليها يقول لكل من

(٢٦) «سوء في الامل

(٢٧) «الحبس» في الامل. ولعلها «الحبس»

(٢٨) «رفول» في الامل

لفيه يوما سبت رقول! فخرجا من القدر نسر على النهر، فرائنا في حاب الماء سواداً قلنا لبعض العلماء «اسبح اصبر ما هذا السواد» فمضى اليه فاذا ذلك السواد رقول عليها نوب ادرق وقد رمت نفسها من على ترس الافريجي الذي اخذها ففرقت، وعلق ثوبها في شجرة صفاف. فسكنت لوعة ايها اسي الجيس (٢٩) فكانت الصبغة التي وقعت في الافرنج وهزمتهم وهلاكهم من لطف الله عز وجل لا بقوة ولا بعسكر. فبارك الله القادر على ما يشاء

الخدعة في الحرب

وقد يكون الترهيب في بعض الاوقات نافعا في الحرب من ذلك ان اتابك (٣٠) وصل الشام وانا معه في سنة تسع وعشرين وخمس مائة (٣١) وسار قاصداً دمشق. فلما نزلنا القطيعة (٣٢) قال لي صلاح الدين (٣٣)، رحمه الله «اركب وتقدمنا الى القسفة» (٣٤). اقم على الطريق لا يهرب احد من العسكر الى دمشق. فتقدمت وفتت ساعة واذا صلاح الدين قد اتى في قلعة من اصحابه. فرائنا في عذراء (٣٥) دخانا. فارسل خيلاً تنصر ما هو الدخان. فاذا هم قوم من عسكر دمشق يحرقون التبن الذي في عذراء، فانهزموا. فتبعهم صلاح الدين ونحن معه لعل في ثلثين اربعين فارساً فوصلنا القصر (٣٦) واذا عسكر دمشق جميعه في القصر قاطع الجسر، ونحن عند الدخان. فوقفنا مستترين بالدخان

(٢٩) «الحش» في الاصل

(٣٠) رنكي

(٣١) ١١٣٥

(٣٢) وتعرف اليوم باسم «القطيعة». ذكرها المقدسي «احسن التقاسيم»

(بلد ١٨٧٧) ص ١٩٠

(٣٣) محمد بن ايوب الفسياني

(٣٤) خان بين عذراء والقطيعة. Dussaud ص ٢٨٠

(٣٥) قرية لم تزل قائمة لليوم

(٣٦) بين عذراء ودمشق

ويخرج منا خمسة سنة (٣٧) فوارس حتى يصهرهم عسكر دمشق ويهودون الى خلف الخان نوههم ان لنا كميناً

[٤٦ ق] ونفذ صلاح الدين فارماً الى اتابك يهرقه بما نحن فيه .
 رأينا نحواً من عشرة فوارس مقبلين الينا مسرعين، والعسكر خلفهم متابع .
 فوصلونا واذا هو اتابك قد تقدم والعسكر في اثره . فانكر على صلاح
 الدين فعله وقال « تسرعت » الى باب دمشق بثلاثين فارساً لتكسر
 ياموسى (٣٨) . ولامه، وهم بتكلمون بالتركي ولا ادري ما يقولون .
 فلما وصلنا اوائل العسكر قلت لصلاح الدين « عن امرك اخذ هؤلا .
 الذين قد وصلوا او اعبر الى خيل دمشق الواقعة مقابلنا اقلعهم » . قال
 « لا، كذا وكذا ممن ينصح (٣٩) في خدمة هذا! ما تسمع اي شيء قد
 عمل بي؟ »

ولولا لطف الله تعالى ثم ذلك الترهيب والتخيل كانوا قلعونا
 وجرى لي مثل ذلك وقد سرت مع عمسي، رحمه الله، من شيزر يريد
 كفرطاب ومعنا خلق من الفلاحين والمصاليك لنهب ما على كفرطاب من
 غلّة وقطن . فانتشر الناس في النهب وخيل كفرطاب قد ركبت ووقفت
 عند البلد، ونحن بينهم وبين الناس المتشرين في الزرع والقطن . واذا
 فارس من اصحابنا يركض من الطلائع قال « جاءت خيل افامية! » فقال
 عمسي « تقف انيت مقابل خيل كفرطاب، واسير انا بالعسكر القى خيل
 افامية » . فوقفت في عشرة فوارس في شجر الزيتون متوارين (٤٠)، ويخرج
 منا ثلاثة اربعة يخيّلون للمفرنج ويهودون (٤١) الى شجر الزيتون، والافرنج
 يعتقدون اننا في جماعة فهم يجتمعون ويصيحون ويدفعون خيلهم الى ان

(٣٧) « خمس سبعة في الاصل

(٣٨) كذا في الاصل

(٣٩) « صبح » في الاصل

(٤٠) « متوارس » في الاصل

(٤١) « سحلوا للمفرنج وسودوا » في الاصل

يفربوا منّا ونحن لا تترزع (٤٢) فيرجعوا. فما زلنا كذلك حتى عاد عسي وانهمزم الأفرنج الذين جاؤوا من افامية فقال له بعض غلمانه «يا مولاي، ترى ما فعل (يعني)؟ تخلف عنك وما صار معك للقاء خيل افامية». فقال له عسي «لولا وقوفه فسي عشرة فوارس مقابل خيل كفرطاب وراجلها كانوا اخذوا هذا العالم كله». فكان الترهيب والتخيل للأفرنج في ذلك الوقت انفع من قتالهم لاننا كنا في قلّة وهم في جمع كثير

أسامة يسترجع خاماً مسروقاً

وجرى لي مثل ذلك بدمشق (٤٣). كنت يوماً مع الأمير معين الدين، رحمه الله، فاتاه فارس فقال قد اخذ الدرامية فافلة في العربة حاملة خام فقال لي «ركب اليهم». قلت «الامر لك». أمر الشاوشية تستركب العسكر ملك. قال «اي شي حاجتنا الى العسكر؟» قلت «وما يضرنا من ركوبهم؟» قال «ما نحتاجهم». وكان، رحمه الله، من اشجع الفرسان، ولكن قوة النفس في بعض المواضع تفريط ومضرة

فركبنا في نحو من عشرين فارساً (٤٧) و فلما ان ضحونا نفّذ فارسين كذا وفارسين كذا وفارسين كذا وفارساً (٤٤) كذا يكتشفون الطرقات. و سرنا نحن فسي قلّة فحانت صلاة العصر. فقال للعلام لي «يا سونج، اشرفنا مغرباً» (٤٥) الي ما نصلي. فما سلّمنا الا والغلام يركض. قال «هذه الرجالة، وعلى روموسهم شقاق الخام، فسي الوادي!» فقال معين الدين، رحمه الله «اركبوا». قلت «امهل علينا نلبس كراغنداتنا. فاذا رأيناهم رمتناهم بروموس الخيل وطعنناهم فما يدرون كثير نحن او قليل». قال «اذا وصلنا اليهم لبنا»

(٤٢) برعزع في الاصل

(٤٣) في اثنا زيارته الاولى سنة ١١٣٨ - ٤٤

(٤٤) «وفارس» في الاصل

(٤٥) «مغرب» في الاصل

وركب وسرنا اليهم . فلحقناهم في وادي حلبون (٤٦) وهو وادٍ ضيقٌ لعلَّ ما بين الجبلين خمسة اذرع، والجبال من جانبيه وعرة رفيعة وطريقه ضيقة انما يمشي فيها فارس خلف فارس . وهم في سبعين رجلاً بالقسي والنشاب

فلمَّا وصلناهم كان (٤٧) غلمانا خلفنا بسلاحنا لا يصلون إلينا واولئك قوم منهم في الوادي ومنهم قوم في سفح الجبل . فظننت ان الذين في الوادي من اصحابنا فلاحى الضياع قد فزعوا خلفهم والذين في سفح الجبل هم الحرامية . فجدبت سفي وحملت على الذين في السفح . فلمَّا طلع الحصان في ذلك الوعر الا باخر روحه . فلمَّا صرت اليهم وحصاني قد وقف ما بقي يندفع استوفسى واحد منهم نشأته في قُوته (٤٨) ليضربني . فصحت عليه وتهدّدته، فمسك يده عني . وعدت انزلت الحصان وما اصدّق ق اخلص منهم

وطلع الامير معين الدين الى اعلى الجبل يظن ان هناك من الفلاحين من يستغفرهم . وصاح السي من اعلى الجبل «لا تفارقهم حتى اعود» وتوارى عنا . فرجعت الى الذين في الوادي وقد علمت انهم من الحرامية فحملت عليهم وحدي لضيق المكان فانهزموا، ورموا ما كان معهم من الخام . وخلصت منهم بهيمنتين كاتتا معهم عليهما خام ايضاً . وطلعوا الى مغارة في سفح الجبل ونحن نراهم وما لنا اليهم سبل وعاد الامير معين الدين، رحمه الله، آخر النهار وما وجد من يستغفره . ولو كان معنا العسكر كنّا ضربنا رقابهم واستخلصنا كلَّ ما معهم

أسامة يخسر رفاقه بقلة الخبرة

وقد جرى لي مرة اخرى مثل هذا . والسبب فيه نفاذ المشقة ثم قلة المخبرة بالحرب . وذلك اتنا سرنا مع الامير قطب الدين خسرو بن

(٤٦) من قرى دمشق اشتهر في قديم الزمان بغيره . حـ ١٨:٢٧

(٤٧) «كانوا» في الاصل . عامية على لغة «الكلوني البرافيت»

(٤٨) «موله» في الاصل . الفوق موضع الوتر من الهم . ولعل المطلوب «قومه»

نليل (٤٩) من حماة نريد دمشق الى خدمة الملك العادل نور الدين، رحمه الله. فوصلنا الى حمص. فلما عزم على الرحيل على طريق بعلبك قلته «انا اقدم ابصر كنيسة بعلبك» (٥٠) [٤٧ ق] الى حين صل. قال «افعل».

فركبنا ومضنا. فانا في الكنيسة جاءني فارس من عنده يقول «قد خرجت رجالة حرامية على قافلة اخذوها. فاركب والقني (٥١) الى الجبل». فركبنا ولقيته. فصعدنا في الجبل فرائنا الحرامية في واد تحته والجبل الذي نحن عليه محيط بذلك الوادي. فقال له بعض اصحابه «تزل اليهم». قلت «لا تفعل». ندور على الجبل ونسير فوق رؤوسهم نحول (٥٢). بينهم وبين طريقهم الى المغرب، وناخذهم. وكانوا من بلاد الأفرنج. فقال آخر «الى ما ندور على الجبل [تكون] قد وصلنا اليهم واخذناهم». فترلنا. فلما رأنا (٥٣) الحرامية معدوا في الجبل. فقال لي «اصعد اليهم». فحمرمت على الطلوع، فما قدرت. وكان على الجبل منّا خيالة ستة سبعة. فترجلوا اليهم، وجاؤا يقودون خيلهم معهم، واولئك في جماعة. فحملوا على اصحابنا فقتلوا منهم فارسين واخذوا حصانين وحصانا آخر. وسلم صاحبنا. وتزلوا من جانب الجبل الآخر بالغتية. وعدنا نحن وقد قتل منّا فارسان واخذ منّا ثلثة حصن والقافلة. فهذا تقرير لقلة المخبرة بالحرب

حصار حصن الصور

فلما التفرير في الأقدام فما هول لزمه في الحياة. وانما سبه ان الرجل

(٤٩) امير كردي نسيب لابي الهيجا الهذلي صاحب إدبل - ذكره ابن خلكان

١٤٤:٤ وابن الأثير في *Recueil* ٢٥٥:٢

(٥٠) «صل» في الأصل. كان المراد «تمثيل» و«تمثيل»؟

(٥١) «والقاي» في الأصل

(٥٢) «محل» في الأصل

(٥٣) «راونا» في الأصل

إذا عُرِفَ بالأقدام ووُسِمَ باسم النجاعة وحضر القتال طالبته هُتِ
بفعل ما يُدَكَّرُ به وَيُعْجَزُ عنه سواء، وخافت نفسه الموت وركوب الخطر
فتكاد قلبه وتصدُّه عما يريد يفعله حتى يضطرَّها ويحملها على مكروهاها،
فيعتبره الزمَعُ وتغيَّرَ اللون لذلك • فإذا دخل في الحرب بطل روعه
وسكن جاشه

ولقد حضرت حصار حصن الصُور (٥٤) مع ملك الأمراء اتابك زنكي،
رحمه الله (وقد تقدَّم شيء من ذكره)، وكان للامير فخر الدين قرا
ارسلان (٥٥) بن داود بن سُقمان بن أُرْتُق رحمه الله • وكان مشغولاً
بالرجال الجرجية (٥٦) • وذلك بعد كسره على أميد (٥٧) • فأقول ما
ضربت الخيام نفذ رجالاً من اصحابه صاح تحت الحصن «يا جماعة
الجرجية، يقول لكم اتابك «ونعمة السلطان» (٥٨) لئن قُتِل من اصحابي
رجل واحد بنشأ بكم لا قطعن ايديكم!»، وتصب على الحصن المجانيق •
فهدمت جانباً منه وما بلغ الهدم منه بحيث نُسطع اليه الرجال • فجاء
رجل من جنديَّة اتابك من اهل حلب يقال له ابن العُرَيْق طلع في تلك
الثغرة وضاربهم [٤٨ و] بسيفه فجرحوه عدَّة جراح ورموه من البرج
الى الخندق • وتكاثر الناس عليهم في تلك الثغرة فملكوا الحصن • وطلع
نواب اتابك اليه فاخذ مفااتيحه نفذها الى حسام الدين تمر تاش بن
إلغاغازي (٥٩) بن أُرْتُق واعطاه الحصن

(٥٤) في ديار بكر - ياقوت ٤٣٥:٣

(٥٥) «فرارسلان» في الاصل

(٥٦) «المرحمة» في الاصل • الجُرُوع من ادوات الحرب تُرمى عنها السهام
والججارة

(٥٧) سنة ٥٢٨ او ١٢٣٣ - ٢١ تشرين الاول سنة ١١٣٤

الذهبي «دول الاسلام» (حيدر آباد ١٣٣٧) ٣٤:٢

(٥٨) مفيت الدين محمود السجوقي سلطان امبها

(٥٩) «المازي» في الاصل

وأتفق ان نشأبة جرح ضربت رجلاً من الخراسانية في ركبته قطعت
 الفلكة التي على مفصل الركبة، فمات
 فأول ما ملك اتابك الحصن استدعى الجرجسية، وهم تسعة نفر،
 فجاؤا وقبضهم موتورة على اكتافهم. فأمر بحزّ إيهاماتهم (٦٠) من
 زنودهم. فاسترخت ايديهم وتلفت
 وأما ابن العرّيق فداوى جراحه وبرأ بعد ان شارب الموت. وكان
 رجلاً شجاعاً يحمل نفسه على الاخطار

حصار البارة

ورأيت مثل ذلك وقد نزل اتابك على حصن البارة (٦١) وحوله صفا
 صخر لا تضرب عليه الخيام. فنزل اتابك في الوطى ووكل به الامراء
 بالنوبة. فركب اليه اتابك يوماً والنوبة للامير ابي بكر الدبسي (٦٢)
 وما معه اهبه القتال. فوقف اتابك وقال لابسي بكر «تقدّم» فأتلتهم.
 فزحف باصحابه وهم اعراء. وخرج اليهم الرجال من الحصن. فتقدّم
 رجل من اصحابه يقال له مزيد (٦٣)، لم يكن قبل ذلك من المشهورين
 بالقتال والشجاعة، فقاتل قتالا عظيماً وضرب فيهم بسيفه وفرّق جمعهم.
 وجرح عدة جراح. فرأيت به قد حملوه الى العسكر وهو في آخر رمقه.
 ثم عوفى. وقدمه ابو بكر الدبسي وخلع عليه وجعله من جملة
 جنداريته

الفساني يقطع من شاء نصفين

كان اتابك يقول لي «ثلاثة علمان: احدهم يخاف الله تعالى وما يخافني

(٦٠) «يهاماتهم» في الاصل

(٦١) أو يارين للشمال الغربي من حصن

(٦٢) قابل «دبسي» اعلاه ص ١٤٧ س ١٩

(٦٣) «مرد» في الاصل

(يعني زين الدين علي كوجك (٦٤)، رحمه الله)، والآخري يخافني وما يخاف الله تعالى (يعني نصير الدين سُقُور (٦٥)، رحمه الله)، والآخري ما يخاف الله ولا يخافني (يعني صلاح الدين محمد بن أيُّوب الغُسياني، رحمه الله)»

وشهدت منه، تجاوز الله عنه، ما يحقق قول اتابك. وذلك أننا زحفنا يوماً الى حمص وقد اصاب الأرض في الليل مطر عظيم حتى ما بقيت الخيل تصرف من ثقل (٦٦) الأرض بالوحل، والرجالة يتأوشون. وصلاح الدين واقف وأنا معه، ونحن نرى الرجالة بين ايدينا. فعدا واحد من الرجالة السى رجالة حمص اختلط بهم، وصلاح الدين يراه. فقال لواحد من اصحابه «هات ذاك الرجل الذي كان الى جانبه». فمضى احضره. فقال له «من هذا الذي كانا نهزم من جانبك ودخل الى حمص؟» قال «والله، يامولاي، ما اعرفه». قال «وسطوه» (٦٧). قلت «يامولاي [٤٨ ق] تصقله وتكشف عن ذلك الرجل». فان كان يعرفه او منه بنسب ضربت رقبته. والا ترى فيه رأيك». فكأنه جئح الى قولي. فقال غلام له من خلفه «يهرب واحد يؤخذ الذي كان الى جانبه تُضرب رقبته او يوسطه». فاحنقه كلامه وقال «وسطوه». فرفسوه كجاري العادة ووسطوه، وما له ذنب الا اللجاج. وقلة مراقبة الله تعالى

وحضر ثمرة اخرى بعد ما وصلنا من مصاف بغداد (٦٨)، واتابك يجتهد يظهر تجلداً وقوة وقد امر صلاح الدين بالمسير الى الامير قنجاقي (٦٩)

(٦٤) وزير قلب الدين مودود بن زنكي في الموصل

(٦٥) وزير زنكي

(٦٦) «عل» في الأصل

(٦٧) اي اقلوه خطرين من الوسط

(٦٨) سنة ٥٢٧ (١١٣٢ - ٣٣) على ما يظهر من الذهبي «تاريخ الاسلام» ٦٠٢

(ملحق دربورغ)

(٦٩) أو قنجاقي أو قنجاقي، امير تركماني. وهو بموجب ابي الفداء «تاريخ»

(الاستانة ١٢٨٦) ١٦:٣ ابن آلب ارسلان شاه. ويوجب ابن الاثير «الكامل»

(طبعة طبريز) ٥٠:١١ ابن ارسلان تاش

يكبه (٧٠). فسرنا من الموعظة أيام ونحن في غاية الضعف . فوصلنا موضعه وجدناه قد تعلق في جبال كوهسان . فزلنا على حصن يقال له ماسر . ونزلنا عليه طلوع الشمس ، وامرأه طلعت من الحصن قالت «معكم خام؟» قلنا «أي وقت هذا للبع والنساء؟» قالت «نريد الخام نكفكم به . فالي خمسة أيام تموتون كلكم» . تريد ان ذلك الموضع وخيم فتزل ورثب الزحف الى الحصن من بكرة و امر النقبائين يدخلون تحت برج من تلك البراج . والحصن كله معمور بالطين ، والرجال الذين فيه من الفلاحين . فرحنا اليه وطلعنا الى تلّه . وتقب الخراسانية برجا فوقه وعليه اثنان . امأ الواحد فمات واما الآخر فاحذه اصحابنا وجاوا به الى (٧١) صلاح الدين . قال «وسطوه» . قلت «يامولاي، هذا شهر رمضان . وهذا رجل مسلم لا تقتل ائمه» . قال «وسطوه حتى يسلّموا الحصن» . قلت «يامولاي، الحصن الساعة تملكه» . قال «وسطوه» . ولجّ فيه فوسطوه . واخذنا الحصن في ساعتنا تلك . فجاء الى الباب يريد النزول من الحصن . فكان معه جماعة وغلبه فوكل به قوما من اصحابه ومضى نزل في خيمته لحظة بقدر ما تفرق العسكر الذي كان معه . ثم ركب وقال لي «اركب» . فركبنا وطلعنا الى الحصن . فجلس واحضر ناطور الحصن يعرفه بما فيه ، واحضر بين يديه نساء وميائنا (٧٢) نصارى ويهود

فحضرت عجوز كردية . فقالت لذلك الناطور «رايت انبي فلانا؟» (٧٣) . قال «قتل . ض به نصابة» . قالت «فابني فلان؟» قال «وسطه الامر» . فصاحت وكشفت رأسها وشعرها كالقطة المتدوفة .

(٧٠) «يكسه» في الاصل

(٧١) مكررة

(٧٢) «وسان» في الاصل

(٧٣) «فلان» في الاصل

فقال لها الناطور «اسكتي لاجل الامير». قالت «واي شي» بني الامير
يعمل بي. كان لي ولدان قتلهم». ففعلوها

ومضى الناطور فاحضر شيخاً كبيراً ملوح الشية يمشي على عصاين (٧٤)
سلم على صلاح الدين. قال «اي شي» هو هذا الشيخ؟ قال «إمام
الحصن». قال «تقدم» يا شيخ، تقدم» تقدم» حتى جلس بين يديه.
فمدّ يده قبض لحيته واخرج مكنية مشدودة في بندقيته وقطع لحيته من
حكمته، فبقيت في يده مثل البرجم (٧٥) [٤٩] و [فقال له ذلك الشيخ
«يا مولاي، باي شي» استوجبت ان تفعل بي هذا الفعل؟» قال «عصيانك
على السلطان (٧٦)». قال «والله، ما علمت» بوصولكم حتى جاء الناطور
الساعة اعلمتني واستدعاني»

وبسي المعاهدين

ثم رحلنا نزلنا على حصن اخر للامير قفجاق يقال له الكرخي (٧٧).
اخذناه فوجدوا فيه خزانة ملاء (٧٨) بثياب خام مخيطة صدقة لفقراء
مكة. وبسي من كان في الحصن من النصارى واليهود المعاهدين. ونهب
ما فيهما نهب الروم. فالفه سبحانه يتجاوز عنه

افق من هذا الفصل عند هذا الحد متيناً بقولي:

دع ذكر من قتل الهوى فعديتهم فيسا يحسب ذكره المولودا
واعود الى ذكر شي، مما جرى لنا والاسماعيلية في حصن شيزر

الاسماعيلية تهاجم شيزر

اجتاز في ذلك اليوم (٧٩) ابن عم لي يقال له ابو عبد الله بن هاشم،

(٧٤) «عصانس» في الامل. لفة في «عصاوين»

(٧٥) البرجم» في الامل. «تريب» بـ «برجم» الفارسية ومثاها خر ذنب عجل البحر

(٧٦) ميث الدين محمود

(٧٧) بجوار اربل. ياقوت ٤: ٢٥٧

(٧٨) «ملاء» في الامل

(٧٩) سنة ١١٣٥

رحمه الله، فرأى رجلاً من الباطنية في برج من دار عمي معه سيفه وترسه
والباب مفتوح وبراً منه خلق كثير من امحابتنا وما يجسر احد يدخل
اليه. فقال ابن عمي لواحد من اولئك الوقوف «ادخل اليه». فدخل
اليه. فما امله الباطني ان ضربه فجرحه. فخرج وهو مجروح. فقال
لاخر «ادخل اليه». فدخل اليه. فضربه الباطني فجرحه وخرج كما
خرج صاحبه. فقال ابن عمي «يارئيس جواد (٨٠)، ادخل اليه». فقال
له الباطني «ياموخر (٨١)، انت ليش (٨٢) ما تدخل؟ تدخيل السي
الناس وانت واقف. ادخل حتى تبصر». فدخل اليه الرئيس (٨٣)
جواد، فقتله. وهذا الجواد حكم في الثقاف، رجل شجاع قف

وما مر عليه الا اعوام قليلة حتى رأته بدمشق سنة اربعمائة وثلاثين
وخمس مائة (٨٤) وهو علاف يبيع الشعير والتبن، وقد كبر حتى صار
كالشن البالي يحجز عن دفع الفأر عن علفه، فما بال الرجال. فكنت
اتحجب من أول امره، عندما صار اليه اخر امره، وما احال من حاله طول
عمره

تأملات أسامة بشأن طول العمر (٨٥)

ولم ادرك ان داء الكبر عام، يهدي كل من اغفله الحمام. فلما
توقلت ذروة التسعين، وابلاني مرة الايام والسنين، صرت كجواد العلاف،
لا الجواد المتلاف. ولصقت من الضعف بالأرض، ودخل من الكبر

(٨٠) «يارس حواد» في الاصل

(٨١) «ياموخر» في الاصل وعلى الهامش «ياموارجع»

(٨٢) عامية

(٨٣) «الرسى» في الاصل

(٨٤) ٢٨ آب ١١٣٩ - ١٦ آب ١١٤٠

(٨٥) وما يجدر ملاحظته ان أسامة هنا يغير اسلوبه القصصي البسيط ويعد الى
الفصح المسجج

بعضي في بعض • حتى انكرت نفسي، وتحسرت على امسي • وقلت في وعف حالي:

لما بلغت من الحياة الى مدي قد كنت اموه تمنيت الرداء
 لم يبق طول العمر مني منه القى بها صرف الزمان اذا اعتدا
 [٤٩ ق] ضمنت قواي وخايتي الشفتان من بعري وسعي حين دارت الدما
 فاذا نهضت حسبت اني حاسل جبالا وامشي ان مشيت مقيدا
 وادب في كفي الصبا وعهدتها في الحرب تحمل اسرا ومهددا
 وابت في ليسر المهادر مهدا قلعا كاتي اخترت الجلمدا
 والرم ينكس (٨٦) في الحياة وبينما بلغ الكمال وتم عاد كما بدا
 وانا القائل بمصر اذم من العيش الراحة والدعة وما كان اعجل تقصيه

واسرعه:

أظن الى صرف دمري كيف مؤدني بعد الشيب سيوى عاداتي الأول
 وفي قباير صرف الدهر مختر وفي حال على الايام لم تحل
 قديم كنت مسر حرب كلما خدمت اذ كيتها باقتداح البيض في القل
 حسي مئازكة الاقران احبهم فرائسي (٨٧) فهم مني على وجل
 أمضى على الهول من ليل واعجم من سبلر واقدم في الهياج من اجل
 قصيرت كالعادة المكالم متجمعا على العشا وراء الشج والكلل
 قد كنت اعلن من طول التواء كما يهدي الهند طول الثب في الخل
 أروح به دروع العرب في خلل من الدبيبي فيوما لي وللخلل
 وما الرفاعة من راسي ولا اربي ولا التشم من شاني ولا شلي
 ولست ارض بلوغ البجد في رقة ولا العلى دون حطم البيض والاسل (٨٨)

وكت اظن ان الزمان لا يبلى جديده ولا يهي شديده وانني اذا
 عدت الى الشام وجدت به ايامي كهدي ما غيرها الزمان يهدي فلما
 عدت كذبتني وعود المطامع وكان ذلك الظن كالسراب اللامع اللهم
 غفرا هذه جملة اعتراضية عرضت، وفتة (٨٩) هم اقتضت ثم انقضت

(٨٦) قابل القرآن ٦٦:٢١ ٦٨:٣٦

(٨٧) «فرايسي» في الاصل

(٨٨) قابل ابن عساكر «التاريخ الكبير» (دمشق ١٣٣٠) ٤٠٣:٢

(٨٩) «و» في الاصل

ركوب الاخطار لا ينقص الاعمار

اعود الى المهم، وادع تستغف الليل المدلهم. لو سفت القلوب
من كدر الذنوب، [و] قُوتت الى عالم الضيوب، علمت ان ركوب اخطار
الحروب، لا ينقص مدة الاجل المكتوب

فانني رايت يوم قاتلنا نحن والاسماعيليه في حصن شيزر معتبراً (٩٠)
يوضح للشجاع العاقل، والبيان الجاهل، ان العمر موقت مقدّر، لا
يتقدّم اجله ولا يتأخّر. وذلك اننا بعد فراغنا ذلك اليوم من القتال،
صاح انسان من جانب الحصن «الرجال!» وعندي [٥٠] جماعة من
اصحابي معهم ملاحهم. فبادرنا الى الذي صاح. فقلنا «ما لك؟» فقال
«حسّ الرجال هاهنا». فجئنا الى امطل خال مظلم. فدخلنا فوجدنا
فيه رجلين معهما ملاحهما، فقتلناهما. ووجدنا رجلاً من اصحابنا مقتولاً،
وهو على شيء، فرفضناه وجدنا تحته رجلاً من الباطنية قد تسجى ورفع
المقتول على صدره. فحملنا صاحنا وقتلنا الذي كان تحته ووضعنا صاحنا
في الجامع بالقرب من ذلك المكان وفيه جراح عظيمة، ولا نشك انه
ميت لا يتحرك ولا يتنفس. وانا والله كنت احرك رأسي على بلاط
الجامع برجلي، ولا نشك انه ميت (٩١). وكان المسكين اجتاز بذلك
الاصطبل فسمع حساً. فادخل رأسه ليحقق السماع، فحذبه واحد منهم
وضربوه بالكاكين حتى ظلوا انه قد مات. فغضب الله سبحانه ان خُيِّطت
تلك الجراح في رقبته وفي جسمه وعوفي وعاد من الصحة الى ما كان عليه.
فتبارك الله مقدّر الاقدار وموقت الاجال والاعمار

وشاهدت ما يقارب ذلك وهو ان الافرنج، لعنهم الله، اغاروا (٩٢)
علينا تلك الليل الاخر. فركبنا نريد تباعهم. فمضنا عمي الدين،

(٩٠) قابل عنوان الكتاب «كتاب الاعتبار»

(٩١) هذه العبارة تكررت بحروفها في سطر سابق اما للتاكيد او بسهو من
الناسخ

(٩٢) «غاروا» في الاصل

رحمه الله، من اتباعهم وقال «هذه مكيدة» والاعارة تكون بالليل» وخرج من البلد رجالة خلفهم ما علمنا بهم فوقع الاقربج بعضهم عند رجوعهم قلوبهم وسلم بعضهم

واصبحت انا واقفاً في بندر قنن قرية عند المدينة فرأيت ثلاثة شخوص مقبلية: امّا اثنان فكالتاس، وامّا الاوسط فما وجهه كوجوه الناس فلما دنوا منا واذا الوطاني منهم قد ضربه افرنجي بسيف في وسط اخيه قطع وجهه الى اذنيه، وقد استرخى نصف وجهه صار على صدره وبين النصفين من وجهه فتح قريب من شبر وهو يمشي بين رجلين فدخل البلد وخاط الجرائحي وجهه ودأوا فالتحم ذلك الجرح، وعوفي وعاد الى ما كان عليه الى ان مات على فراشه كان يبيع الدواب ويسمى ابن غازي المشطوب وانما سُمي المشطوب بتلك الضربة

فلا يظن ظان ان الموت يقدره ركوب الخطر، ولا يومخره شدة المحذر، ففي بقائي اوضح معتبر فكم لقيت من الاحوال، وتحمّلت المخاوف والاضطراب، ولاقيت الفرسان، وقتلت الامود، وضربت بالسيف، وطعنت بالرمح، وجرحت بالسهم [٥٠ ق] والجروح - وانا من الاجل في حصن حصين - الى ان بلغت تمام التسعين، فرأيت الصحة والبقاء كما قال صلى الله عليه وسلم «كفى بالصحة داء» فأتعبت النجاة من تلك الاحوال، ما هو اصعب من القتل والقتال وكان الهلاك في كنه الجيش، اسهل من تكاليف العيش استرجعت مني الايام بطول الحياة، سائر محبوب اللذات، وشاب كدر الشكدة حقو العيش الرغد فانا كما قلت:

مع الثمانين عات الدهر في جلدي وساءني ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطت يدي (٩٣) مضطرب كخط مرتعش الكفّين مرتعد
فاعجب لضبط يدي عن حملها قسماً من بعد خطر القنا في لثة الأمد
وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأنني أخوض الوحل في الجدر

فقل لمن يتنشى طولَ مُدَّه - مدي عوام طول العمر والمُدَّ (٩٤)
 ضعت القوة وهت، وتفضت بُلْهنية العيش واتتهت. ونكسني
 التعمر بين الانام، والى الخمول يومول تسعُرُ الظلام، حتى اصبت
 كما قلت:

تامتني الآجال حسي كاشني درية (٩٥) سقر بالفلاة حسير
 ولثا تدع مني الثمانون مئة كاشني اذا رمت القيسام كسير
 اودتي ملائسي قاعداً ومجودها علي اذا رمت بالشجود عسير
 وقد اندرتني هذه الحال اثنني دنت رحلة مني وحان مسير

مديح صلاح الدين

اعجزني وهن السنين، عن خدمة السلاطين. فهجرت مغشئ ابوابهم،
 وقطعت اسبابي من اسبابهم، واستقلت من خدمتهم. ورددت عليهم ما
 حوّلوني من نعمهم، لعلني ان ضعف الهرم، لا يقوى على تكاليف الخدم،
 وان سوق الشيخ الكبير، لا يتفق على الامير. ولزمت داري، وجعلت
 الخمول شعارني. ورضيت نفسي بالانفراد في الغربة، ومفارقة الاوطان
 والترية، الى ان تسكن نفادتها عن مرارتها (٩٦). وصبرت صبر الامير
 على قده، والظلمان ذي الغلة عن ورده. [فناداني اليه (٩٧)] مكاتبة
 مولانا الملك الناصر صلاح الدين، سلطان [٥١ و] الاسلام
 والمسلمين، جامع كلمة الايمان، قانع عبنة الصلبان، رافع علم العدل
 والاحسان، محيي دولة امير المؤمنين ابو المظفر يوسف بن ايوب.
 جميل الله الاسلام والمسلمين بطول بقائه، وايدهم بماضي سيوفه وارائه،
 واصفى عليهم وارفاً ظلّه، كما اصفى لهم من الاكدار موارد فضله، وافخذ
 في البسيطة عالي اوامره ونواحيه، وحكم صوامره في اعتناق اعاديه، برحمة

(٩٤) ابو شامة ١١٤:١ يقتبس هذه الايات نقابها

(٩٥) «ردية» في عباد الدين الكاتب الافهاني «حريدة القصر وجريدة العصر»
 (طبعة دربورغ) ص ١٤٢ (٩٦) الكلمات الاربع الاخيرة نصف مبحورة في الاصل
 (٩٧) كلمتان مبحورتان في الاصل. والاشارة لا ذلك الى دعوة صلاح الدين لاسامة
 سنة ١١٧٤ وكان اسامة مقيماً في حصن كيفا من اعمال ديار بكر

نُفِيت عَنِّي فِي الْبِلَادِ وَدُونِي الْحَزَنُ وَالسَّهْلُ، بِمَضِجَةٍ مِنَ الْأَرْضِ لَا مَالٍ لَدَيَّ وَلَا أَهْلٌ • فَاسْتَقْدَنِي مِنْ آتِيَابِ النُّوَابِ (٩٨) بِرَأْيِهِ الْجَبِيلُ، وَحَمَلَنِي إِلَى بَابِهِ الْعَالِي (٩٩) بِأَنْعَامِهِ الْقَامِرِ الْجَزِيلِ • وَجَبَرَ مَا هَانَهُ الزَّمَانُ مِنِّي، وَتَفَقَّ عَلَى كَرَمِهِ مَا كَسَدَ عَلَيَّ مِنْ سِوَاهُ مِنْ عُلُوِّ سَنِي • فَمَرَرَنِي بِرَأْيِ الرِّغَائِبِ، وَأَنْهَيْنِي (١٠٠) مِنْ أَنْعَامِهِ أَهْنِي (١٠١) الْمَوَاهِبِ، حَتَّى رَعَى لِي بِفَائِضِ الْكَرَمِ، مَا اسْلَفَتْ سِوَاهُ مِنَ الْخُدَمِ • فَهُوَ يَحْتَدُّ لِي بِذَلِكَ وَيُرْعَاهُ رِعَايَةً مِنْ كَأَنَّهُ شَاهِدُهُ وَرَاهُ • فَطَلَيْتُهُ تَطَرَّقَنِي وَأَنَا رَاقِدُهُ وَتَسْرِي إِلَيَّ وَأَنَا مُحْتَسِبُ فَاعِدُهُ • فَأَنَا مِنْ أَنْعَامِهِ كُلِّ يَوْمٍ فِي مَزِيدِهِ، وَلَمْ أَكْرَامِ كَتَكْرَمَةِ الْأَهْلِ وَأَنَا أَقَلُّ الْعِيدِ • أَمْتَنِي جَبِيلُ رَأْيِهِ حَادِثُ الْحَادِثَاتِ، وَاخْلَفَ لِي أَنْعَامُهُ مَا سَلَبَهُ الزَّمَانُ بِالنَّكِبَاتِ الْمَجْجَفَاتِ • وَأَفَاضَ عَلَيَّ مِنْ نَوَافِلِ فَضْلِهِ بَعْدَ تَأْدِيَةِ فَرَضِهِ وَسُنَّتِهِ (١٠٢)، مَا يَحْجُزُ الْأَعْنَاقَ عَنْ حَمْلِ أَمِيرِ مِسْنَتِهِ • وَلَمْ يُقَيِّرْ لِي جُودُهُ أَمَلًا أَرْجُو نَيْلَهُ، أَقْضَى زَمَانِي بِاللِّعَاءِ بِهِ نَهَارَهُ وَلَيْلَهُ • وَالرَّحْمَةُ الَّتِي تَدَارِكُ بِهَا الْعِبَادَ، وَاحْيَى بِرُكَاثِنِهَا الْبِلَادَ • وَالسُّلْطَانُ الَّذِي أَحْيَى سُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ، وَأَقَامَ عُمُودَ الدَّوْلَةِ وَالِدِينَ • وَالْبَحْرُ الَّذِي لَا يَنْضَبُ لِكَثْرَةِ الْوَارِدِينَ مَاؤُهُ، وَالْجُودُ الَّذِي لَا يَنْقُطِعُ مَعَ تَابِعِ الْوَافِدِينَ عَطَاؤُهُ • فَلَا زَالَتِ الْأُمَّةُ مِنْ سِوَاهُ فَسَى حَسْبِي مَنَبَعٌ، وَمَنْ أَنْعَامُهُ فِي رُبْعٍ مَرِيعٍ • وَمَنْ عَدَلُهُ فِي أَنْوَارِ تَكْشِفِ عَنْهُمْ ظُلُمِ الْمَظَالِمِ، وَتَكْفٍ بِسَطَةِ يَدِ الْمُعْتَدِي الْغَانِمِ، وَمَنْ دَوْلَتُهُ الْقَاهِرَةُ فِي ظِلِّ وَارِفٍ، وَفِي مَعُودِ مَتَابَعِ آتَفٍ فِي آثَرِ سَالِفٍ، مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَدَارَ الْفَلَكَ الدَّوَارُ:

(٩٨) بَعْدَ وَفَاةِ فُخْرِ الدِّينِ قُرْطُبِي (١١٦٧) صَاحِبِ حَضْنٍ كَيْفَا لَمْ يَحْفَلِ ابْنُهُ نُورُ الدِّينِ بِأَسَامَةِ

(٩٩) فِي دِمَشْقٍ • وَكَانَ مَرْهُفٌ بِنِ إِسْمَةِ مَقْرَبًا مِنْ مَصْلَاحِ الدِّينِ • وَرَبِّمَا كَانَ هُوَ الَّذِي حَمَلَ مَوْلَاهُ عَلَى اسْتِنْعَافِ وَالِدِهِ الشَّيْخِ

(١٠٠) كَذَا فِي الْأَمَلِ وَلَمَّا لَهَا «وَأَهْنَيْتَنِي» — وَأَهْنَانِي

(١٠١) كَذَا فِي الْأَمَلِ وَلَمَّا لَهَا «أَهْنَانُ»

(١٠٢) «وَسُنَّتُهُ» فِي الْأَمَلِ

دعوت' وقد آمن الحافظان (١٠٣) وذو العرش ممن دعاه قريب'
 وقد قال سبحانه للعباد سَلُونِي فَأَنِّي سَبِّحُ مُجِيبٌ (١٠٤)
 والحمد لله رب العالمين، وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله اجمعين.
 وحسبنا الله ونعم الوكيل (١٠٥)

(١٠٣) ملاكان . القرآن ٦١:٦ و ٨٢:١٠

(١٠٤) قائل القرآن ١١:٦٤

(١٠٥) قائل القرآن ٣:١٦٧



الباب الثاني

نكت ونواذر

الباب الثاني

نكت ونوادر

[٥١ ق] وما يكمن من نعمة فمن الله (١)

فصل (٢)

قال أئمة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين: هذه طرّف أخبار حضرت بعضها وحدّثي بعضها من ائق به جعلتها الحافاً في الكتاب، اذ ليست ممّا قصدت ذكره فيما تقدّم • وابدأت منها بأخبار الصالحين، رضي الله عنهم اجمعين

(١) القرآن ١٦: ٥٥ • ولعل الآية حشو من النامع

(٢) هذا العنوان هو الوحيد من نوعه في الاصل

١ - أخبار الصالحين

بصرة البصري

حدثني الشيخ الامام الخطيب سراج الدين ابو طاهر ابراهيم بن الحسين ابن ابراهيم خطيب مدينة [مسيرد] (٣) بها في ذي القعدة سنة اثنتين وستين وخمسة مائة (٤): قال حدثني ابو الفرج البغدادي (٥) قال «شهدت مجلس الشيخ الامام ابي عبد الله محمد البصري ببغداد وحضرته امرأة فقالت «يا سيدي انك كنت ممن شهد في صداقي» وقد فقدت كتاب المهر واسألك (٦) ان تتفضل عليّ تقيم الشهادة بمجلس الحكم» فقال «ما اهل حتى تأتيني بحلاوة» فوفقت المرأة وهي تظن انه يمزح بقوله فقال «لا تطيلي» لا امضي معك الا ان تأتيني بالحلاوة» فمضت ثم عادت فاخرجت من جيبها من تحت الازار قرطاساً فيه حلاوة يابسة فتعجب اصحابه من طلبه الحلاوة مع زهده وتقصه فاخذ القرطاس وفتح ورمى بالحلاوة قطعة قطعة حتى فرغ القرطاس ونظره فاذا هو (٧) كتاب صداق المرأة الذي فقدته فقال «خذي صداقك» فهذا هو» فاستعظم من حضره ذلك فقال «كلوا المحلال (٨) وقد فعلتم ذلك واكرمته»

سمع ابن قيس

حدثني الشيخ ابو القسم الخضر بن مسلم بن قاسم (٩) الحموي بها

(٣) من اعمال ديار بكر - «إمعرت» في ياقوت ٣٤١:٢ و ٣٨٠

(٤) ١٩ آب - ١٧ ايلول سنة ١١٦٧

(٥) ابن الجوزي المتوفى سنة ١٢٠١ ترجمه ابن خلكان ٥٠٠:١ - ٥٠١

(٦) «واسألك» في الاصل

(٧) «ما هو» في الاصل

(٨) قابل القرآن ١٦٣:٢ و ٩٠:٥ و ٧٠:٨

(٩) «قسم» ادناه - قسيم

يوم الاثنين سلخ ذي الحجة سنة سبعين وخمس مائة (١٠) قال: قدم علينا رجل شريف من اهل الكوفة فحدثنا قال: حدثني ابي قال: كنت ادخل على قاضي القضاة الشامي الحموي فيكرمني ويجلّني فقال لي يوماً «انا احب اهل الكوفة لشخص واحد منهم» كنت بحماة وانا شاب وقد توفي بها عبدالله بن ميمون الحموي، رحمه الله. فقالوا له «او من»، فقال «اذا انا مت» وفرغتم من جهازي اخرجوني الى الصحراء واطلع انسان على الراية التي تشرف على المقابر وينادي: يا عبدالله بن القيس (١١) مات عبدالله بن ميمون، فاحضره وصل عليه، فلما مات فعلوا ما امرهم به. فاقبل رجل عليه ثوب خام ومثّر صوف من الجانب الذي ندى منه النادي وجاء حتى صلى عليه، والناس قد بهتوا لا يكلّمونه. فلما فرغ من الصلاة انصرف راجعاً من حيث جاء. فتلاوموا اذ لم يتسكّوا به ويسألونه (١٢). فعوا [٥٢ و] في اثره. ففاتهم ولم يكلّمهم كلمة واحدة

شهوة شيخ ماثت تتحقق

وقد حضرت ما يقارب ذلك في حصن كيفا. وكان في مسجد الخضر (١٣) رجل يُعرف بمحمّد السماع (١٤) له زاوية الى جانب المسجد يخرج وقت الصلاة يصلّي جماعة ويعود الى زاويته وهو رجل من الاولياء. فحضرت به وهو بالقرب من منزلي الوفاء، فقال «كنت اشتقي على الله تعالى ان يحضرني شيعي محمّد البستي». فما جُمع له جهاز غسله وكفنه الا وشيخه محمّد البستي عنده. فتولّى غسله وخرج خلفه تقدّمناصلي عليه ثم نزل في زاويته فاقام بها مُدَيِّدة وهو يزورني وانا ازوره. وكان،

(١١) «المبيس» في الاصل

(١٢) «ويسلوه» في الاصل

(١٣) «المصر» في الاصل. وقصة الخضر في القرآن ٥٩: ١٨ - ٨١

(١٤) «السماع» في الاصل

(١٥) ١١٧٤

رحمه الله، عالماً زاهداً ما رأيته ولا سمعت بشئله . كان يصوم الدهر ولا يشرب ماء ولا يأكل خبزاً ولا شيئاً من الحبوب، إنما يفطر على رملتين أو عقود غنّب أو تفاحتين ويأكل في النهر مرة أو مرتين لقيمات من لحم مقلّي . فقلت له يوماً «يا شيخ أبا عبد الله، كيف وقع لك أن لا تأكل خبزاً ولا تشرب ماء وانت صائم أبداً؟» قال «صمتُ وطلويت فوجدتني أقوى على ذلك . فطلويت ثلثاً وقلت «اجعل ما أكله كالهيئة (١٥) التي تحلّ للمضطرّ بعد ثلث» . فوجدتني أقوى على ذلك فركتُ الأكل وشرب الماء فألقت النفسُ ذلك وسكنت إليه فاستمرت (١٦) على ما أنا عليه»

وكان بعض أكابر حصن كيفاً قد عمل للشيخ زاوية في بستان جعله له . فحضر عندي في أول شهر رمضان وقال «قد جئتُ مودّعاً» . قلت «والزاوية التي قد أعدت لك والبستان؟» قال «يا أخي، ما لي حاجة فيهما . ولا أقيم» . وودّعني ومضى، رحمه الله . وذلك سنة سبعين وخمسة مائة (١٧)

وهو في المعرة يشعر بموت آخر في مكة

وحدثني الشيخ أبو القسم الخضر بن مسلم بن قسيم (١٨) الحموي بحماسة في التاريخ المتقدم (١٩) أن رجلاً كان يعمل في بستان لمحمد ابن ميسر، رحمه الله، أتى أهله وهم جلوس على أبواب دورهم بالمعرة فقال «سمعت الساعة عجباً!» قالوا «وما هو؟» قال «مرّ بي رجل معه ركوة طلب متي فيها ماء فأعطيته فجدد وضوءه . وأعطيته خيارتين فأبى أن يأخذها . فقلت «إن هذا البستان نصفه لبي بحق عملي» . ولمحمد بن ميسر نصفه بالملك» . فقال «أحجّ العام؟» قلت «نعم» . قال «البارحة

(١٥) القرآن ٢: ١٦٨

(١٦) «فاستمرت» في الأصل

(١٧) ١ آب سنة ١١٧٤ - ٢١ تموز سنة ١١٧٥

(١٨) «قسم» في الأصل و «قسم» اعلاه

(١٩) ٥٧٠ أو ١١٧٤ - ٧٥

بعد انصرفا من الوقفة مات وصلينا عليه». • فخرجوا في اثره ليستقهما منه فراه علي بعد لا يمكنهم لحاقه • فعادوا وورخوا (٢٠) الحديث فكان الامر كما قال

عليّ يداوي قيم مسجده

حدثني الاجلّ شهاب الدين ابو الفتح المظفر بن اسعد بن مسعود بن بختكين بن سبكتكين مولى معز الدولة ابن بويه بالموصل في ثامن عشر شهر رمضان سنة خمس وستين وخمسمائة (٢١) [٥٢ ق] قال «زار المقتفي بامر (٢٢) الله امير المؤمنين، رحمه الله، مسجد سنندوديا (٢٣) بظاهر الانبار على الفرات الغربي، ومعه الوزير وانا حاضر • فدخل المسجد وهو يعرف بمسجد امير المؤمنين عليّ، رضوان الله عليه، وعليه ثوب دمياطي (٢٤) وهو متقلد سيفاً حليته حديد لا يندري انه امير المؤمنين الامن يعرفه • فجعل قيم المسجد يدعو للوزير • فقال الوزير «ويحك! ادع لأمير المؤمنين» • فقال له المقتفي، رحمه الله، «سله عما ينفع» • قل له ما كان من المرض الذي كان في وجهه؟ فابني رأيت في ايام مولانا المستظهر، رحمه الله، وبه مرض في وجهه • وكان في وجهه سلعة قد غطت اكثر وجهه فاذا اراد الأكل سدها بمنديل حتى يصل الطعام الى فمه • فقال القيم «كنت كما تعلم، وانا اتردد الى هذا المسجد من الانبار • فلقيني انسان فقال: لو كنت تتردد الى فلان (يعني مقدم الانبار) كما تتردد الى هذا المسجد لاستدعي (٢٥) لك طبيباً يزيل هذا المرض من وجهك • فضاخر قلبي من قوله شيء ضاق له صدري • فمنت تلك الليلة

(٢٠) لفة في «أرضنا»

(٢١) ٥ حزيران سنة ١١٧٠

(٢٢) لأمير (٢)

(٢٣) «سنندود» بموجب جغرافيا العرب

(٢٤) راجع اعلاه من ١١ ح ٢٥

(٢٥) «لاستدعا» في الاصل

فرايت امير المؤمنين علي بن ابي طالب رضوان الله عليه وهو في المسجد يقول ما هذه الحضرة؟ (يعني حضرة في الارض) فشكوت اليه ما بي، فاعرض عني. ثم راجعته وشكوت اليه ما قاله لسي ذلك الرجل فقال: انت ممن يريد العاجلة (٢٦). ثم استيقظت والسلعة مطروحة الى جانبي وقد زال ما كان بي، فقال المقتفي، رحمه الله، صدق، ثم قال لي (٢٧) «تحدثت معه وابصر ما يلمسه واكتب به توقيعاً واحضره لأعلم عليه». فتحدثت معه. فقال «انا صاحب عائلة وبنات. واريد في كل شهر ثلاثة دنائير». فكتب عنه مطالعة وغنوتها الخادم: فيم مسجد علي. فوقع عليها بما طلب وقال لي «امض تبثها في الديوان». فمضيت ولم أقرأ (٢٨) منها سوى «يوقع له بذلك». وكان الرسم ان يكتب لصاحب المطالعة توقيع ويؤخذ منه ما فيه خط امير المؤمنين. فلما فتحها الكاتب ليقفها وجد تحت «قيم مسجد علي»: «بخط المقتفي امير المؤمنين، - صلوات الله عليه. ولو كان طلب اكثر من ذلك لوقع له به»

النبي يرسل فقيراً الى ملك شاه

وحدثني القاضي الامام مجد الدين ابو سليمان (٢٩) داود بن محمد ابن الحسن بن خالد الخالدي، رحمه الله، بظاهر حصن كيفا يوم الخميس ثاني وعشرين ربيع الاول سنة ست وستين وخمس مائة (٣٠) عن من حدثه ان شيخاً اسأذن على خواجا بنزرك (٣١)، رحمه الله. فلما دخل

(٢٦) القرآن ١٧: ١٩

(٢٧) الضمير يرجع للمحدث شهاب الدين ابي الفتح المظفر

(٢٨) «امر» في الاصل

(٢٩) «سلس» في الاصل

(٣٠) ٣ كانون الاول سنة ١١٧٠

(٣١) أو «بزرگ» تحريف «بزرگ» الفارسية ومعناها العظيم. واللقب

«خواجا بزرگ» - الوزير نلقب به نظام الملك وزير ملك شاه. وفي «كتاب الصبا»

لأسماء (طبعة دربورغ ١٨٩٣) ص ١٤ «خواجا بزرگ نظام الدين سلامي»

عليه رآه شيخاً مهيباً بهياً (٣٢) . فقال «من اين الشيخ؟» قال «من غربة» . قال «الك حاجة؟» قال «انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم [٥٣] و الى ملك شاه» . قال «ياشيخ، اي شيء هذا الحديث؟» قال «ان اوملتي اليه ببلغته الرسالة . والا فانا لا ازول حتى اجتمع به وابلغه ما معي» . فدخل خواجاً بزرک علي السلطان فاعلمه بما قاله الشيخ فقال «احضروه» . فلما حضر قدّم للسلطان مسواكاً ومنطقاً وقال له «انا رجل لي بنات . وانا فقير لا اقدر على جهازهن وتزويجهن . وكل ليلة ادعو الله تعالى ان يرزقني ما اجهزهن به فتمت ليلة الجمعة من شهر كذا ودعوت الله سبحانه بمعوتتي عليهن . فراءيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم فقال لي «انت تدعو الله تعالى ان يرزقك ما تجهز به بناتك؟» قلت نعم يا رسول الله . فقال «امض الي فلان (وسأه جز (٣٣) ملك شاه - يعني السلطان) وقل له: قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم تجهز بناتي» . فقلت «يا رسول الله، ان طلب مني علامة ما اقول له؟» قال «قل له بعلامة انك كل ليلة عند النوم تقرأ سورة تبارك» . فلما سمع ذلك السلطان فقال «هذه علامة صحيحة . وما اطلع عليها غير الله تبارك وتعالى . فان مؤدبي امرني ان اقرأها كل ليلة عند النوم . وانا افضل ذلك» . ثم امر له بكل ما طلبه لتجهيز بناته واجزل عطيته وصرفه

وآخر الى الوزير علي بن عيسى

ويشبه هذا الحديث ما سمعته عن ابي عبدالله محمد بن فاتك (٣٤) المقرئ قال «كنت اقرأ يوماً علي ابي بكر بن مجاهد رحمه الله المقرئ . ببغداد اذ ورد عليه شيخ عليه عمارة رثة وطيلسان وثياب رثة . وكان ابن مجاهد يعرف الشيخ فقال له «ايش (٣٥) كان من خير الصبية؟» قال

(٣٢) «بهاء في الاصل

(٣٣) «مر» في الاصل

(٣٤) «مالك» في الاصل

(٣٥) عمارة . اي شيء

«يا ابا بكر (٣٦)، جاءني البارحة ابنة نائلة فطلبت مني اهلي دانقة (٣٧) يشترون به سنأ وعلأ يحسكونها به فلم اقدر عليه . فبت مهموماً . فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فيما يرى النائم . فقال: لا تقم ولا تحزن . واذا كان غداً فادخل على علي بن عيسى وزير الخليفة (٣٨) فأقره (٣٩) مني السلام وقل له: بعلامة انك صليت علي عند قبري (٤٠) اربعة الاف مرة ادفع لي مائة دينار عينا،

فقال ابو بكر بن مجاهد «يا ابا عبد الله في هذا فائدة . وقطع علي القراءة واخذ بيد الشيخ وقام فدخل به على علي بن عيسى . فرأى علي ابن عيسى مع ابن مجاهد شيخاً لم يعرفه فقال «من اين لك يا ابا بكر هذا؟ فقال يُدنيه الوزير ويسمع منه كلامه، فادناه وقال «ما خطبك يا شيخ؟ فقال الشيخ «ان ابا بكر بن مجاهد يعلم ان لي ابنتين . والبارحة جاءني نائلة . فطلبت مني اهلي دانقة يشترون به سنأ وعلأ يحسكونها به فلم اقدر عليه . فبت البارحة وانا مهموم . [٥٣ ق] فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول: لا تقم ولا تحزن . اذا كان غداً فادخل على علي بن عيسى وأقره (٤١) مني السلام وقل له: بعلامة انك صليت علي عند قبري اربعة الاف (٤٢) مرة ادفع لي مائة دينار عينا . قال [ابن] مجاهد فانغروقت عينا علي بن عيسى بالدموع . ثم قال: صدق الله ورسوله وصدقت ايها الرجل . هذا شيء ما كان علم به الا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . يا غلام هات الكيس . فأحضره بين يديه . فضرب يده اليه فأخرج منه مائة دينار وقال: هذه المائة التي قال

(٣٦) «ما بكر» في الاصل

(٣٧) «دانقة» الفارسية - منس الدرهم

(٣٨) المقتر باله (٩٠٨ - ٣٣)

(٣٩) «أقره» في الاصل

(٤٠) قبر النبي

(٤١) «وأقره» في الاصل

(٤٢) «الف» في الاصل

لك رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذه مائة اخرى للبشارة . وهذه مائة اخرى هدية منّا لك . فخرج الرجل من عنده وفي كفه ثلاثمائة ديناره

عليّ يشفي مفلوجاً

وحدثني القائد (٤٣) الحاجّ ابو عليّ في شهر رمضان في سنة ثمان وستين وخمس مائة (٤٤) بحسن كيفاً قال «كنت بالمومل جالساً في دكان محمد بن عليّ بن محمد بن مامة . فاجتاز بنا رجل فقاعي (٤٥) ضخم غليظ الساقين فدعاه احمد (٤٦) وقال «يا عبد عليّ (٤٧) بالله حدث فلاناً حديثك . قال «انا رجل ابيع الفقاع كما ترى . فبت ليلة اربعاء وانا صحيح . فانتبهت وقد انحطّ وسطي فلا اقدر على الحركة وبست رجلاي . وقتاً (٤٨) حتى بقيت الجلد والعظم . فكنت ازحف الى وراء لان رجلي ما كانت تبغني ولا كان فيها حركة بالجملة . فقعدت في طريق زين الدين عليّ كوجك رحمه الله . فامر بحملي الى داره فحُملت . واحضر الاطباء وقال : اريد ان تداووا هذا . فقالوا : نعم نداويه ان شاء الله . ثم اخذوا مسماراً فاحموه ثم كوّوا به رجلي فما حسنت به فقالوا لزين الدين : ما تقدر على دواء هذا ولا فيه حيلة . فوهب لي دينارين وحماراً . فبقي الحمار عتدي نحواً من شهر ومات . فعدت فعدت في طريقه . فوهب لي حماراً اخر فمات . ووهب لي حماراً ثالثاً فمات . فعدت الى سوء اله . فقال لواحد من اصحابه : اخرج بهذا فارمه في الخنق . فقلت له : بالله ارمني على وركي فاني ما احسّ فيها بما يكون . فقال : ما

(٤٣) عليّ مائة . الطبري ١٧٩٩:٣

(٤٤) ١٦ نيسان - ١٥ ايار سنة ١١٧٣

(٤٥) بائع الفقاع . حراب من الصير يملؤه الزيت

(٤٦) كذا في الاصل . والمطلوب «محمّد»

(٤٧) يظهر انه كان شبيهاً

(٤٨) «ودقه» في الاصل . عامية

أرميك الأعلى رأسك • فإذا رسول زين الدين رحمه الله فد جاءني فردني
إليه - وكان الذي قاله من رمي مزاحاً - فلما احضروني بين يديه اعطاني
اربعة دنانير وحماراً

فبقيت على ما انا عليه الى ليلة رأيت فيها فيما يرى النائم كأن رجلاً
وقف عليّ وقال: قم • قلت: من انت؟ قال: انا عليّ بن ابي طالب •
فقلت وفقت • فأنهت امرائي وقلت: ويحك! قد ايصرت كذا وكذا!
فقلت: ما انت قائم • فمشيت على رجلي وزال ما كان بي ورجعت كما
تراني • فمضيت الى عند زين الدين الأمير عليّ كوجك رحمه الله فقصت
عليه ما بي ورأني [٥٤ و] قد زال ما رآه بي فاعطاني عشرة دنانير •
فبجان الشافي المعافي

جزء الأمانة

حدثني الشيخ الحافظ ابو الخطّاب عمر بن محمد بن عبد الله بن معمر
العَلْبَكي بدمشق اوائل سنة اثنتين وسبعين وخمس مائة (٤٩٩) قال: حكى
لي رجل بغداد عن القاضي ابي بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد
الانصاري الغُرْنَمي المعروف بقاضي المارستان انه قال دليلاً حججت
بيناً اطوف بالبيت اذ وجدت عقداً من اللؤلؤ فتدنته فسي طرفه احرامى •
فبعد ساعة سمعت انساناً يشده في الحرم وقد جعل لمن يردّه عليه عشرين
ديناراً • فسألته علامة ما شاع له فاخبرني • فسلّمته اليه • فقال لي
«تجيء معي الى منزلي لادفع اليك ما جعلته لك» • فقلت «ما لي حاجة
الى ذلك» • وما دفعته اليك بسبب الجعالة • وانا من الله بخير كثير •
فقال «ولم تدفعه الله عزّ وجلّ؟» • فقلت «نعم» • فقال «استقبل بنا الكعبة
واثمن على دعائي» • فاستقبلنا الكعبة فقال «اللهم اغفر له وارزقني
مكافأته» • ثم ودعني ومضى

ثم اتفق انني سافرت من مكة الى ديار مصر • فركبت فسي البحر

متوجهاً الى المغرب . فاختذ الرومُ المركبَ وأسرَتُ قِمينَ أسِر . فوَقعتُ في نصيبِ بعضِ القسوس . فلم ازل اخذته الى ان دنت وفاته . فأمسى باطلاقي

فخرجت من بلد الروم فمرت الى بعض بلاد المغرب . فجلست اكتب على دكان خباز وكان ذلك الخباز يعامل بعض ثناة تلك المدينة . فلما كان في رأس الشهر جاء غلام ذلك الثاني (٥٠) الى الخباز فقال «سيدي يدعوك لتحابه» . فاستمعني معه ومضينا اليه فحابه على رقاعه . فلما رأي معرفتي في الحساب وخطي طلبني من الخباز فغيرَ ثيابي (٥١) وسلمَ اليّ جباية ملكه وكانت له نعمة ضخمة . واخلى (٥٢) لي بيتاً في جانب داره

فلما مضت مُدِينَةُ قال لي «يا ابا بكر ما رأيك في التزويج؟ قلت «يا سيدي انا لا اطبق فقه نفسي فكيف اطبق الفقه على زوجة؟» قال «انا اقوم عنك بالمهر والمسكن والكسوة وجميع ما يلزمك» . فقلت «الامر لك» . فقال «يا ولدي ان هذه الزوجة فيها عيوب شئ» - ولم يترك شيئاً من العيب في الخلقة من رأسها الى قدمها الا ذكره لي وانا اقول «رضيت» . وباطني في ذلك كظاهري . فقال لي «الزوجة ابنتي» . واحضر جماعة وعقد العقد

فلما كان بعد ايام قال لي تهياً لدخول بيتك . ثم امر لي بكسوة فاخرة ودخلت الي دار فيها التجميل [٥٤ ق] والالات . ثم اجلس في المربية . وأخرجت العروس تحت النمط . فتمت لتلقيها . فلما كشفت النمط رأيت صورة ما رأيت في الدنيا اجمل منها . فهربت من الدار خارجاً . فلقيني الشيخ وسألني عن سبب هربي . فقلت «ان الزوجة ما هي التي ذكرتُ لي فيها من العيوب ما ذكرت» . فبسم وقال «يا ولدي

(٥٠) و «الثاني» هو صاحب الاملاك الواصة

(٥١) «ثاني» في الاصل - «ثناة» طبعة دربورغ ص ١٣٧

(٥٢) «واخله» في الاصل

هي زوجتك • وليس لي ولد سواها • وانما ذكرت لك ما ذكرت لثلاث
تستقل ما تراه • فعدت وجليت عليّ
فلما كان من الفد جعلت انا مل ما عليها من الحلى والجوهر الفاخر •
فرايت من جملة ما عليها العقد الذي وجدته بمكة • فعجبت من ذلك •
واستقرني الفكر فيه • فلما خرجت من البناء استدعاني وسألني عن
حالي وقال جَدَّع الحلال انف الضيرة • فشكرته على ما فعله معي •
ثم استولى عليّ الفكر في العقد ووصله اليه • فقال لي «يُم تفكر» •
فقلت «في العقد الفلاني» • فاني حججت في السنة الفلانية فوجدته في
الحرم او عقداً (٥٣) • يشبهه • فصاح وقال «انت الذي رددت عليّ العقد؟»
قلت «انا ذاك» • فقال «ابشر» • فان الله قد غفر لي ولك • فاني دعوت
الله سبحانه في تلك الساعة ان يغفر لي ولك وان يرزقني مكافأتك • وقد
سلّمت اليك مالي وولدي وما اظن اجلي الا وقد قرب • ثم اوصى اليّ
ومات بعد مُدِينَة قُرْبَة رحمه الله

٢ - الشفاء بطرق غريبة

شرب البيض يشفي الخراج

وحدثني الأمير سيف الدولة زنكي بن قراجاه رحمه الله قال «دعانا شاهنشاه بحلب (وهو زوج اخته) • فلما اجتمعنا عنده نفّذنا الى صاحب لنا كئاً نأشره وتنادمه خفيف الروح طيب العشرة فاستدعيه • فحضر • فعرضنا عليه الشرب فقال «انا محتم (١)» • امرني الطبيب بالحية ايّاماً حتى تُشَقَّ هذه السلعة • وكان في مومخر رقبته سلعة كبيرة • فقلنا «وافقنا اليوم وتكون الحية من غد» • ففعل وشرب معنا الى اخر النهار • فطلبنا من شاهنشاه شيئاً نأكله • فقال «ما عندي شيء» (٢) • فلاجئناه حتى اجابنا الى ان يُحضر لنا بيضاً نلقيه على السقل • فاحضر البيض • واحضرنا صحناً وكسرنا البيض وافرغنا ما فيه في الصحن • ووضعنا السقل على السقل ليحس • فاشت الى ذلك الرجل الذي في رقبته السلعة ان يشرب البيض • فرفع الصحن على فمه ليشرب بعضه فانساب جميع ما في الصحن في حلقه فشربه • وقلنا لصاحب الدار «عوضنا عن البيض» • فقال «والله ما افعل» • فشرينا • ثم افترقنا

فانا في السحر في فراشي والباب يُفْرَع • فخرجت جارية تنظر من الباب • فاذا هو مديقنا ذلك • فقلت [٥٥ و] «احضريه» • فجاءني وانا في الفراش وقال «يا مولاي، تلك السلعة التي كانت في رقبتي ذهبت • وما بقي لها اثر» • فنظرت موضعها فاذا هو كغيره من جوانب رقبته • فقلت «اي شيء اذهبها؟» قال «الله سبحانه» • ما عرفت انني استعملت شيئاً ما كنت

(١) «محس» في الاصل

(٢) «سا» في الاصل

استعمله غير شرعي لذلك (٣) اليسى النبي «٥» فسبحان الفادر المبلي المعافي

أكل الغريبان يشفي من الفتق

وكان عندنا في شيزر اخوان اسم الاكبر مظفر والآخر مالك (٤) بن عياض من اهل كفر طاب. وهما تاجران (٥) يسافران الى بغداد وغيرها من البلاد. ومظفر آدر له (٦) قبيلة عظيمة فهو منها فسي تعب. فسار في قافلة على السماوة (٧) الى بغداد. فتزلت القافلة بحى من احياء العرب، فضيغوم بطيور طبخوها لهم. فتعشوا وناموا. فاتبه ابنه رفيقه الذي في جانبه وقال له «انا نائم او مستيقظ؟» قال «مستيقظ. لو كنت نائماً ما تحدثت» قال «تلك القبيلة قد ذهبت وما بقي لها اثر» فنظر فإذا هو قد عاد كغيره الى الصحّة

فلما اصبحوا سألوا العرب الذين اضافوهم اي شيء اطعموهم. قالوا «نزلتم بنا ودوا بئنا عازية» فخرجنا اخذنا فراخ غريبان طبخناها لكم» فلما وصلوا بغداد دخلوا المارستان وحكوا للمتولّي (٨) المارستان حكايته. فنقذ حصل فراخ غريبان واطعمها لمن به هذا المرض. فلم تنفعه ولا اثرت فيه. فقال «تلك الفراخ التي اكلها كان زرقها ابوها افاعي (٩)» فلذلك كان تنفعها

(٣) مكررة في الاصل

(٤) «ملك» في الاصل

(٥) «سار» في الاصل

(٦) «ادر» مطبوعة دربورغ ص ١٣٤

(٧) يادية سوزية

(٨) كدا في الاصل

(٩) «افاعي» في الاصل

معجزات ابن بطلان في الطب

ومما يشاكل ذلك ان رجلاً أتى يوحنا بن بطلان (١٠) الطبيب المشهور بالمعرفة والعلم والتقدم في منعة الطب وهو في دكانه بحلب. فشكى اليه مرضه فرآه قد استحكم به الاستسقاء وكبر بطنه ودقت رقبته وتضمرت سحته. فقال له «ياولدي، ما لي والله فيك حيلة. ولا بقي الطب ينجع فيك». فأنصرف.

ثم بعد مدة اجتاز به وهو في دكانه وقد زال عنه ما كان به من المرض وضمر جوفه وحسنت حاله. فدعاه ابن بطلان فقال «ما انت الذي حضرت عندي من مدة وبك الاستسقاء وقد كبر بطنك ودقت رقبتك وقلت لك «ما لي فيك حيلة؟» قال «بلى». قال «فيماذا تداويت حتى زال ما كان بك؟» قال «والله ما تداويت بشيء». انا رجل صعلوك ما لي شيء ولا لي من يدور بي سوى والدتي عجوز ضعيفة كان لها في دثني خل. فكانت كل يوم تطعنني منه بخبز». فقال له ابن بطلان [٥٥ ق] «بقي من الخل شيء؟» قال «نعم». قال «امش معي ارني» (١١) الدن الذي فيه الخل. فمشى بين يديه الى بيته اوقفه على دن الخل. فافرج ابن بطلان ما كان فيه من الخل فوجد في اسفله اخصين (١٢) قد تهرأنا (١٣). فقال له «يا بني، ما كان يقدر يداويك بخل فيه اخصيان (١٤) حتى تهرأنا الا الله عز وجل».

(١٠) طبيب مسيحي في بغداد مارس الطب في حلب واسطاكية. ولقد ترجم له ابن ابي اميصة «طبقات الاطباء» (مصر ١٨٨٢) ١: ٢٤١ - ٢٤٣ والتفتي «اخبار الحكماء» مصر (١٣٣٦ هـ) ١٩٢ - ٢٠٨

(١١) «ارسي» في الاصل

(١٢) «اخصان» في الاصل

(١٣) «بهرما» في الاصل. قابل ادناه ص ٢١٥ ح ٩٣

(١٤) «اخصان» في الاصل

يُدَاوِي بِالْخَلِّ

وكان لهذا ابن بطلان امابات عجيبة في الطب. فمن ذلك ان رجلاً اتاه، وهو في دكانه يحلب، والرجل قد اقطع كلامه فلا يكاد يُفهم منه اذا تكلم. فقال له «ما صنعتك؟» قال «انا مغربل». فقال «احضر لسي نصف رطل خلّ حاذق». فاحضره. فقال «اشربه». فشربه وجلس لحظة، فذَرَعَهُ الْقَيْءُ. فَنَبَيْتاً طَبِئاً كَبِيراً في ذلك الخلّ. فافتح حلقة واستوى كلامه. فقال ابن بطلان لابنه وتلامذته «لا تداووا بهذا الدواء احداً فقتلوه». هذا كان قد علق بالمصري من غبار الغريلة تراب ما كان يُخرجه الا الخلّ.

يُمَيِّزُ بَيْنَ الْبَرَمِ وَحَبِّ الصَّبَا

وكان ابن بطلان ملازماً لخدمة جديّ الاكبر ابي المتوجّج مقلّد بن نصر بن منقذ (١٥). فظهر في جديّ ابي الحسن عليّ بن مقلّد بن نصر ابن منقذ رحمه الله وضّح وهو صبي صغير. فافلق ذلك اياه واففق عليه من البرص. فاحضر ابن بطلان وقال له «ابصر ما قد ظهر في جسم عليّ». فظفروه وقال «اريد خمس مائة دينار حتى ادوايه وأذهب هذا عنه». فقال له جديّ «لو كنت داويت عليّاً ما كنت رزيت لك بخمس مائة دينار». فلمّا رأى الغضب من جديّ قال «يامولاي، انا خادمك وعبدك وفي فضلك. ما قلتُ ما قلته الا على سبيل المزح». وهذا الذي بطني بهق الشباب. واذا ادرك زال عنه. فلا تحمل منه همّاً. ولا يقول لك سواي «انا ادوايه ويتوق عليك، فهذا يزول عند بلوغه». فكان كما قال

وكان في حلب امرأة من وجوه نساء حلب يقال لها برّة لحيها بردّ في راسها. فكانت تحمل عليه القطن العتيق والقلنسوة والمنخلة والمناديل

(١٥) «المقلّد بن منقذ الكِنَاني الكفرطاي» فسي ابن الاثير «الكامل» (طبعة طرنبيرغ) ٣٤٣:٩

حتى تصير كأنَّ على رأسها عمامة كبيرة وهي تستقي من البرد. فاحضرت ابن بطلان وشكت اليه مرضها فقال «حصلني في غد خمسين مثقالاً من كافور رياحي» عارية (١٦) او مكبرى من بعض الطيبين. فهو يعود اليه بأسره. فحصلت له الكافور. ثم اصبح القى كل ما على رأسها وحشا (١٧) شعرها بذلك الكافور وردَّ على رأسها ما كان عليه من الدثار وهي تستقي من البرد. فنامت لحظة واتبعت [٥٦] و تشكو الحر والكرب في رأسها. فالقى عنها شيئاً شيئاً مما كان على رأسها حتى بقي على رأسها قناع واحد. ثم نفّس شعرها من ذلك الكافور، وذهب عنها البرد وصارت تتنقح بقناع واحد

أسماء والطبيب

وقد جرى لي بشيزر ما يقارب ذلك. لحقني برد عظيم وقشعريرة من غير حمى وعليّ الثياب الكثيرة والفرو. ومتى تحرّكت في جلوسي ارتعدت وقام شعر بدني وتجمّعت. فاحضرت الشيخ ابا الوفاء تيسياً (١٨) الطبيب فشكوت اليه ما اجد. فقال «احضروا لي بطيخة هندي» (١٩). فأحضرت. فكسرها وقال لي «كل منها [ما] استطعت». قلت «يا حكيم، انا في الموت من البرد، والرمثان بارد. كيف آكل هذه مع بردها؟» قال «كل» كما اقول لك». فاكلت. فما انتهى اكلها منها حتى عرفت وزال ما كنت اجد من البرد. فقال لي «الذي كان بك من غلبة المعفراء ما كان من برد حقيقي»

حلم ينفى المفسس

وقد تقدّم ذكر شيء من غريب الاحلام. وقد اوردت في كتابي المترجم

(١٦) اي عيارة

(١٧) «وحى» في الاصل

(١٨) «سم» في الاصل

(١٩) «طبخه هندي» في الاصل

بـ «كتاب النوم والاحلام» من ذكر النوم والاحلام وما قيل فيها وفي اوقات الرويا وفي اقوال العلماء فيها، واستشهدت على اقوالهم بما ورد فيها من اشعار العرب ووسعتُ الشرح واشبع في المعنى. فما حاجة الى ذكر شيء منه ههنا. لكنني ذكرت هذا الخبر واستظهرته فاوردته

كان لجدي سيد الملك ابي الحسن علي بن مقلد بن نصر بن متقذ، رحمه الله، جارية يقال لها لؤلؤة ربتُ والذي مجد الدين ابا سلامة مرشد بن علي، رحمه الله. فلما كبر وانتقل عن دار والده انتقلتُ معه. فرزقني. فربّنتي تلك العجوز الى ان كبرتُ وتزوجتُ وانتقلتُ من دار والدي، رحمه الله، فانتقلتُ معي. ورزقتُ الاولاد فربّتهم. وكانت، رحمه الله، من النساء الصالحات مؤمنة قوامه. وكان يلحقها القولنج وقتاً بعد وقت. فلحقها يوماً من الايام واشتد بها حتى غاب ذهنها، وآيسوها. فبقيتُ كذلك يومين وليلتين. ثم افافت فقالت «لا اله الا الله! ما اعجب ما كنت فيه! لقيتُ امواتنا جميعهم وحدّثوني بالصجاب وقالوا لي في جملة ما قالوا «ان هذا القولنج ما يعود يلحقك»». فعاشت بعد ذلك المدّة الطويلة لم يلحقها قولنج

وعاشت حتى فاربت المائة سنة. وكانت محافظة لصلواتها، رحمه الله. فدخلتُ اليها في بيت افردته لها من داري وبين يديها طست وهي تفضل منديلاً للصلوات. فقلت «ما هذا يا امّي؟» قالت «يا بني، قد مسكوا هذا المنديل وايدهم ذفرة من الجبن وكلّما غسلته قد فاحت [ق] منه رائحة الجبن». قلت «اريني الصابونة التي تغسلين (٢٠) به». فاخرجتها من المنديل فاذا هي قطعة جبن، وهي تظن أنّها صابون. وكلّما عركتُ ذلك المنديل بالجبن قد فاحت ورائحه. قلت «يا امّي، هذه (٢١) جنة! ما هي صابونة». فنظرتها وقالت «صدقت، يا بني، ما

(٢٠) «صلى» في الاصل

(٢١) مكررة

ظننتُها الا صابوناً» (٢٢) * فبارك الله اصدق القائلين: «مَنْ نُعَمِّرْهُ
نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ» (٢٣) *

الاطالة تجلب الملالة، والحوادث والعلواريء أكثر من ان تُحصَر.
والرغبة الى الله، عزّ وجلّ في السرّ والعافية فيما بقي من الحياة،
والرحمة والرضوان عند موافاة الوفاة * فانه سبحانه اكرمُ مسوول،
واقرب مأمول

الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وعلى آله وعلامه

(٢٢) «صابون» في الاصل

(٢٣) القرآن ٦٨:٣٦

الباب الثالث

اخبار الصيد

الباب الثالث

اخبار الصيد

[٥٧ و] توكلت على الله تعالى (١)

والله مني جانبٌ لا أُخِيعُهُ وللَّهِ مِنِّي الْبَطَالَةُ جَانِبُ

فد ذكرتُ من احوال الحرب وما شاهدته من الوقعات والمصائب
والاخطار [ما] حضرني ذكره ولم يُنسني الزمان ومرء، فان العمر طال
ولزمتُ الانفراد والاعتزال . والنسيان من ارث متفادم من اينا آدم، عليه
السلام (٢)

وانا ذاكر فصلاً فيما حضرته وشاهدته من الصيد والقتل والجوارح
فمن ذلك ما حضرته بشيزر في صدر العمر . ومن ذلك ما حضرته مع
ملك الامراء اتابك زنكي بن آق سُقُر، رحمه الله . ومن ذلك ما حضرته
بدمشق مع شهاب الدين محمود بن تاج الملوك، رحمه الله . ومن ذلك
ما حضرته بمصر . ومن ذلك ما حضرته مع الملك العادل نور الدين ابي
المظفر محمود بن اتابك زنكي، رحمه الله . ومن ذلك ما حضرته بديار
بكر مع الامير فخر الدين قرا ارسلان (٣) بن داود بن اُرتُق، رحمه الله

(١) القرآن ٧٢:١٠ ولعلها حشو من الناسخ

(٢) «السلام» في الاصل

(٣) «قرا ارسلان» في الاصل

١ - الصيد في سورية والجزيرة ومصر

والدأمامة صياداً

فأما ما كان يسير فكان مع الوالد، رحمه الله. وكان مشغولاً بالصيد لهجاً به وبجميع الجوارح، وما يستكثر ما يخرجه عليه لفرجه. فانه كان تزهته. فليس له نخل سوى الحرب وجهاد الأفرنج ونسخ كتاب الله، عز وجل عند فراغه من انخال اصحابه. وهو، رحمه الله، صائم الدهر مواظب على تلاوة القرآن. فكان الصيد كما جاء في الخبر «رَوْحُوا التَّلُوبَ تَحْيَ الذِّكْرَ». فما رأيت قط مثل صيده وترتيبه

الصيد مع زنكي

وقد شاهدت صيد ملك الأمراء اتابك زنكي، رحمه الله. وكان له الجوارح الكثيرة. فأرأته ونحن نسير على الأنهار فيقدم البازدارية بالبزة ترميها على طيور الماء وتدق الطبول كجاري العادة فتصيد منها ما تصيد وتخطيء ما تخطيء، ووراعم الشواحين الكوهية (١) على ايدي البازدارية. فاذا امطادت البزة واخطأت ارسلوا الشواحين الكوهية على الطيور وقد اهدت دشب خيز (٢). فتلحق وتصيد. وترسل على الحجل فتلحق الحجل في طلوعها في منح الجبل فتصيد. فانها من سرعة الطيران على صفة عجيبة

وشاهدته يوماً ونحن في المعركة بظاهر الموصل نسير في باذنجان (٣) وبين يدي اتابك بازيار على يده باشق. فطار ذكر دراج فارسه عليه

(١) من «كوه» الفارسية - جبل. راجع W. T. Blanford, *The Fauna of British India* (لندن ١٨٩٥) ٤١٥:٣

(٢) كذا في الأصل. «دست جبر» طفة دوتبورغ ص ١٤٠

(٣) «مادسان» في الأصل

فاخذه ونزل. فلماً صار في الأرض فرط الدراج من كفته وطار. فلماً ارتفع انتقل الباز من الأرض اخذه ونزل وقد بُشِيت

ورأيتُه [٥٧ ق] وهو في ميد الوحش دهعات. اذا اجتمعت الحلقة واجتمع فيها الوحش لا يقدر احد يدخل الحلقة، واذا خرج من الوحش شيء رموه. وكان من ارمى الناس. فكان اذا دنا منه الغزال رماء، فراء كأنه قد عثر فيقع ويذبح. وكان اول غزال يضربه في كل ميد احضره يُنفذه لي مع غلام من غلمانه وانا معه

وشاهدته وقد اجتمعت الحلقة ونحن في ارض نصيبين على الهرماس (١)، وقد ضربوا الخيام. فوصل الوحش الى الخيام. فخرج الغلمان بالعصي والعمد، فضربوا منها شيئاً كثيراً. واجتمع في الحلقة ذيب فوثب في وسطها على غزال اخذه وبرك عليه. فقتل وهو عليه

وشاهدته يوماً ونحن بسنجار وقد جاءه فارس من اصحابه فقال «ما هنا ضبعة نائمة» فسار ونحن معه الى واد هناك، والضبعة نائمة على صخرة في سفح الوادي. فترجل انا بك ومشي حتى وقف مقابلها وضربها بنشابة رماها الى اسفل الوادي. ونزلوا جاءوا بها الى بين يديه وهي ميتة ورأيتُه ايضاً بظاهر سنجار وقد جلوا ارباً (٥). فامرفاستدارت الخيل حولها (٦). وامر غلاماً خلفه [يحمل] الوشق كما يُحمل الفهد. فتقدم ارسله على الارنب فدخلت بين قوائم الخيل. وما تمكن منها. وما كنت رأيت الوشق قبل ذلك يصيد

الصيد في دمشق

ورأيت الصيد بدمشق أيام شهاب الدين محمود بن تاج الملوك للطير والغزلان وحمر الوحش والحيامر. فرأيتُه يوماً وقد خرجنا الى

(٤) من رواة النابور الذي يجب في الغلات

(٥) «ارب» في الاصل

(٦) بالتانيث في الاصل. وربما كان المقصود الجمع

شعرا (٧) بانباس وفي الارض عشب عظيم . فتصيدنا كثيراً من الحمامير .
وضربت الخيام حلقةً ونزلنا . فقام من وسط الحلقة يحمور كان نائماً
في العشب فأخذ في وسط الخيام

ورأيت ونحن عائدون رجلاً قد رأى سنجاباً (٨) في شجرة . فاعلم
به شهاب الدين . فجاء وقف تحته ورماء مرتين او ثلاثاً (٩) فما اصابه .
فتركه وسار به المقاتل (١٠) الذي لم يصبه . فرأيت رجلاً من الاتراك
جاء رماه فوسط النشابة فيه . فاسترخت يده وبقي متعلقاً برجليه والنشابة
فيه حتى مزوا الشجرة فوقه . ولو كانت تلك النشابة في ابن آدم كان
مات لوقته . فبصحن خالق الخلق

الصيد في مصر

ورأيت الصيد بمصر (١١) . كان للحافظ لدين الله عبد المجيد ابي
السيمون . رحمه الله ، جوارح كثيرة من البزاة والصقور والشواهين
البحرية . فكان لهم زمام يخرج بهم في الجمعة يومين ، واكرمهم رجالة
على ايديهم الجوارح . [٥٨ و] فكنت اركب يوم خروجهم الى الصيد
لا تفرج بنظر صيدهم . فمضى الزمام الى الحافظ وقال له « ان الضيف
فلاناً (١٢) يخرج معنا » - كأنه يستطلع امره في ذلك . فقال « اخرج
معه يتفرج على الجوارح »

(٧) الروضة يضم رأسها الشجر

(٨) « سنجاب » في الاصل

(٩) « لده » في الاصل

(١٠) « البساط » في الاصل

(١١) بين عامي ١١٤٤ و ١١٥٤

(١٢) « فلان » في الاصل

فخرجنا يوماً ومسح بعض البازياريّة باز مفرّص بيت (١٣) احمر العينين • فرأينا كراكي • فقال له الزمام «تقدّم ارم» (١٤) عليها الباز الاحمر العينين • فتقدّم رماه • وطارت الكراكي فلاحق منها واحداً على بعد متناً فحطه • فقلت للزام لي على حصان جيّد «ادفع الحصان اليه وانزل اغرز منقار الكركي في الارض واكفّه» (١٥) واترك رجله تحت رجلتيك الى ان تصلك • فمضى وعمل ما قلت له • ووصل البازيار ذبح الكركي واشبع الباز •

فلما دخل الزمام حدث الحافظ بما جرى وما قلته للزام وقال «يامولانا، حديثه حديث مباد • قال «واي شيء شغل هذا الا التسل والصيد؟»

وكان معهم مقور برسلونها على البلاشب وهي طائفة • فاذا رأى البكّسوب الصقر دار وارفع • والصقر يدور في جانب اخر حتى يرتفع على البلنوب • ثم ينقلب عليه يأخذه

وفي تلك البلاد طيور يسمونها البجّ (١٦) مثل الشحام يصيدونها ايضاً • وطيور الماء في مقطعات (١٧) النيل سهلة الصيد • والغزال عندهم قليل • بل في تلك البلاد بقري بني اسرائيل (١٨) • وهي بقري صفر قرونها مثل قرون البقر وهي اصغر من البقر تصدو عدواً عظيماً • وتخرج لهم من النيل دابة يسمونها فرس البحر مثل البقرة الصغيرة وعيناها صغيرتان (١٩)

(١٣) القرنة مقطوع الريش كما يطرا لبعض الحيوان • فاذا شرعت الجوارح في القرنة فينبغي ان يمد لها بيت لا يدخله الفبار والدخان والرياح ويبرش حوله ورق المصاف

(١٤) «ارمي» في الاصل

(١٥) «واكفّه» في الاصل

(١٦) ذكره ياقوت ١: ٨٨٥

(١٧) المواضع التي يقطع النهر فيها

(١٨) «اسرائيل» في الاصل • قابل القرآن ٢: ٦٤ - ٦٧ • والسميري «حياة

الحيوان» (مصر ١٣١٣) ١: ١٣٤

(١٩) «وعسها صفار» في الاصل - عابية

وهي جرداء، مثل الجاموس، لها انياب طوال في فكها الاسفل، وفي فكها الاعلى خروق لانيابها تخرج روعوها (٢٠) من تحت عينيها، وصاحها مثل صياح الخنزير، ولا تبرح في بركة فيها ماء وتأكل الخبز والحيش والشعير.

الصيد في عكا

وكنت قد مضيت مع الامير معين الدين (٢١)، رحمه الله، الى عكا الى عند ملك الافرنج فلک بن فلک، فرأينا رجلاً من الجنوة قد وصل من بلاد الافرنج ومعه باز كبير مقرنص يصيد الكركي، ومعه كلبه صغيرة اذا ارسل البار على الكراكي عدت تحته، فاذا اخذ الكركي وحطه عضته (٢٢) فلا يقدر على الخلاص منها، وقال لنا ذلك الجنوي، ان الباز عندنا اذا كان ذنبه ثلاث عشرة (٢٣) ريشة اصطاد الكركي، صعدنا (٢٤) ذنب ذلك الباز فكان كذلك

فطلبه الامير معين الدين (٢٥)، رحمه الله، من الملك فاخذه من ذلك الجنوي هو والكلبه واعطاه للامير معين الدين، فجاء [٥٨ ق] معنا، فرأبته في الطريق يشب الى الغزال كما يشب الى اللحم، ووصلنا به الى دمشق، فما طال عمره بها ولا صاد شيئاً ومات

في حصن كيفا

وشاهدت الصيد في حصن كيفا مع الامير فخر الدين قرا ارسلان (٢٦)

(٢٠) «روها» في الاصل

(٢١) أنتر

(٢٢) «عطه» في الاصل

(٢٣) «ثلاثة عشر» في الاصل

(٢٤) «فقدناه» في الاصل

(٢٥) أنتر، وذلك حوالي سنة ١١٤٠

(٢٦) «قرا ارسلان» في الاصل

ابن داود، رحمه الله. وهناك السجل والزرخ (٢٧) كبير والدراج. فأما طير الماء فهو في السط (٢٨) وهو واسع ما يتمكن الباز منها. وأكثر صيدهم الاراي ومعزى الجبل يعملون لها شباكاً (٢٩) ويمدونها في الأودية ويطردون الاراي فتقع في تلك الشباك وهي كثيرة عندهم وقريبة المتصيد. وكذلك الارانب

مع نور الدين

وشهدت الصيد مع الملك العادل نور الدين، رحمه الله. فحضرته ونحن بارض حماة وقد جلوا له ارباً (٣٠). فضر بها بنشابة كشاة (٣١) وقامت وسقت الى مجحر دخلته. فركضنا خلفها ووقف عليها نور الدين. وناولني الشريف السيد بها. رحمه الله، رجلاً قد قطعها النشابة من فوق العرقوب وثقت جوفها قرنة النصلة فوق منها بيت الولد. وسقت بعد هذا وانجحرت. فأمر نور الدين بعض الوشاقية نزل وقلع خفافه ودخل خلفها. فما ومل إليها. وقلت للذي معه بيت الاولاد وفيه خرنقان (٣٢) «شقه واطمرهم» (٣٣) بالتراب. ففعل. ففتحوا وعاشوا (٣٤)

وحضرته يوماً وقد ارمل كلبة على ثعلب ونحن على قرا حصار (٣٤) بارض حلب، فركض خلفه وانا معه. فلحقت الكلبة اخذت ذنب الثعلب فرجع اليها برأيه فعض خينومها. فصارت الكلبة تحوي ونور الدين، رحمه الله، بضحك. ثم خلاها وانجحر. فما قدرنا عليه

(٢٧) «وهو الطيهوج» على هامش المخطوطة

(٢٨) دجلة

(٢٩) «شاك» في الأصل

(٣٠) «ارب» في الأصل. وفي الحاشية «ينى راوما وهي نائية»

(٣١) «كسا» في الأصل. ولعلها «كشاة». قابل اعلاه ص ٤٦ ح ٤٥

(٣٢) «خرنقين» في الأصل

(٣٣) كذا في الأصل. عامية

(٣٤) باتوب ٤٤:٤

وجاء يوماً ونحن ركاب تحت قلعة حلب من شمالي البلد باز . فقال
 لنجم الدين أبي طالب بن علي كرد (٣٥)، رحمه الله «قل لفلان (يعني)
 ياخذ هذا الباز يلعب به» . فقال لي . فقلت «ما أحسن له» . فقال نور
 الدين «انتم في الصيد ما كنتم تزالون . ما تحسن تصلح الباز؟» قلت
 «يامولاي، ما كنا نصلحها نحن . كان لنا باز يارئة وغلما يصطحونها
 ويتصيدون بها قد آمناء» . وما اخفت الباز

(٣٥) ابن علم الدين علي كرد وهو صاحب حمة المذكور اعلاه

٢ - والد اسامة صيثان؟

شاعلت من الصيد مع هاؤلاء الاكابر شيئاً كثيراً ما اتسع لي الوقت
لذكره مفصلاً. وكانوا قادرين على ما يحاولونه من صيد وآله وغيره.
وما رأيت مثل صيد والدي، رحمه الله. فما ادري كنت اراه يعين المجبة
كما قال القائل: «وكلُّ ما يفعل المحبوبُ محبوبٌ». ما ادري اكان
نظري فيه على التحقيق. وانا اذكر شيئاً من ذلك ليحكم فيه من يقف عليه
وذلك ان والدي، رحمه الله، كان قد فرغ زمانه [٥٩ و] لتلاوة القرآن
والصيام والصيد في نهاره، وفي الليل ينسخ كتاب الله تعالى. فكان قد
نسخ ستاً واربعين ختمة بخطه، رحمه الله، منها ختمتان بالذهب جميع
القرآن. ويركب الى الصيد يوماً ويستريح يوماً. وهو صائم الدهر
ولنا بشيزر متصيان: متصيد للحجل والارانب في الجبل قبليّ البلد،
ومتصيد لطير المساء والدراج والارانب والفضلان على النهر في
الازوار (١) من غربيّ البلد

وكان يتكلف في تسير قوم من اصحابه الى البلاد لشرى البزاة.
حتى انه انفذ الى القسطنطينية احضر له منها بزاة. وحملوا الغلمان
معهم من الحمام ما ظنوا انه يكفي البزاة التي معهم فتغير عليهم البحر
وتعوقوا حتى فرغ ما معهم من طعم البزاة. فاضطروا الى ان صاروا
يُقطعون البزاة لحم السمك. فاثّر ذلك في اجنتها (٢) صار ريشها
ينكسر وينقص. فلمّا وصلوا بها الى شيزر كان فيها بزاة نادرة. وفي

(١) الزار أو الزارة أو الزارة هي الأجرة من الحلاء. وقد وردت «الازوار»
مراراً فيما يلي

(٢) «اجنتهم» في الاصل

خدمة الوالد بازيار طويل اليد في اصلاح البزاة وعلاجها يقال له غنام •
فومل اجنتها واصطاد بها • وقرنص بعضها عنده

مصيد البزاة

وكان اكثر ما يستعني البزاة ويشتريها من وادي ابن الاحمر
بالغلاء (٣) • فاحضر قوماً من اهل الجبل (٤) القريب من شيزر من
اهل بيشلا ويسمالخ وحلّة عارا وتحدث معهم في ان يعملوا في مواضعهم
مصيد للبزاة • ووجههم وكساحهم • فمضوا وعملوا بيوت الصيد • فاصطادوا
بزاة كثيرة فراخاً (٥) ومقرنصة وزرارق • فحملوها الى الوالد وقالوا
«يامولانا نحن قد بطلنا معايشنا وزراعتنا في خلمتك • ونشتهي ان تأخذ
منّا كلّ ما نصيده وتقرّر لنا ثمنًا نعرفه لا تجاذب فيه» • فقرّر ثمن
الباز الفرخ خمسة عشر ديناراً، وثنم الزرّرق الفرخ نصفها، وثنم الباز
المقرنص عشرة دنائير وثنم الزرّرق المقرنص نصفها • وافتتح
للجبلين اخذ دنائير بغير كلفة ولا تعب • انما يعمل له بيتا
بجحارة (٦) وعلى قدر خلقته، ويظليه بهيدان ويسترها بقش وحشيش
ويجعل نافذة • ويأخذ طير حمام يجمع رجليه على قضيب ويندّها [١] الى
ويخرجّه من تلك النافذة • يحرك العود فيتحرك الطير ويفتح
اجنته • فيراه الباز يتقلب عليه يأخذه • فاذا احسّ به الصياد جذب
القضيب الى النافذة ومدّ يده قبض رجلي الباز، وهو قابض للطير الحمام،
وانزله الى وخبط عينه (٧) • ويصح من الغد يصلنا به، يأخذ ثمنه ويعود
الى بيته بعد يومين

(٣) «الغلاء» وربما كان المقصود «بالغلاء» اي بالغلاء اسم موضع

(٤) جبل النصربة

(٥) «فراخ» في الاصل (٦) «سب محار» في الاصل

(٧) يظهر من معال في «الانارة» (رحلة ١٩٢٧: ٩: ٤٧٧) ان هذه الطرق نفسها لم
تزل مستعملة لليوم في جبال النصربة • والصيد بالباز والباسق لم يزل البعض
يستعملونه في سورية وكيليكيا والعراق والجزيرة العربية

فكر الصيادون وكبرت البزاة حتى صارت عندنا مثل العجاج: فيها ما
يُتصَّيد به وفيها ما يموت على الكنادر من كرتها

وكان في خيمة الوالد بازيار وصقارون (٨) وكلايضة. وعلم
قوماً من مماليكه اصلاح البزاة فمهرروا فيها. وكان [٥٩ ق] يخرج الى
الصيد ونحن اولاده معه في اربعة رجال ومعنا غلماننا وجناينا وملاحنا،
فانما كنا نأمن من الفرنج لقربهم منا. ويخرج معنا بزاة كثيرة من
العشرة وما حولها ومعهم صقاران وفهادان وكلايضان، مع احدهما كلاب
ملوكة ومع الآخر كلاب رغارية. فيوم حروجه (٩) الى الجبل لصيد
الحجل وهو بعيد من الجبل يقول لنا اذا خرج الى طريق الجبل «تفرقوا»
كل من عليه قراءة يقرأها. ونحن اولاده حفاظ القرآن. فنفرق
نقرأ حتى يصير الى مكان الصيد يأمر من يستدعينا فبنا لنا كم قرا كل
واحد منا. فاذا اخبرناه يقول «انا قرأت مائة آية او نحوها». وكان،
رحمه الله، يقرأ القرآن كما انزل

فاذا صرنا في المتصيد امر الغلمان فترق بعضهم مع البازياريّة.
فكيف طارت الحجل كان في ذلك الجانب باز يرسل عليه (١٠). ومع
من مماليكه واصحابه اربعون فارساً اخبر الناس بالصيد. فلا يكاد يطير
طير ولا يشور ارنب ولا غزال الا امطدناه. وننتهي في الجبل نصيد الى
العصر ثم نعود وقد اشبعنا البزاة وطرحناها على القلوت (١١) في الجبل
شربت واستحمت. ونعود الى البلد بعد عتمة
فاذا ركبنا الى طير الماء والدراج كان ذلك يوم فرجتنا. تقع في

(٨) «صقارون» في الاصل

(٩) «يوم لحروجه» طبعة درنيورغس ١٤٦. «مزم» [انثروحه] في *Onsūma*

ص ٦٣٤

(١٠) بالذكر مع انه سبق فعال «طارت»

(١١) ح فلب - النقرة في الارض سمع فيها الماء

الصيد من باب المدينة ثم نصل الى الازوار فيقف الفهود والصقور برّا من الزور وتدخل اليه بالزاة . فان طارت دراجة اخذها الباز . وان قفزت اربأرسلنا عليها بعض الزاة . فان اخذها والا خرجت الى الفهود ارسلوا (١٢) عليها . وان قفز غزال خرج الى الفهود ارسلوا عليه (١٣) . فان اخذ والا ارسلوا عليه الصقور فما يكاد يفلت منا صيد الا بفسحة الأجل

وفي الازوار خناير كبيرة تخرج فتركض عليها وتقتلها فيكون فرحنا بقتلها أكثر من فرحة الصيد (١٤)

وكان له ترتيب في الصيد كأنه ترتيب الحرب والامر المهم . لا يشغل احد بحدث مع صاحبه ولا لهم هم الا التبحر في الارض لنظر الارانب او الطير في اوكارها

الارمن يرسلون بزاة

وكان قد صار بينه وبين بني دهبال - تروس (١٥) ولاون الارمن من اصحاب المصيبة وانظرطوس واذنة والدروب - مصادقة ومكانة اكبر سبها رغبته في الزاة . فكانوا يستفدون له كل سنة عدة من عشرة بزاة او ما حولها على ايدي رجالة ارمن بازيارئة (١٦) ويستفدون الكلاب الزغارية . ويستفدون لهم هو الحصن والطيب ومن كسوة مصر . فكان يجيئنا (١٧) من عندهم بزاة ملاح نادرة فاجتمع [٦٠ و] عندنا في بعض السنين بزاة قد جاءت من الدروب فيها باز فرخ مثل العقاب وبزاة دونه

(١٢) كما في الاصل

(١٣) كما في الاصل

(١٤) «فرحنا بقتلها اكبر من فرحه الصيد» طبعه درنورغ ص ١٤٧ . والخزير

مصر نحس . הרא ٤٠٥ و ٤٦٠٦

(١٥) «رومال تروس» في الاصل

(١٦) «ماز باه» في الاصل

(١٧) «مسا» في الاصل

وجاءنا من الجبل عدة بزاة فيها باز كأنه مقر عريض فرخ ما يلحق بتلك البزاة. والبازيار غثام يقول «ما في هذه البزاة كلها مثل هذا الباز المحشور (١٨)». ما يترك شيئاً إلا يصيده. ونحن لا نصدقه. ثم أصلح ذلك الباز فكان كما ظن فيه من أفره البزاة وأطيرها واضطرها. وقرصنا عندنا وخرج من القرنامس أجود مما كان. وعمر ذلك الباز وفرض (١٩) عندنا ثلاث عشرة مئة. فكان قد صار كأنه من أهل البيت يصطاد للخدمة لا لما جرت به عادة الجوارح أن يصيدوا لنفوسهم

وكان مقامه عند الوالد رحمه الله لا يتركه عند البازيار، لأن البازيار إنما يحمل الباز في الليل ويجّوعه حتى يصطاد به. وذلك الباز كان يكفي من نفسه ويعمل ما يراه منه. فكُنّا نخرج إلى ميد الحجل ومنا عدة بزاة فيبغضه الوالد إلى بعض البازيارية ويقول «اعتزل به ولا تُرسله بالحُملة وتسرف في الجبل». فكلما خلوا (٢٠) ابصروا حجلة لا بد من شجرة قد اعلموه بها يقول «هاتوا المحشور». مائة يقيم يده له قد طار من على يد البازيار وقع على يده بغير دَعْوٍ. ثم يستشرف برأيه ورقته فيقف على الحجلة النائمة ويرميها بقصيب في يده فتطير. ويرسل عليها المحشور فيأخذها في عشرة أذرع. وينزل إليه البازيار يذبح (٢١) في رجله ويرفضه. فيقول «اعتزل به». فإذا رأوا حجلة أخرى لا بد من عمل بها ذلك، حتى يصيد خمس ست حجلات. كذا يأخذها في عشرة أذرع. ثم يقول للبازيار «اشبعه». فيقول له «يامولاي، ما تدعه تصيد به؟» يقول «يا بني، مضى عشرة بزاة تصيد بها وهذا قد اساد (٢٢)». هذه الاطلاق تقطع عمره. فيشبعه ويعتزل به البازيار

(١٨) «المحشور» في الأصل هنا وفيما يلي

(١٩) «وفرص» في الأصل

(٢٠) «فكلموا» في الأصل

(٢١) «ذبح» في الأصل

(٢٢) كذا في الأصل. وقد وردت فيما يلي

فإذا انتهنا في الصيد وانبعنا الزاء وحططناها (٢٣) على الماء شربت واستحمت، واليحنور على يد البازيار. فإذا استقبلنا البلد راجعين ونحن في الجبل قال «هات اليصور» حملة على يده وسار. ان طارت حجلة من بين يديه ارسل عليها صادها حتى بصيد عترة اطلاق او اكثر على قدر ما يطير له من الحجل، وهو شعبان لا يحط منسره في مذبح حجلة ولا يذوق دمها. فإذا دخلنا الى الدار قال «هاتوا طاسة ماء». فجاموا بطاسة فيها ماء قدمها اليه وهو على يده، رحمه الله، فيشرب [٦٠ ق] منها. وان كان يريد يسجم خضخض منسره في الماء، فيدري انه يريد يسجم، فيأمر باحضار جفنة كبيرة فيها ماء ويقدمه اليها. فيطير بنزل في وسطها ويدف في الماء حتى يكفي من السباحة ثم يطلع. فيحطه على قفاز حسب، قد غسل له، كبير. ويقرّب منه متقل نار. فيتمشّق ويتدعّن حتى يشف من الماء. ثم يضع له فرواً مطوياً (٢٤) فينزل اليه ينام عليه. فلا يزال يبتنا على ذلك الفرو نائماً حتى يتهوّر الليل ويريد الوالد يدخل الى دار الحرم فيقول لاحدنا «احمله». فيحمل كما هو نائم على الفرو حتى يحط الى جانب فراش الوالد (٢٥)، رحمه الله]

وكان من عجائب هذا الباز، وعجائبه كثيرة وانا اذكر منها ما يحضرنى ذكره فان الامد قد طال وانسني السنون كثيراً من احواله، ان كان في دار الوالد حمام وطيور ماء خضر واناثها وبضائيات (٢٦) من التي تكون بين البقر لتلقط الذبّان من الدار. وكان يدخل الوالد وهذا الباز على يده يجلس على دكة في الدار والباز على قفاز الى جانبه فلا يطلب شيئاً من تلك الطيور ولا ينب اليها، ولا كأنها مما جرت عادته بصيدها وكانت المياه تكثر في ظاهر شيزر في الشتاء فيصير برآ من سورها تقاع

(٢٣) «حططناها» في الاصل

(٢٤) «فرواً مطوياً» في الاصل

(٢٥) «الولد» في الاصل

(٢٦) «وبضائيات» في الاصل. وهي غر واضعة

كثار ماء (٢٧) وفيها الطيور . فأمر الوالد البازيار وغلاماً معه يخرجوا الى قريب من تلك الطيور . ويأخذ اليحشور (٢٨) على يده ويقف به على الحصن يريه (٢٩) الطيور وهو شرقي البلد والطيور غربيها . فإذا ابصرها امره فينزل يشق (٣٠) على البلد حتى يخرج منه ويتهي الى الطيور . فيدق له البازيار الطبل فتطير الطيور فيصيد منها وبين موضع ارملة منه مسافة بعيدة

وكنا نخرج الى صيد طير الماء والدراج ونرجع بعد عنة نسمع صوت طيور في خلجان كبار بالقرب من البلد . فيقول الوالد دهات اليحشور . فيأخذنه وهو شعبان ويتقدم الى الطيور يدق الطبل حتى تطير الطيور ثم يرميه عليها . فان اصاد (٣١) وقع بيننا نزل اليه البازيار ذبح في رجليه ورفضه . وان لم يصد (٣٢) وقع على بعض اكناف النهر فما تراء ولا ندرى اين وقع . فتخلفه وندخل الى البلد . ويصبح البازيار من سحر يخرج اليه يأخذنه ويطلع به الى الحصن الى عند الوالد رحمه الله . ويقول له «يامولاي، قد عقل هذا الصقيع فقاء طول الليل . وقد اصبح يقطأ البولاذ (٣٣) . فاركب ابصر ايش يعمل اليوم!»

وما كان يقوت هذا الباز في من الصيد من الثمانة الى الوز السمنند (٣٤) والارنب . وكان البازيار يشتهي ان يصيد به الكراكي [٦١] والحرجل ما يتركه الوالد ويقول «الحرجل والكراكي»

(٢٧) «كياز ماء» في الامل

(٢٨) «الحشور» هنا وليا يلي

(٢٩) «دور» في الامل . عامية

(٣٠) «شق» في الامل . شق طار على وجه الارض

(٣١) «اصاده» هنا واعلاه من ٢٠٢ س ٢١ ما يدل على ان اللفظة بهذه المعية

كانت دائرية يومئذ

(٣٢) «صيده» في الامل

(٣٣) «كنا» في الامل

(٣٤) لم اعثر على وصف لهذا الطائر في كتب الحيوان ولا في معاجم اللغة

تصيدها (٣٥) بالفوز. وكان هذا الباز قد فُسر عما نعهد من مبدء
 سنة من السنين، حتى انه كان اذا أرسل واخطأ لا يجيء الى الدعو وهو
 عاجز ولا يستحم ولا تدرى ما به. ثم صلح عما كان من تقصيره ومباد
 واستحم يوماً. فرفعه البازيار من الماء وقد تفرق ريشه بالبلل عن
 جانبه، واذا هي جانبه بلعة في قد اللوزة. فاحضره البازيار بين يدي
 الوالد وقال «يامولاي، هذه التي فُسرَت بالباز وكادت تُهلكه». ثم
 ملك ألياز وعصرها خرجت مثل اللوزة يابسة. وختم موضعها. وعاد
 اليحضور (٣٦) الى الطيور بالسيف والنطع

وكان شهاب الدين محمود بن قراجا صاحب حماة في ذلك الوقت
 يُنفذ كل سنة يطلب الباز اليحضور (٣٧). بصي اليه مع البازيار يقيم
 عنده عشرين يوماً يتصيد به ويأخذ البازيار ويهود. فمات الباز بشيزر
 واتفق انني كنت قد زرت شهاب الدين الى حماة. واصبحت يوماً
 وانا بحماة وقد حضر القراء والمكبرون وخلق عظيم من اهل البلد.
 فقلت «من قدمات؟» قالوا «بنت لشهاب الدين». فاردت الخروج خلف
 الجنائزة. فما حكى شهاب الدين ومنعني. وخرجوا قبروا الميت في
 تل مفروز (٣٨). فلما عادوا قال لسي شهاب الدين «تدري من هو
 الميت؟» قلت «قالوا: ولد لك». قال «لا، والله، بل هو الباز اليحضور.
 سمعت انه قدمات انذت اخذته وعملت له تابوتاً (٣٩) وجنازة وقبرته.
 فانه كان يستحق ذلك»

فهدة عجبة

وكان للوالد، رحمه الله، فهدة في الفهود مثل اليحضور في البزاة،

(٣٥) «صيدها» في الاصل

(٣٦) «الحضور» في الاصل

(٣٧) «الحضور» في الاصل هنا وفسا يلي

(٣٨) «مفروز» في الاصل

(٣٩) «تابوت» في الاصل

اصطادوها وهي وحشية، من أكبر ما يكون من الفهود. فاختذا الفهّاد وفرمها واستحباها (٤٠). وكانت تركب ولا تريد الصيد. وكانت تُصرع كما يُصرع المصاب بعلة وتزبد. ويقدم إليها الخشخشا فلا تطلبه ولا تريده حتى إذا شمت عصبته. وبقيت كذلك مدة طويلة نحواً (٤١) من سنة. فخرجنا يوماً إلى الأزوار. فدخلت الخيل إلى الزور وأنا واقف في فم الزور، والفهّاد بهذه الفهدة قريب مني. فقام من الزور غزال وخرج إليّ. فدفعت حصاناً كان تحتي من أجود الخيل أريد إردّه إلى الفهدة. وعاجله الحصان تدّسه بصدري، رماء. فوثبت الفهدة مادته. فكأنها كانت نائمة انتهت وقالت [٦١ ق] «خذوا من الصيد ما أردتم!» فكانت مهمما قام لها من الغزلان أخذته، ولا يستطيع الفهّاد ضبطها فتجذبه ترميه. ولا تقف كما تقف الفهود في طردها بل وقت أن يقول قد وقفت تجدد عدواً أو تأخذ الغزال

وصيدنا بشيزر الغزال الأدمي، وهو غزال كبير. فكأنّا إذا خرجنا بها إلى العلاء والأرض الشرقية، وفيها الغزال الأبيض، لا ترك الفهّاد يركض بها حتى يمكنها إلا تجذبه ترميه، وتغير على الغزلان كأنها كانت ترى أنهم خشوف لسحر الغزال الأبيض

وكانت هذه الفهدة دون باقي الفهود في دار الوالد، رحمه الله. وله جارية تخدمها. ولها في جانب الدار قطعة مطوية تحتها حشيش يابس. وفي الحائط سكة مضروبة يجيء الفهّاد بها من الصيد إلى باب الدار يحطها وفيها المرتقة (٤٢) وتدخل إلى الدار إلى ذلك المكان المغروش لها فتنام فيه. وتجيء الجارية تربطها إلى السكة المضروبة في الحائط. وفي الدار والله، نحو من عشرين غزال أدمي وأبيض وقحول ومعزى وخشوف

(٤٠) «واسحباها» في الأصل. وقد وردت أدناه من ٢٠٩ س ١٥

(٤١) «سج» في الأصل

(٤٢) غير واضحة في الأصل ولعلها «المرتقة» «الرققة»

قد توالدت في الدار فلا تطلبهم ولا ترؤعهم (٤٣) • ولا تزول عن موضعها •
وتدخل الى الدار وهي مسيبة فلا تلتفت الى الغزلان
وشاهدت الجارية التي كانت تدور بها وهي تسرح جسمها بالمشط فلا
تمتنع ولا تنفر • ورأيتها يوماً، وقد بالت على تلك القطيفة المغروشة
لها، وهي تلتلها وتضر بها حيث بالت على القطيفة ولا تهز عليها ولا تضر
بها (٤٤)

ورأيتها يوماً وقد أنارت (٤٥) • من بين يدي الفهاد ارنين، وقد
لحقت الواحدة واخذتها وعضتها بفمها وتبعت الاخرى فلحقتها وجعلت
تضر بها بيدها وقبها مشغول بالارنب الاولى (٤٦) • فوقفت عنها بعد ان
ضربت بها يديها عدة ضربات ومضت الارنب

وحضر معنا في الصيد الشيخ العالم ابو عبد الله الطليطلي النحوي،
رحمه الله • وكان في النحو سيويه زمانه • قرأت عليه النحو تحوياً من
عشر سنين وكان متولّي دار العلم بطرابلس (٤٧) • فلما اخذ الافرنج
طرابلس (٤٨) نفذ الوالد والعم، رحمهما الله، استخلصا الشيخ ابا عبد
الله هذا ويانيس الناسخ • وكان قريب الطبقة في الخط من طريقة ابن
البواب (٤٩) • اقام عندنا بشيزر مدة ونسخ للوالد، رحمه الله، ختمتين •
[٦٢ و] ثم انتقل الى مصر ومات بها

وشاهدت من الشيخ ابي عبد الله عجباً • دخلت عليه يوماً لأقرأ عليه

(٤٣) عامية لصيحها «غزلاً» ادنيا... تطلبها ولا ترؤعها»

(٤٤) ولعلها «تضر بها»

(٤٥) «مارس» في الامل • قابل «تور» ادناه ص ٢١٥ ص ٧

(٤٦) كنا في الامل هنا واعلاه ص ٨٨

(٤٧) ابن الاثير في *Recueil* ٢٧٤:١ وابن خلكان ٨:٣

(٤٨) ١٢ تموز سنة ١١٠٩

(٤٩) ابو الحسن علي بن هلال الذي اشتهر بحسن خطه • تولّى في بغداد سنة

فوجدت بين يديه كتب النحو: «كتاب سيويه» (٥٠) re و «كتاب الخصائص» لابن جني (٥١)، و «كتاب الايضاح» لابي علي الفارسي (٥٢)، و «كتاب اللمع» و «كتاب الجمل» (٥٣). فقلت «ياشيخ ابا عبد الله، قرأت هذه الكتب كلها؟» قال «قرأتها؟ لا والله الا كتبها في اللوح وحفظتها». تريد تدري: خذ جزءاً واقتحه واقرأ من اول الصفحة مطراً واحداً. فاخذت جزءاً وفتحته وقرأت منه مطراً. فقرأ الصفحة باجمعها حفظاً حتى اتى على تلك الاجزاء جميعها. فقرأت منه امراً عظيماً ما هو في طاقة البشر.

هذه جملة اعتراضية لا موضع لها من سياقة الحديث وقد حضر معنا صيد هذه الفهنة وهو راكب في رجليه اقدام (٥٤). وفي الارض شوك كبير وقد ضرب رجليه اديماهما. وهو مشغول ينظر (٥٥) صيد الفهنة ولا يحس بتألم رجليه - مشغول بما يراه من تسللها الى الفزلان وعدوها وحسن صيدها

باز احمر العينين

وكان والده رحمه الله، محظوظاً (٥٦) من الجوارح النادرة الفارمة. وذلك أنها كانت عنده كثيرة فيندر منها الجارح الفاره. وكان عنده في بعض السنين باز مقرنص بيت احمر العينين، فكان من افراء البزاة. فوصل كتاب عتي تاج الامراء ابي المتوَجِّع مقلد، رحمه الله، من مصر (وكان مقامه بها في خدمة الامر بالحكام الله) يقول «سمعت في مجلس الافضل

(٥٠) توفي سنة ٧٩٦م

(٥١) ابو الفتح عثمان. توفي سنة ١٠٠٢

(٥٢) ابو علي الحسن السوي توفي سنة ٩٨٧

(٥٣) «كتاب اللمع» لابن جني. و «كتاب الجمل» لما لابي قاسم عبد الرحمن الزجاجي المتوفى سنة ٩٥٠ اوليد القاهرة الجرجاني المتوفى سنة ١٠٨١

(٥٤) خرق

(٥٥) ولعلها «ينظر»

(٥٦) «محظوظ» في العمل

ذكر الباز الاحمر العينين . والأفضل يستخبر المحدث عنه وعن ميده .
فتفذه الوالد، رحمه الله، مع ياز ياره الى الأفضل . فلما حضر بين يديه
قال له «هذا هو الباز الاحمر العينين؟» قال «نعم يامولاي» قال «اي شي
يصيد؟» قال «صيد السمانة والحرجلة وما بينهما من الصيد» . فبقي هذا
الباز بمصر مدة ثم افلت وراح وبقي سنة في البرية في شجر الجميز
وقرئ في البرية . ثم عادوا اصطادوه . فجاءنا كتاب عمي، رحمه
الله، يقول «الباز الاحمر العينين ضاع وقرئ في الجميز وعادوا اصطادوه
وتصيدوا به . وقد أرسل على الطير منه معية عظيمة»

باز افرنجي

وكتنا يوماً عند الوالد، رحمه الله، وقد جاء انسان من فلاحى معرفة
النعمان معه باز مقرئ مكسر ريش الاجنحة والذنب في قدر العقاب
الكبير، ما رأيت قط بازاً مثله [٦٢ ق] وقال «يامولاي، كنت أصلي للذئب
بالتادوف فضرب هذا الباز على دكمة في التادوف فاخذته وحملته
اليك» . فاخذته واحسن الى الذي اهداه . ووصل الباز ياره وحملة
واستجابه (٥٧) . واذا الباز صائده مطابق مقرئ بيت قد افلت من الافرنج
وقرئ في جبل المعرفة . فكان من افرء الجوارح واضطرها

فرخ شاهين

وشاهدت يوماً وقد خرجنا معه، رحمه الله، الى الصيد وقد استقبلنا على
جد رجل معه شيء ما نتحققه . فلما دنا منا واذا معه شاهين فرخ من
اكبر الشاهين واحسنها وقد خمش يديه وهو حامله . فدلّا . ومك
سابقه (٥٨) ورجله . والشاهين مدلى منشور الاجنحة . فلما وصلنا
قال «يامولاي، اصطدت هذا الطير وقد جئت به اليك» . فسلمه الوالد
الى الباز ياره فاصلحه ووصل ما انكسر من ريشه . ولم يخرج مخبره مثل

(٥٧) «واسماها» في الاصل . وقد وردت اعلاه ص ٢٠٦ س ٢

(٥٨) سباق البازي قيدا

منظره. كان قد اتلفه الصياد بما عمل به. والشاهين هو الميزان ادنى شيء يبيعه ويُفسده. وكان هذا البازيار صانعاً مجوداً في اصلاح الشواهين كذاً تخرج من باب المدينة الى الصيد ومعنا جميع آلة الصيد، حتى الشباك والفؤوس (٥٩) والمجارف والكلاليب لما ينجر من الصيد ومعنا الجوارح والبزاة والصقور والشواهين والفهود والكلاب. فاذا خرجنا من المدينة ادار شاهينين فلايز الآن يدوران على الموكب. فاذا خرج احدهما (٦٠) عن القصد تنحج البازيار واشار يده الى النحو الذي يريد فيرجع والله الشاهين من وقته الى ذلك النحو. ورايته وقد ادار شاهيناً على قطعة من الصلاص نازلة في مرج. فلما اخذ الشاهين طبقته دق لها الطبل فطارت واقلب عليها الشاهين ضرب رأس مصلصة قطعه، واخذها ونزل. فدرنا والله على ذلك الرأس ما وجدناه. واثره قد وقع على بعد في الماء لاتنا كذاً بالقرب من النهر

وقال له يوماً غلام يقال له احمد بن مجير (٦١) لم يكن ممن يركب معه «يامولاي، اختهيت» ابصر الصيد. قال «قدّموا لاحمد فرماً يركبه ريخرج معنا». فخرجنا الى ميد الدراج. فطار ذكر وتثر (٦٢) كما جرت العادة، وعلى يد الوالد، رحمه الله، اليحشور. فارسله عليه. فطار مع الارض الارض والحشيش يضرب صدره والدراج قد ارتفع [٦٣] وارتفاعاً كبيراً. فقال له احمد «يامولاي، وحياتك كان يتلاهى (٦٣) به حتى اخذه»

(٥٩) «والعوس» في الاصل. وقد وردت اعلاه من ٣٥ ص ٧ بالصورة نفسها ما

يدل انها كانت تلفظ «الفوس» في العامية

(٦٠) «مرال يدور على الموكب فاذا خرج احدهما» في الاصل

(٦١) «مسر» في الاصل

(٦٢) غير واضحة في الاصل

(٦٣) «شلاها» في الاصل

كلاب صيد

وكان يبيته (٦٤) من بلاد الروم الزغاريّة: كلاب جياذ ذكور واناث • فكانت تتوالد عندنا وميدها الطير طبع فيها

شاهدت منها جروة صغيرة قد خرجت خلف الكلاب التي (٦٥) مع الكلابي • فارسل بازاً على دراجة فبنجت في غلفاء (٦٦) في جرف النهر • فارسلوا الكلاب على الغلفاء لتطير الدراجة، وتلك الجروة واقفة على الجرف • فلما طارت الدراجة وثبتت الجروة خلفها من على ذلك الجرف فوقعت في وسط النهر، وما تعرف الصيد ولا مادت قط

ورأيت كلباً من هذه الزغاريّة وقد بنجت حجلة في الجبل في بنج (٦٧) مصب وقد دخل اليها الكلب وابطأ • ثم سمعنا حشكة في داخل البنج (٦٨) • فقال الوالد، رحمه الله «في البنج (٦٩) وحش وقد قتل الكلب» • ثم بعد ساعة خرج الكلب يجرّ رجل ابن آوى، وكان في البنج (٧٠) قد قتله وجروّه اخبره البنا

وكان الوالد، رحمه الله، سار الى اصبهان (٧١) التي دركاه (٧٢) السلطان ملك شاه، رحمه الله • فحكى لي قال «لما قضيت اشغالي (٧٣)

(٦٤) «بحه» في الاصل

(٦٥) «الذي» في الاصل

(٦٦) «الغلفاء» الارض لم تزرع ففيها كل مغير وكبير من الكلاب • «بنجت»

أو «بنجت» اختبأت أو صاحت في حمرها • وقد وردت تكراراً ادناه ومرّة اعلام

ص ٦٠ س ١٨

(٦٧) «مصب» في الاصل

(٦٨) «النبح» في الاصل

(٦٩) «النبج» في الاصل

(٧٠) «النبج» في الاصل

(٧١) حوالي سنة ١٠٨٥

(٧٢) بلاط • وقد وردت اعلام ص ٤٩ ح ٥٨

(٧٣) كانت مهمته على ما يظهر استنجد ملك شاه على سليمان بن قطلميش

السلجوقي الذي كان قد استولى على ممرّة النعمان وكفرطاب واخذ يتهدّد شيرز

من عند السلطان وارتدت السفرة اردت أستصحب معي جارحاً أتفرج به في طريقي . فجاؤني بيزة ومعها ابن عرس معلّم يُخرج الطيور من البئج (٧٤) . فأخذت مقوراً تصيد الارانب والحبارى . واستصعبت مداراة البيزة في تلك الطريق البعيدة الشاقة

وكان عنده، رحمه الله، من الكلاب السلوقية كلاب جيداً . أرسل يوماً الصقور على الغزلان والارض غبّ مطر ثقيلٌ بالوحل، وانا معه مغبر على بردون لي، وحيلهم قد وقفت من الركض في الطين وبرذوني لخفتي عليه مستظهر، وقد صرعت المقور والكلاب الغزال . فقال لسي ديا أسامة الحقّ الغزال وانزل امسك رجله الى ان تنجي . ففعلت . ووصل هو، رحمه الله، فذبح الغزال ومعه كلبه صفراء جواد، يسمونها الحموية صرعت الغزال - وهي واقفة . واذا قطعة الغزلان التي اصطدنا منها قد عادت عابرة علينا . فأخذ، رحمه الله، قلادة الحموية وخرج يهرول بها حتى رأت الغزلان . وارسلها عليها اصطادت غزالاً اخر

وكان، رحمه الله، مع قتل جسمه وكبر سنّه وانّه لا يزال صائماً يركض نهارة كلّه . وكان لا يتصيد الا على حصان او اكديش جواد، ونحن معه اربعة اولاده تنعب ونكلّ وهو لا يضعف (٧٥) [٦٣ ق] ولا بكلّ ولا يتعب . ولا يقدر وثاقسي ولا صاحب جنب ولا حامل سلاح يقصر في الركض على الصيد

وكان لسي غلام اسمه يوسف معه رمحي ودرقي ويجنب حصاني فلا يركض على الصيد ولا يتبعه، فيحرد الوالد عليه . فعل ذلك مرّة بعد مرّة . فقال له الغلام ديامولاي، ما ينفعك احد من الحاضرين، والعباذ بالله، مثل ابنك هذا . فدعني اكون خلفه بحصانه وملاحه . ان احتجته وجدته . واحسب اني ما انا معكم . فما عاد يلومه ولا ينكر عليه كونه ما يركض على الصيد

(٧٤) «البئج» في الاصل

(٧٥) هذه الكلمة والثلاث قبلها تكاد تكون مسحوة في الاصل

والد أسامة يتوقف عن الصيد ليراقب الأفرنج

ونزل علينا صاحب انطاكية (٧٦) وفاتلنا ورحل عن غير صلح.
فركب الوالد، رحمه الله، الى الصيد واخرهم ما ابدع عن البلد. فبتهتهم
خيلنا. فعادوا عليهم والوالد قد ابدع عن البلد. ووصل الأفرنج الى
البلد والوالد قد طلع على تل سكين (٧٧) يراهم وهم بينه وبين البلد.
وما زال واقفاً على التل الى ان انصرفوا عن البلد وعاد الى الصيد.

الفرق بين الخيول العربية والبراذين

وكان رحمه الله يطرد الجحامير في ارض حصن الجسر (٧٨). فصرع
منها يوماً خمسة او ستة على فرس له دهماء تسمى فرس خرنجي (٧٩)
باسم صاحبها الذي باعها (٨٠). كان اشتراها الوالد منه بثلاثمائة وعشرين
ديناراً. فطرد اخر الجحامير. فوقعت يلها في حفرة مما يحفر
للخنازير فانقلب عليه كسرت ترقوته (٨١). ثم قامت ركضت قدر
عشرين ذراعاً وهو مطروح. ثم عادت وقفت عند رأسه تنحب وتسهل حتى
قام وجاء الغلمان اركبوه. فهذا فعل الخيل العربية

وخرجت معه، رحمه الله، الى نحو الجبل لصيد الجبل. فنزل غلام
له اسم لوطو، رحمه الله، لبعض شغله، ونحن قريب من البلد من بكرة
وتحت برذون. فرأى ظلاً تركته (٨٢) اجفل منه فرسائه وانفلت.
فركضت والله عليه انا وبعض الغلمان من بكرة الى بعد العصر الى ان

(٧٦) تنكرد عام ١١١٠

(٧٧) «سكن» في الاصل. وموقعه الى الجنوب الغربي من شيزر.

ص ٢٠٩

(٧٨) على الناصبي في شيزر

(٧٩) «خرجي» في الاصل

(٨٠) «اباعها» في الاصل

(٨١) «مرقا» في الاصل. قابل اعلاه ص ١١٣ ح ٧

(٨٢) فارسية معناها الكثانة والبصية. «تركاش» في Dozy

الجأناه (٨٣) الى جُتار (٨٤) في بعض الأزار • وقام الجُتاريه
مذوا له الجبل وقبضوه كما يُقبَضُ الوحش • واخذته وعدت والوالد
رحمه الله، واقف في ظاهر البلد ينتظرني ما يصيد ولا ينزل في داره •
فالراذين بالوحش اصبه ماءً في الخيل

شيخ يعترض على صيد الطيور

حكى لي، رحمه الله قال «كنت اخرج الى الصيد ويخرج معي
الرئيس ابو تراب حيدرة (٨٥) بن قطمر (٨٦)، رحمه الله •
(وكان نسخه الذي حفظ عليه القرآن وقرأ عليه العربية) • فكنا اذا وصلنا
موضع الصيد ينزل عن الفرس ويجلس على صخرة يقرأ القرآن ونحن
تصيد حوله • فاذا فرغنا من الصيد ركب ومار معنا • فقال يوماً «يا سيدنا
انا جالس على صخرة واذا [٦٤ و] حجلة قد جاءت وهي تهنكف وهي
معينة الى تلك الصخرة التي انا عليها • دخلت • واذا الباز قد اتى خلفها
وهو بعيد منها • فنزل مقابلها ولؤلؤ يصيح: عينك عينك (٨٧) يا سيدنا •
وجاء وهو يركض وانا اقول: اللهم امتر عليها • فقال: يا سيدنا اين
الحجلة؟ قلت: ما رايت شيئاً، ما جاءت الى هاهنا • وترجل عن فرسه
ودار حول الصخرة وطلع (٨٨) تحتها فرأها • فقال: اقول الحجلة
هاهنا تقول لا! واخذها يا سيدنا كسر رجلها ورمها الى الباز، وقلبي
ينفطع عليها»

صيد الارانب

وكان هذا لولوه رحمه الله، اخبر الناس بالصيد • شاهدته يوماً

(٨٣) «العنباء» في الاصل

(٨٤) المادية ترعى ليلاً ولا ترجع الى مزارها

(٨٥) «الرسي» ابو تراب حيدرة» في الاصل

(٨٦) «قطمر» طبعة دربورغ ص ١٥٨

(٨٧) «عينك عينك» في الاصل

(٨٨) عامية بمعنى فُتس، نظر

وكانت جاءتنا من البريّة ارباب جالية . فكنا نخرج نصطاد منها شيئاً كثيراً . وكانت ارباب صفاراً حمر (٨٩) فناهذته يوماً وقد جلّئ عشره ارباب طعن التسعة بالباله (٩٠) اخذها . ثم جلّئ ارباباً عاشره . فقال له الوالد، رحمه الله «دعها . تقيسوها للكلاب تفرّج عليها» . فاقاموها وارسلوا عليها الكلاب . فسبقت الارباب وسلمت . فقال لولدوه «يامولاي، لو كنت تركنتي طعنتها واخذتها»

وشاهدت يوماً ارباباً قد توارناها وارسلنا عليها الكلاب فانجحرت فسي ارض الحبيّة (٩١) . فدخلت كلبة سوداء خلفها في المبحر . ثم خرجت في الحال وهي تتعوص (٩٢) . ثم وقعت فماتت . فما انصرفنا عنها حتى تفسخت وماتت وتهرأت (٩٣)، وذلك انها لسعتها حيّة في المبحر

باز يصطاد زرزوراً

ومن عجيب ما رأيت من صيد البزاة انني خرجت مع الوالد، رحمه الله، عقيب مطر قد تابع ومنعنا من الركوب ايّاماً . فامسك المطر فخرجنا بالبزاة نريد طير الماء . فرائينا طيوراً مُمرجة في مرج تحت شرف . فتقدّم الوالد ارسل عليها بازاً مقرّص بيت . فطلع مع الطيور اصاد (٩٤) منها ونزل فما رأينا معه شيئاً من الصيد . فنزلنا عنده واذا هو قد اصاد (٩٥) زرزوراً وطبق كفه عليه فما جرحه ولا اذاه . فنزل الباز بار خلعته وهو سالم

(٨٩) كذا في الاصل . وقد وردت ادناه من ٢١٩ ص ٥

(٩٠) «الباله» في الاصل . الباله حربة او سكين طويل وهي تعريب «بالا» التركية

(٩١) «الحبيّة» في الاصل

(٩٢) «سوص» في الاصل

(٩٣) «وتهرت» في الاصل . وقد وردت بهذه الصيغة من ١٨٣ ص ١٦ مما يدل

انها كانت تملط كذلك في العامية

(٩٤) كذا في الاصل وقد وردت اعلاه بهذه الصيغة

(٩٥) كذا في الاصل

صيد الوز والحبارى

ورأيت من الوز السمند [؟] حميةً وججاعة كحمية الرجال وشجاعتهم .
وذلك اتنا ارسنا المقور على رفّ وزّ سمند ودقنا (٩٦) الطبول،
فطار . ولحقت المقور تعلقت بوزة حطتها من بين الوز، ونحن بعيد
متها . فصاحت . فترجل من الوز اليها خمسة سة طيور يضربون (٩٧)
المقور باجنحتها . فلولا نادرهم كانوا خلصوا الوزة وقصموا اجنحة
المقور ينافرهم

[٦٤ ق] وهذا ضد حمية الحبارى . فانها اذا قرب منها المقور نزلت
الى الارض وكيف دار استقبلته بذنبها . فاذا دنا (٩٨) منها سلحت
عليه (٩٩) بلّت ريشه وملأت عينه وطار . وان اخطأته بما تفعله به
اخذها

صيد العيمة

ومن اغرب ما صاده الباز مع الوالد رحمه الله انه كان على يده باز
غطراف فرخ وعلى خليج ماء عيمة (١٠٠)، وهي طير كبير مثل لون
البشوب الا انها اكبر من الكركي - من طرف جناحها الى طرف جناحها
الآخر اربعة عشر سهرا . فجعل الباز يطلبه . فارسله عليه ودق له الطبل .
فطار ودخل فيه الباز اخذه ووقعا في الماء . فكان ذلك سبب سلامة الباز،
والا كان قتله بمنقاره . فرمى غلام من الغلمان نفسه في الماء بشيابه
وعذته مسك العيمة واطلعها . فلما صارت على الارض صار الباز يبصرها

(٩٦) «ودما» في الامل

(٩٧) كذا في الامل بصيغة جمع الذكر السالم هنا وفي ما يلي الى آخر الجملة

(٩٨) «دي» في الامل

(٩٩) قابل C. H. Stockley, *Shikar* (لندن ١٩٢٨) في *Times*

Literary Supplement ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨

(١٠٠) طائر ماء لم اعثر على وصف له في كتب الحيوان

ويصبح ويطير عنها، وما عاد يعرض لها. ولا رأيت بازاً سوى ذلك امطادها. فانها كما قال ابو العلاء بن سليمان (١٠١) في العنقاء: «أرى العنقاء تكبر أن تُصاد»

سبع يخاف اجراس الباز

وكان الوالد، رحمه الله، يمضي الى حصن الجسر وهو كثير الصيد فيقيم (١٠٢) فيه اياماً. ونحن معه نصيد الحجل والدراج وطير الماء واليخامير والفزلان والارانب. فمضى يوماً اليه وركبنا الى صيد الدراج فارسل بازاً يحمله ويصلحه مملوك اسمه نقولا (١٠٣) على دراجة ومضى نقولا يركض وراءه وقد بنج الدراج في غلفاء. واذا صياح نقولا قد ملأ الاساع وعاد يركض. قلنا «مالك؟» قال «السبع خرج من الغلفاء التي وقع فيها الدراج فخلّيت الباز وانهزمت». واذا السبع ايضاً ذليل مثل نقولا لمّا سمع اجراس الباز خرج من الغلفاء منهزماً الى الغاب

صيد السمك

وكنا نصيّد ونعود ننزل على بوشير (١٠٤)، نهر صغير بالقرب من الحصن، وننقذ نحضر صيادي السمك فنرى منهم العجب. فيهم من معه قصبة في راسها حربة لها جبّة مثل الخشوت. ولها في الجبّة ثلاث شعب حديد طول كلّ شعبة ذراع. وفي رأس القصبة خيط طويل مشدود الى يده يقف على جرف النهر وهو ضيق المدى ويصر السمكة فيزرقها بتلك القصبة التي فيها الحديد فما يخطئها (١٠٥). ثم يجذبها بذلك الخيط فتطلع والسمكة فيها. واخر من الصيادين معه عود قدر قبضة فيه شوكة

(١٠١) البرمّي سنة ٩٧٣ - ١٠٥٧ م

(١٠٢) «مسم» في الاصل

(١٠٣) «نقولا» هنا وليسا يلي

(١٠٤) «بوشير» في الاصل

(١٠٥) «سقطها» في الاصل

حديد وفي طرفه الآخر خيط مدود الى يده . ينزل يسبح في الماء ويصير السمكة يخطفها بتلك الشوكة ويخلّيها فيها ويطلع ويجذبها بذلك الخيط يُطلع الشوكة والسمكة . [٦٥ و] وآخر ينزل يسبح ويمرّ يده تحت الشجر الذي في الشطوط من الصفاف على السمكة حتى يدخل اصابعه في خواشيم السمكة، وهي لا تحرك ولا تنفر، ويأخذها ويطلع . فكانت تكون فرجتنا عليهم كفرجتنا على الصيد باليزاة

غنائم البازيار

وتوالى المطر والهواء علينا ايّاماً ونحن في حصن الجسر . ثم امسك المطر لحظة . فجاءنا غنائم البازيار وقال للوالد «اليزاة جاع جيّدة للصيد . وقد طابت وكفت المطر . ما تركب؟» قال «بلى» . فركبنا فما كان باكثر من ان خرجنا الى الصحراء وتفتّحت ابواب السماء بالمطر . فقلنا لغنائم «انت زعمت انها طابت وصحت حتى اخرجتنا في هذا المطر! قال «ما كان لكم عيون تبصر الغيم ودلائل المطر؟ كتم قلم لي تكذب في لحيتك ما هي طيبة ولا صاحبة»

وكان هذا غنائم صانعاً جيّداً (١٠٦) في اصلاح الشواهين واليزاة خيراً (١٠٧) بالجوارح، ظريف الحديث طيب العشرة، قد رأى من الجوارح ما يُعرف وما لا يُعرف

خرجنا يوماً الى الصيد من حصن شيزر فرأبنا عند الرحا الجلالتي (١٠٨) شيئاً واذا كركي مطروح على الارض . فنزل غلام قلبه واذا هو ميت وهو حارّ ما برد بعد . فرأ غنائم قال «هذا قد اصطاده اللزيق» (١٠٩).

(١٠٦) «صاح حده» في الاصل

(١٠٧) «خبير» في الاصل

(١٠٨) «الجلالي» في الاصل

(١٠٩) ولعلها «اللدّيق» في الاصل وهو ضرب من البازي لم اعر على ذكر له في

غير هذا الكتاب

فَنَسَّ تحت جناحه واذا جانب الكركيّ مثقوب وقد أكل قلبه • فقال غنائم
«هذا جارح مثل العوسق» (١١٠) يلحق الكركيّ يلصق تحت جناحه يثقب
اضلاعه ويأكل قلبه»

وقضى الله سبحانه انني صرت الى خدمة انا بك زنكي (١١١)، رحمه
الله • فجاءه جارح مثل العوسق احمر المنسر والرجلين جفون عينية حمر
وهو من احسن الجوارح • فقالوا «هذا اللزيق» • ما بقي عنده الا ايثاماً
قلائل وقرض السيور بمنسره وطار

صيد حمر الوحش

وخرج الوالد رحمه الله يوماً الى ميد الغزلان، وانا معه صغير •
فوصل وادي القناطر (١١٢) واذا فيه عييد حرامية يقطعون الطريق •
فاخذهم وكفهم وسلمهم الى قوم من غلمانهم يوصلونهم الى الحبس بشيزر •
فاخذت انا خساً (١١٣) من بعضهم وسرنا في الصيد، واذا عانة حمر
وحش • فقلت للوالد «يامولاي، ما ابصرت حمر الوحش قبل اليوم» •
عن امرك اركض ابصرهم» • فقال «افعل» • وتحتي فرس ثقراء من اجود
الخيال • فركضت وفي يدي ذلك الخشت الذي اخذته من الحرامية •
فصرت وسط العانة فافردت منها حماراً وصرت اطعنه بذلك الخشت فلا
يعمل فيه شيئاً [٦٥ ق] لضعف يدي وقلته مضاء الحربة • فرددت الحمار
حتى رددته الى اصحابي • فاخذوه • وعجب الوالد ومن معه من عدو
تلك الفرس

فقدى الله سبحانه انني خرجت يوماً انفرج على نهر شيزر (١١٤) وهي
تحتي ومعها مفرى • يُنشد مرة ويقرا مرة ويفني مرة • فنزلت تحت

(١١٠) كذلك لم اعثر على ذكر لهذا الطائر في غير هذا الموضع

(١١١) حوالي عام ١١٣٠

(١١٢) «القناطر» في الاصل

(١١٣) «خست» في الاصل

(١١٤) العامي

شجرة ودفعت الفرس الى الغلام فعمل فيها شكالاً (١١٥)، وكان الى جانب النهر. ففترت ووقعت في النهر على جنبها. وكلما ارادت تقوم تعود تقع في الماء لاجل الشكال. وكان الغلام صغيراً (١١٦) لا يقدر على تخليصها، ونحن لا نعلم ولا ندري. فلما قاربت الموت صاح بنا فجنأنا وهي فسي اخر رمق. ففطعنا شكالها واطلعناها فماتت. وما كان الماء يصل الى عضدها الذي غرقت فيه، وانما الشكال اهلكها

يخاف على البازي من الفرق

وخرج يوماً (١١٧) الوالد، رحمه الله، الى الصيد. وخرج معه امير يقال له الصمصام من اصحاب فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس على سبيل الخدمة. وهو رجل قليل المخبرة بالصيد. فارسل الوالد بازاً على طيور ماء فأخذ منها طيراً ووقع في وسط النهر. فجعل الصمصام يدقّ يبدأ على يد ويقول «لا حول ولا قوة الا بالله» (١١٨). كيف كان خروجي في هذا اليوم؟ فقلت له «ياصمصام، تخاف على الباز ان يغرق؟» قال «نعم قد غرق». بطئة هو حتى يقع في الماء ولا يغرق؟ فضحكت وقلت «الساعة يطلع». فأخذ الباز رأس الطير وسبح وهو معه حتى طلع به. فبقي الصمصام يتعجب من ذلك ويسبح الله سبحانه ويحمده على ملامة الباز

لكل حيوان اجله

ومنايا الحيوان، مختلفة الالوان. قد كان الوالد، رحمه الله، ارسل زُرْقاً ابيض على دراجة. ف وقعت الدراجة في غلفاء ودخل معها الزرّاق.

(١١٥) «شكال» في الامل

(١١٦) «مصر» في الامل

(١١٧) حوالي عام ١١٠٩

(١١٨) القرآن ٣٧:١٨

وفي الغلفاء ابن آوى اخذ الزرق قطع رأسه . وكان من خيار الجوارح
وأفرها

ورأيت من منايا الجوارح وقد ركب يوماً وبين يدي غلام لي معه
باشق . فرماه على عصافير ، فأخذ عصفوراً . وجاء الغلام ذبيح (١١٩)
العصفور في رجل الباشق . فنفض الباشق رأسه وتقيأ دماً ووقع ميتاً .
والعصفور في تلفه مذبح (١٢٠) . فبجان مقدّر الآجال

واجتزت يوماً من باب فتحته في الحصن لصارة كانت هناك ، ومعى
زربطانة . فرأيت عصفوراً على حائط أنا واقف تحته ، فرمته بندقة
فاخطأته . وطار العصفور وعيني إلى [٦٦ و] البندقة . فنزلت مع
الحائط وقد أخرج عصفور (١٢١) رأسه من ثقب في الحائط فوقعت البندقة
على رأسه ، فقتلته . ووقع بين يدي فذبحته . وما كان سيده عن قصد
ولا اعتماد

وارسل ، رحمه الله ، يوماً الباز على الأرنب قامت لنا في زور (١٢٢) كبير
الشوك ، فأخذها وانفطرت منه . فجلس على الأرض . وراحت الأرنب .
فركضت أنا فرساً دهماً تحتي من جياذ الخيل لأرد الأرنب . فوقع يد
الفرس في حفرة فاتقلبت علي . فملأت يدي ووجهي من ذلك الشوك
وانفسخت رجلي الفرس . ثم انتقل الباز من الأرض بعد ما أهدت
الأرنب لحقها اصاها (١٢٣) . فكانه كان قصده إلتلاف (١٢٤) فرسي
واذيتي بالوقوع في (١٢٥) الشوك

(١١٩) «دمج» طيبة دربورغ ص ١٦٤

(١٢٠) «ملغ مذبح» في الأصل

(١٢١) «عصفورا» في الأصل

(١٢٢) يستعملها المؤلف بمعنى الأجمة وكلمة «ازوار»

(١٢٣) كذا في الأصل

(١٢٤) «لأنه» أو «لأنه» في الأصل

(١٢٥) غير واضحة في الأصل

صيد الخنزير

فاصحنا يوماً في أول يوم من رجب صيماً. فقلت للوالد، رحمه الله «اشتهي اخرج اتشاغل بالصيد عن الصيام». قال «اخرج». فخرجت انا واخي بهاء الدولة ابو المغيث متقذ، رحمه الله، ومعنا بعض البزاة الى الازوار، فدخلنا في سوس. فقام لنا خنزير ذكر قطعني اخي جرحه ودخل ذلك السوس. فقال اخي «الساعة يكرمه الجرح ويخرج». استقبله اطعنه اقلته. قلت «لا تفعل». يضرب فمك يقتلها». نحن نتحدث والخنزير خرج يريد زوراً اخر. فالتقاء اخي طعنه في سنامه انكسرت فيه عالية القنطارية التي طعنه بها ودخل تحت فرس شعراء تحته (١٢٦) عُسْرَاءٌ مَجْجَلَةٌ ضَلَّاهُ ضَرْباً رَمَاهَا وَرَمَاهُ. فَأَمَّا الْفَرَسُ فَأَنْفَسَتْ فَخَذُّهَا وَتَلَقَّتْ. وَأَمَّا هُوَ فَأَنْفَكَتْ أَصْبَحَ الْخَنْصَرُ وَأَنْكَسَرَ خَاتَمُهُ

وركبتُ انا خلف الخنزير. فدخل في سوس مضطرب وخناث فيه باقورة نائمة ما اراها من ذلك الغاب. فقام منها ثور (١٢٧) في صدر حصاني فندمه. فوقعت ووقع الحصان وانكسر لجامه. وقمت اخذت الرمح وركبت ولحقته وقد رمى نفسه في النهر. فوقعت على جرف النهر وزرقت بالرمح فوقعت فيه وانكسر منه قدر ذراعين وقيت الحربة، وكسر الرمح فيه. وسح الى ناحية النهر. فصمنا يقوم من ذلك الجانب يضربون لبناً لعمارة بيوت في قرية لعمري. فجاءوا ووقفوا عليه وهو تحت جرف لا يقدر يطلع منه. فجعلوا يرمونه بالحجارة الكبار حتى قتلوه. وقلت [٦٦ ق] لركابي لي «انزل اليه». فقلع عدته وتحزني (١٢٨) واخذ سيفه وسبح اليه تمس قتلته. وسحب برجله واتى به وهو يقول «عزفكم الله بركات صيام رجب! استفتحناه بنجس الخنازير» (١٢٩)

(١٢٦) «معه» في الأصل. «مَجْجَلَةٌ» طبعة دربورغ ص ١٦٥

(١٢٧) «وره» في الأصل

(١٢٨) «وسرا» في الأصل

(١٢٩) قابل القرآن ١٤٦:٦

ولو كان للخزير ظفر وناب مثل الابد كان اشدّ بائساً من الابد.
فلقد رأيت منها خنزيرة قد اقتناها عن جرّيات لها وواحد منها ضرب
حافر فرس غلام معي بسمه وهو في قدّ جرو القط . فاخذ الغلام من
تركّشه نشأ به ومال اليه طعنه بها، ورفعه في النشابة . فصجبت من قتاله
وضربه حافراً لفرس وهو بحيث يُحمّل في سهم نشاب

صيد الحجل

كان من عجائب العيد اننا كنّا نخرج الى الجبل الى صيد الحجل ومعنا
عشرة بزاة تصيّد بها النهار كلّها، والبارياريّة مفرقة في الجبل ومع كل
بازيار فارسان (١٣٠) ثلاثة من الممالك، ومعنا كلايزيان اسم الواحد
بطرس والاخر زرزور بادية (١٣١) وكلّما ارسل البازيار على حجلة
وينجت قد صاحوا «يا بطرس!» يهدو اليهم مثل الهجين . كذلك النهار
كلّهم يهدو من جبل الى جبل هو ورفيقه . فاذا اشبعنا البزاة ورجعنا اخذ
بطرس قلاعة وعدا خلف واحد من الممالك ضربه بها، اخذ الغلام قلاعة
وضرب بطرس . فلا يزال يطارد الغلمان وهم ركاب وهو راجل ويراميه
بالقلاع من الجبل الى باب المدينة ما كأنه كان نهاره كلّهم يهدو من
جبل الى جبل

الكلاب الزغارية

ومن عجائب الكلاب الزغارية انها ما تأكل الطيور ولا تأكل منها
الا رؤوسها (١٣٢) وارجلها التي ما عليها لحم والعظام التي قد اكلت
البزاة لحمها

وكان للوالد، رحمه الله، كلبة سوداء زغاريّة يضع الغلمان بالليل على

(١٣٠) «فارس» في الاصل

(١٣١) «بادية» في الاصل

(١٣٢) «رؤوسها» في الاصل

رأسها السراج ويقعدون يلعبون بالشرنج وهي لا تتحرك ولا تزول حتى عشت عينها • وكان الوالد رحمه الله يحرد على الغلمان ويقول «قد اعيتم هذه الكلبة!» ولا يتهنون عنها

واهدى الأمير شهاب الدين مالك (١٣٣) ابن سالم بن مالك صاحب القلعة (١٣٤) للوالد كلبة عروفاً (١٣٥) تُرسل تحت المقور على الغزلان فكثُر نرى منها العجب

الصيد بموجب نظام

وصيدُ المقور بالترتيب • يُرسل في الاول [٦٧ و] المقدم فيعلق بأذن غزال يضربه • ويُرسل العون بعده فيضرب غزالاً آخر • ويُرسل العون الآخر فيفعل كذلك • ويُرسل الرابع كذلك • فيضرب كل مقر منها على غزال • فيأخذ المقدم اذن غزال ويُفردّه من الغزلان، فترجع الصقورُ جميعها اليه وترك تلك الغزلان التي كانت تضربها • وهذه الكلبة تحت الصقور لا تلتفت الى شيء من الغزلان الا ما عليه الصقور • فيُتفق ان يظهر العقاب فتحلّ الصقور عن الغزال، فيمضي الغزال، وتدور الصقور • فكثُر نرى تلك الكلبة قد رجعت عن الغزلان وقت رجوع الصقور، وهي تدور تحت الصقور في الارض كما تدور الصقور في الهواء حلقة • ولا تزال تدور تحتها حتى تنزل الصقور الى الدعوى • فيحينئذ تقف وتمشي خلف الخيل

صيد الغزلان والدراج

وكان بين شهاب الدين مالك وبين الوالد رحمهما الله، مودة ومواسلة بالمكاتبات والرسل • فنفذ اليه يوماً يقول له «خرجت الى صيد الغزلان فاصطدنا منها ثلاثة الاف خشف في يوم» • وذلك ان الغزلان عندهم في

(١٣٣) «ملك» هنا وفيما يلي

(١٣٤) قلعة جبر

(١٣٥) «عروف» في الاصل

ارضى القلعة كيرة . وم يخرجون وقت ولاد الغزلان خيالة ورجالة
 فيأخفون (١٣٦) منها ما قد ولد تلك الليلة وقبلها ليلة وليلتين وثلاث
 يغشونها كما يغشئ الطيب والعشب
 والدراج عندهم كبير في الأزوار على الفرات . واذا شق جوف
 الدراجة وأزيل ما فيه وحشي بالشعر لا تغير رائحتها أبداً كثيرة
 ورأيت يوماً دراجة قد شق جوفها وأخرجت فاصتها وفيها حية قد
 أكلتها نحو من شبر
 وقتنا مرة ونحن في الميد حية خرج من جوفها حية قد بلغتها مريحة
 دونها يسير . ففي طباع جميع الحيوان اعتداء القوي على الضعيف
 والظلم من جبر الخوس فان تجد ذا عيلة فليسته لا يتظلم

الخاتمة

حصر ذكر الميد (١٣٧) وقد نهته بيمين من من عمري غير ممكن
 ولا استطاع . وتضيع الاوقات في الخرافات، من اعظم عوارض الاوقات .
 وانا (١٣٨) [٢٧ ق] استغفر الله تعالى من تضيع الصبابة الباقية من العمر،
 في غير طاعة واكساب نواب واجر . وهو تبارك وتعالى يغفر الخطيئة،
 ويجزل من رحمة السليمة . فهو الكريم الذي لا يخب آمله، ولا يرده
 ماثله

(١٣٦) «ماجدوا في الامل

(١٣٧) او «الميد على الهامش

(١٣٨) مكررة

آخر الكتاب

آخر الكتاب والحمد لله رب العالمين (١)، وصلى الله على سيدنا محمد
 نبيه وعلى آله الطاهرين اجمعين، وسلم تسليمًا، وحسبنا الله ونعم الوكيل
 وكان في آخر الكتاب ما مثاله:

قرأت هذا الكتاب (٢) من أوله إلى آخره فسي عدة مجالس على مولاي
 حدي الأمير الاجل العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين (٣)
 جليس الملوك والسلطين حجة العرب خالصة أمير المؤمنين،
 ادام الله معادته . ومأثته ان يبيزنني روايته عنه،
 فاجابني الى ذلك . ومطر خطه الكريم .
 وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر
 سنة عشر (٤) وستمائة (٥) .
 صحيح ذلك . وكتب
 جدّه مرعف بن
 اسامة بن
 منقذ،
 حامداً
 ومصلحاً

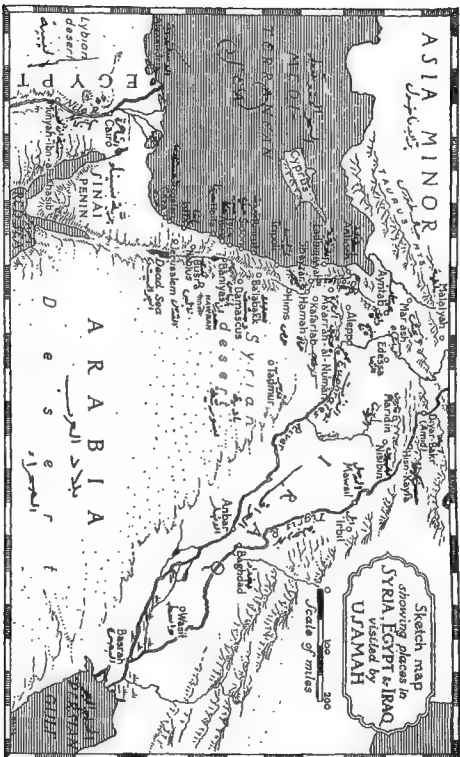
(١) «الطمس» في الاصل

(٢) الكتاب الذي نقل عنه الناسخ هذه المخطوطة

(٣) مرعف بن اسامة وهو على ما يظهر جد صاحب الكتاب الاملي المنقولة عنه
 هذه المخطوطة

(٤) «عسره» في الاصل

(٥) ٤ تموز سنة ١٢١٣



سورية ومصر والعراق والأماكن التي زارها أسامة وورث في كتاب الجياد

فهرست الكتاب (١)

آدم ٣٦، ٧٩، ١٩٠	بنو إسرائيل ١٩٤
آدم ٨٣، ٨٤، ١٥٥	إسعد ١٧٠
الآمر بإحكام الله ٢٠٩، ٧٠٨	أسفونا ٩٥
بنو آبي ١٢	الاسكندرية ٦
أتابك أنظر عماد الدين زكي، أيضاً	الاسكندرية ٢٤
المسند كين	الاسلام ٣٧، ٨٢، ١١٥
الأنراك ١٥، ٢٥، ٢٦، ٣١، ٧٥، ٩٣	إسبل الكبي ٧٣
١٤٧، ١٢٨	الاساعيلية ٧٧ - ٧٩، ١١٦، ١٢٣، ١٦٢، ١٥٩
أحمد بن مجير ٢١٠	أموان ٣٤
أحمد بن عبد بن أحمد ١٤٧	إصبيان ٤٩، ٥١، ٢١١
ابن الأحمر ٨٤	أفامية ٤٠، ٤٧، ٤٨، ٥٢، ٥٧، ٦٧ -
آدم، مير ١١٠	٦٩، ٨٧، ٩٠، ١٢٠، ١٢٩، ١٤٨
أذنة ٢٠١	١٥٢، ١٥١
إربل ٨٧	إقتخار المولة أبو الفوح بن عمرو
أرمين ١٠٣، ١٠٦، ٢٠١	١١٨، ١١٧
أسامة بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ ٩، ١٠، ١٦، ٢٦، ٢٧، ٣٤، ٤٠، ٤٦، ٥٧، ٨١، ٩١، ٩٣، ٩٩، ١٠٣، ١٠٦، ١٠٩، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٤، ١٤٣، ١٤٥	الأفرنج (الفرنج) ١، ٢، ١٠، ١٢، ١٤ - ١٨، ٢٧ - ٢٩، ٣٤، ٤٠ - ٤٥، ٤٧ - ٥١، ٥٥ - ٥٩، ٦١ - ٦٥، ٦٩، ٧١، ٧٣، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨١، ٨٥، ٨٦، ٩٠ - ٩٣، ٩٥ - ٩٧، ١٠٣، ١١٠، ١١١، ١١٤ - ١١٨، ١٢٠ - ١٢٢، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٢ - ١٣٥، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٣، ١٤٤ - ١٤٦، ١٥٢، ١٥٤، ١٦٢
١٥٣، ١٥٤، ١٦٠، ١٦٩، ٢١٢	
إسبالار أنظر برسقي بن برسقي، أيضاً مودود، وخطنخ	
أمد الدين شيركوه ١٤	
أمد القائد ١٤٥	

(١) لقد شارك في وضع هذا الفهرس وفي سقيج مسودات الكتاب الدكتور كوتي زريق الامتاذ في جامعة بيروت الاميركية واحد تلامذة پرستون سابقاً

- ١٦٣، ١٦١، ١٦٥، ٢٠٠، ٢٠٩
 ٢١٣
 الأفرنجي ٤٩، ٥٠، ٥٧، ٧٠، ٧٥، ٧٧، ٨٣، ٩١، ٩٤، ٩٦، ٩٧
 ١١٠، ١١١، ١٢٢، ١٢٨ - ١٣٠
 ١٣٢، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٨ - ١٤٠
 ١٤٩، ١٥٠، ١٦٣
 الأفضل بن أمير الجيوش ٦
 الأفضل رضوان بن الوكشني أنظر
 رضوان بن الوكشني
 الأكراد ٣٧، ٤٧، ٤٩، ٩٥
 الأمير السيد الشريف ٧٥، ٧٦
 امين الدولة طغتكين، أنظر
 طغتكين، أتابك
 امين الملك، امثاذ ٢٢
 الأنبار ٧٢، ١٧٣
 الأنصار ٤٩
 انطاكية ٤٠، ٤٣، ٥٧، ٦١، ٦٤، ٦٦
 - ٧٠، ٧٥، ٧٦، ٨٧، ٩٦، ١١٤
 ١١٥، ١١٩ - ١٢٢، ١٣٤، ١٤٠
 ٢١٣
 أنطولوجوس ٢٠١
 الأوحده، اخو رضوان ٣٠
 أوزبه، امير الجيوش ٧٣، ٧٦، ٧٧
 إيلغازي بن أرشك أنظر نجم الدين
 إيلغازي بن أرشك
 باب القاهرة ١٩، ٢٥
 باب النصر ٢٥
 الباطني ١١٦، ١٦٠
 الباطنية ١٢٥، ١٦٠، ١٦٢
 بايناس ٦٥، ٨٦، ١٩٣
 بدر، الكردي ١١٦
 بدوان، ابن صاحب قلعة جبر ١٣٠
 بدروها Pedrovant ٦٧
 بدكيسي ٨٨، ٨٩
 بدوي ٨٠، ٨١
 براق الزبيدي ١٥
 برج خربة ٤٨
 برج، قرية ٧٨
 البرجانية bourgeoisie ١١٥، ١٤١
 برهه، امرأة حطية ١٨٤
 برمسق بن برمسق، إسبالار ٧٣، ٧٥
 ٧٦، ٩٠، ١٢٠
 برشك، أمير تركي ١٥
 البرقية ٧٣
 برناد Bernard ١٣٣
 برهان الدين البلخي ١٤٠
 بريكة، ملوكة ١٢٢، ١٢٣
 بيزوك، خواجا ١٧٤، ١٧٥
 بستكين غرزة ١٢٦
 بيشر بن كريم بن بشر ١
 بيشلا ١٩٩
 بصرى ١٤
 بطرس، كلابي ٢٢٣
 البطرك (William بطريك اورشليم)
 ٨٦
 بليك ٣٠، ٧٩، ٩٩، ١٥٤
 بغداد ١٥٧، ١٧٨، ١٨٢
 بغدوين Baldwin III ٣٤
 بغدوين البرونسي Baldwin II
 ٨١، ١٠٣، ١١٨ - ١٢١
 ابو البقي ٢١
 بغيه بن الأصمغير ١٢٣
 بكتسر، الحاجب الكبير ٧٣
 ابو بكر الدغبيسي ١٥٦

- ابو بكر الصديق ٣٧
 البلاط ٤٠
 بلاطشس ١١٩
 سينييس ٢٦، ١٨
 البلد أنظر شيزر
 بندر قنين ١٦٣، ١٦٤
 بهاء الدولة ابو الخيثم ١٠١، ١٠٤، ١٠٤
 ١٠٦، ٢٢٢
 بهاء الدين الشريف السيد ١٩٦
 بر شير ٢١٧
 ابن البواب ٢٠٧
 بيت جبريل ١٦، ١٧، ٨٠
 البيت المقدس (بيت المقدس) ٧٨
 ١١٨، ١١٩، ١٢١، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٩
 تاج الأمراء ابو المتوكل مقلد ٢٠٨
 تاج الدولة تئس ٥٤
 تادرس بن الصفسي Theodoros
 Sophianos ١٤٠
 تلس ٧٠
 تركبولي Turcopole ٥١
 التركمان ٣١، ٤٦، ١٠٤، ١٢٠
 تركمانى ١٠٤
 تركسي ٧١، ٧٢، ٧٥، ١٠٠، ١٢٧، ١٥١
 تروس، ارمني ٢٠١
 تل" باشر ١١٤
 تل الترمسي ٦٩
 تل التلول ١٠٦، ١٠٦
 تل سكتين ٢١٣
 تل مجاهد ٩٨
 تل ملح ٥٥، ٥٧
 تيرك ٧٣
 تيه بني اسرائيل ١٤
 ثابت، طبيب نهراني ١٣٣
 ثيوفيل (توفيل) ٧٢، ١٢٨
 الجامع الأقصر ٣٢
 جامع ركابي ١١٧
 الجامعي، سيف ١١٧
 جان كومنينوس Comnenus ٢
 جبريل بن العافظ ٢١
 جبيلة ٩٦
 جندام ٢٤
 الجزيرة [المراني] ٥٩
 الجزيرة، في العاصي ٦٢
 جزيرة، دليل ١٣
 الجسر (جسر شيزر) ١٠٤، ١٠٥، ١٤٨، ١٤٩
 جشار ٢١٤
 جبر (أنظر قلعة جبر)
 جسر ٢٤
 الجفر ١١
 الجلالى، نهر ٦٣
 جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري
 ابن ملحد كين ٨١، ٩٩
 جسة الشيسري ٣٦، ٣٧، ٤٧، ٥٧ -
 ٥٩، ٦١، ٦٢، ٦٤، ٦٧، ٦٨
 ابن جيتي ٢٠٨
 الجنوية ١٩٥
 جواد، رئيس ١٦٠
 جوملين ٩٠
 الجيزة ٣٢
 ابو الجيش، كردي ١٥٠

- الحويجة ٦، ٧ حنة عارا ١٩٩
 حماسة ٣٦، ٣٩، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٦٢
 حمزة ٧٨، ٧٩، ٨٥، ٨٦، ٩٠، ٩٨
 ١٠٠، ١٠١، ١١٥، ١١٦، ١٤٤
 ١٥٤، ١٧١، ١٧٢، ١٩٦، ٢٠٥
 حمّادات، كردي ٤٩ - ٥١
 حمص ٤٤، ٧٩، ٩٧، ١٠١، ١٠٣
 ١٤٢، ١٤٣، ١٥٤، ١٥٧
 حنّاك ١١٠، ١١١
 بنو حنيفة ٣٧
 الحوف ٨٧
 حيدرة بن قطرمة، ابو تراب ٢١٤
 حيزان ٩٤
 حيفا ١١١
 حاتون بنت تاج الدولة تثنى ١٤٨
 الخراسانية ٧٣، ٧٤، ١٥٦، ١٥٨
 خُرّجي، فرس ٢١٣
 الخضر بن مسلم بن قاسم (قسم؟) الحوي،
 ابو التسم ١٧٠، ١٧٢
 خُطْلُخ، إسماعيل ٦٣
 خُطْلُخ، ملوك ١١٣
 حنّاجة ٦٧
 حلاط ٨٨، ٨٩
 خبرخان بن قزاجا ١٠١، ١٠٣
 دار الشابورة ٢٠
 دار التقي ٣١
 داريتا ٩٩
 دابث ٧٥، ٧٧، ١١٩
 الداو ١٣٤، ١٣٥ Templars
 دُبّيس ١٤٢
 دخله ١٩٦
 حارثة النخيري ٦٧، ٤٧
 الحافظ لدين الله خليفة ٦، ٧، ٢٢،
 ٢٩ - ٣٢، ٨٠، ١٩٣، ١٩٤
 الحقة ٣٤
 الحبيبة ٢١٥
 حُسام الدولة بن دلياج ٨٩
 حُسام الدولة مسافر ٤٣
 حُسام الدين تيرماش بن إلفازي بن
 أرتق ١٠٣، ١٢٠، ١٥٥
 حُسام الملك، ابن عم عباس ٢٩
 حُسام الملك بن عباس ٢٧
 حُسي (حُسماء) ١٢
 حسن الزاهد ٩٢
 ابو الحسن علي أنظر مديد الملك ابو
 الحسن علي بن مقلد بن نصر بن
 منقذ
 حُسنون، كردي ٦٦
 الحصن أنظر شيزر
 حصن البابعة ١٥٦
 حصن ابو فبيس ١١٧، ١١٨
 حصن الجسر ٨٤، ٩٠، ١٤٦، ١٤٧،
 ١٤٩، ٢١٣، ٢١٧، ٢١٨
 حصن الخربة ٧٨، ٧٩
 حصن المقر ١٥٤ - ١٥٦
 حصن كيفا ١٧١، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٧،
 ١٩٥
 حُضر الطوط ٦٢، ٦٣
 حلب ٣١، ٥٣، ٥٤، ٧٦، ٧٧، ٩٣،
 ١٤٥، ١٥٥، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤
 ١٩٦، ١٩٧
 الحليثون ٧٦، ١١١، ١٢٩

- دوما ٢٤
الدروب ٢٠١
ابن الدقيق Benedeit ١ ٢
دلاص ٨
دمشق ٤، ١٤، ١٦، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٦٩، ٧٠، ٨٢، ٩٣، ٩٥
٩٧ - ٩٩، ١٠٦، ١١٤، ١١٥
١٢٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٠ - ١٥٢
١٥٤، ١٦٠، ١٧٨، ١٩٠، ١٩٢
١٩٥
دمياط ٣٤
دمياط ١٧٣
دنكري Tancred ٦٨ - ٧١
٩٦
ديار بكر ٨٧، ٨٨، ١٩٠
ذخيرة الدولة ابو القنا خيطام ٥٩
زرور بادية ٢٢٣
زرما اليامة ١٢٧
زريق ٢٤
زلي ٧٠
الزمر كل ٤٣، ٤٤
زنكي (نظر عماد الدين زنكي)
زنكي بن مرسق ٧٣
زهر الدولة بختيار القرمي ٨٦، ٨٧
زيد الجرائمي ٥٢
زين الدين اسميل بن عمر بن بختيار،
السلار ٤٤
زين الدين علي كوحك ١٥٧، ١٧٧،
١٧٨
مايق يوثاب بن محمود بن مالح ١٠٥
مايه بن قتيب، كلاي ٤٨
درما ٢٤
الدروب ٢٠١
ابن الدقيق Benedeit ١ ٢
دلاص ٨
دمشق ٤، ١٤، ١٦، ٢٤، ٢٨، ٣٠، ٣١، ٦٩، ٧٠، ٨٢، ٩٣، ٩٥
٩٧ - ٩٩، ١٠٦، ١١٤، ١١٥
١٢٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٠ - ١٥٢
١٥٤، ١٦٠، ١٧٨، ١٩٠، ١٩٢
١٩٥
دمياط ٣٤
دمياط ١٧٣
دنكري Tancred ٦٨ - ٧١
٩٦
ديار بكر ٨٧، ٨٨، ١٩٠
ذخيرة الدولة ابو القنا خيطام ٥٩
راية القراطة (القراطة؟) ٦٤، ١٤٤
الراشد بن المسترشد، خليفة ١
رافع بن سوتكين؟ ٤٧
رافع الكلاي ٤٦
راؤول، أمير فرنجي ١٣١
ريبة ٢٨
بنو ريبة، طايون ٢٧
رجب الجب ١٠١
الرجبة ٧٣
رغوان بن تاج الدولة تمش ٥٣ - ٥٥
رغوان بن الوكشي ٢٩ - ٣٢
بنو الرعام ١٠٨
رعيان ٣٥
رفنيته ٤٦، ٧٨، ٨٧، ١٢٩
رفول، بنت ابي العيش (الحبيش؟)

- سالم بن قانت، أبو المبرجى ١٤٥
 سالم، حمّامى ١٣٦
 سالم المجازى ١٢٧
 سعيد الملك أبو الحسن علي بن مقلّد بن
 نصر بن منقذ ٥٤، ١٧٥، ١٨٤
 ١٨٦
 سراج الدين أبو طاهر إبراهيم بن
 الحسين بن إبراهيم ١٧٠
 السرداني، كونت Cerdagne ٥٠
 سهرمك بن أبي منصور ٣٦، ٣٧، ٦٢
 ١٣٠
 سعادته الشيباني ١٠٦
 سعيد الدولة، خادم ٢٠
 ابن السلار (أظفر سيف الدين أبو الحسن
 علي بن السلار
 الساوة ١٨٢
 صفان الدولة حبيب بن حامد بن حيد ١٢٤
 سينيس ٢٤
 سنجار ١٩٢
 سنقر د راز ٧٣
 سهري، الرئيس ٧٨
 سهل بن أبي غانم الكردي ٦٧
 السودان ٨ - ٨٠، ١٠، ٢٩، ٣٢
 سوق السيوفيين ٢٠
 صومان (صومان) ٤٤
 سونج غلام ١٥٢
 السويدية ١٢١
 سويقة أمير الجيوش ٧
 ميبويه ٢٠٧
 سيف الدولة خلف بن ملاعب الأخشي
 ٥٢، ٥٥، ١٢٧، ١٢٨
 سيف الدولة زنكي بن قرأجا ١٨١
 سيف الدين أبو الحسن علي بن السلار،
- الملك العادل ٧ - ١٠، ١٣، ١٧،
 ١٨، ٢٠
 سيف الدين سوار ١٤٤، ١٤٤
 الشاروف ١٠١
 الشام ٢٣، ٢٤، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٥٧،
 ٨٧، ٩٠، ٩٤، ٩٥، ١١٥، ١٥٠
 ١٦١
 الشاميون ٣٣
 شاهنشاه ١٨١
 شمس الخوام آتوتاش ٧٨
 شمس ١٠٥
 شهاب الدين أبو الفتح المظفر بن أحمد
 ابن مسعود بن بختكين بن
 سبكتكين ١٧٣
 شهاب الدين أحمد بن ملاح الدين ٢، ٩٨
 شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك ٩٩،
 ١٣٠، ٢٢٤
 شهاب الدين مالك بن شمس الدولة أنظر
 شهاب الدين مالك بن سالم بن مالك
 شهاب الدين محمود بن بوري بن طغتكين
 ٩٨، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣
 شهاب الدين محمود بن تاج الملوك أنظر
 شهاب الدين محمود بن بوري بن
 طغتكين
 شهاب الدين محمود بن قرأجا ٣٦، ٣٨،
 ٣٩، ٤٦ - ٤٨، ٥٦، ٩٧، ٢٠٥
 شيرز ٢، ٣، ٤٠، ٤١، ٤٤، ٤٧، ٤٨،
 ٥٥ - ٥٧، ٦٣، ٦٤، ٦٦ - ٧٠،
 ٧٦، ٧٧، ٧٩، ٨٦، ٩١ - ٩٣،
 ٩٧، ١٠٠، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٧،
 ١٠٨، ١١٠، ١١٣، ١١٤، ١١٦ -
 ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٣ - ١٢٥،

- ١٢٩، ١٣٤، ١٤٢ - ١٤٥، ١٤٧ - ٢٨، ٢٩
 ١٤٩، ١٥٩، ١٥٩، ١٦٢، ١٦٣،
 ١٨٧، ١٨٥، ١٩٠، ١٩١، ١٩٨،
 ١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢٠٧،
 ٢٩٠، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٨، ٢٩٩،
 ٢٢٢
 صلاح الدين محمد بن أيوب الفسياني
 ٧، ٤٥، ٧٨، ٨٩، ٩٤، ٩٨، ٩٩،
 ١٥٠، ١٥١، ١٥٦ - ١٥٨
 صلاح الدين يوسف بن أيوب، أبو الخطر
 ١٦٤
 حشد ٣٠
 السهام، أمير ٢٢٠
 صندوق، غلام ١٤٢
 صهيون ١١٩
 صور ١٣٧
 بنو الصولي ١٢٩
 شير ١٠٠
 الطاحون الجليلي ٦٢، ٧١٨
 طبرية ١٠، ١٣٧، ١٣٨
 طرابلس ٥٠، ٥٥، ٧٩، ٢٠٧، ٢٢٠
 طراد بن وحيب الشيري ٩٨
 مقصد كين، أتابك ٣٠، ٣١، ٩٠،
 ١١٩، ١٢٠
 طلائع بن رزيك ٢٢، ٢٣، ٢٦، ٣٤
 طلحة ٢٤
 الطور ٨٠
 طي ١٢
 الظاهر بإمر الله خليفة ٧ - ٩، ١٨ -
 ٢١٧ أبو علاء بن سليمان [السرقي]
- ٢٨، ٢٩
 ابن العادل، أخو عباس ٢٩
 الناصبي ٨٥، ٩٢، ١٢٩، ٢٠٤، ٢١٩،
 ٢٢٠، ٢٢٢
 عباس ركن الدين أنظر ركن الدين
 عباس بن أبي الفتح بن تميم بن
 باديس
 عبد الرحمن الحنحولي ٩٥
 عبد الله بن القيس ١٧١
 عبد الله المصنف ٩٤
 عبد الله بن ميمون العموي ١٧١
 أبو عبد الله بن ماض ١٥٩
 أبو عبد الله الطنيطلي ٢٠٧، ٢٠٨
 كتاب، مانع ٤٢
 عذراء ١٥٠
 العرب ١١، ٩٢، ٩٤ - ٩٦، ٢٢٧، ٢٩، ٣١،
 ٣٧، ٤٠، ٧١، ١٨٢
 العربان ٨، ١١
 عرس Hurso ١٤١
 ابن الصريق، جنداري ١٥٥، ١٥٦
 عز الدولة أبو الحسن علي ١٦، ١٨، ٩٧
 عز الدولة أبو المصنف نصر ٥٣ - ٥٥،
 ١٠٨
 عز الدين أبو الساكر سلطان ٤٠، ٤٩،
 ٥٣، ٦٦، ٧١، ١٠٠، ١٠٨، ١١٠،
 ١١٨، ١٢٦، ١٢٩، ١٢٢، ١٢٢
 عسقلان ٩٠، ١٥، ١٦، ١٨، ١٢٨
 عصف الدين مرهف بن أمانة بن منقذ
 ٢٨، ٢٢٦
 المغاب الشاعر ٧٠
 عكا ٣٤، ٨٢، ١٣٧، ١٩٥
 أبو علاء بن سليمان [السرقي] ٢١٧

- العلامة ٥٠، ٢٠٦
 علاء بن فارس الكردي ٩٦
 علم الدين علي كرد ٧٨
 علاوان بن حرار ١٢٤
 علاوان العراقي ١٠١
 علي بن أبي طالب ١٧٣، ١٧٧، ١٧٨
 علي بن الدود و... ٤٥
 علي من سلام، شميري ٣٨
 علي بن شمس الدولة سالم بن مالك ٩٩
 علي بن عيسى ١٧٥، ١٧٦
 علي بن فرج، أبو الحسن ١٤٦، ١٤٧
 علي بن محبوب ١٢٢، ١٢٣
 علي بن عبد الله بن أبي الربيع ١٢٧، ١٢٨
 أبو علي الفارسي ٢٠٨
 أبو علي، القائد الحاج ١٧٧
 عماد الدين زنكي بن آقشقر (آق شسكر)، أتابك ١ - ٣، ٣٠، ٤٦، ٥٩، ٧٩، ٨٨، ٨٩، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٥٠، ١٥١، ١٥٥
 — ١٥٧، ١٩٠، ١٩١، ٢١٩
 عمر بن محمد بن عبد الله بن مصر العنسي، أبو الخطاب ١٧٨
 عمر، السلار ١٤٤
 عمر (عنبر؟) الكبير ٢٤
 عنزة بن شداد ٣٩
 عمار الكردي ١١٦
 عيسى، الحاج ٧٨
 عس الدولة الباروتی ١٥
 أبو الفسارات طلائع بن رزك أنظر طلائع بن رزك
 غازي النبي ٦٢، ٦٣، ٩٨
 ابن عاري المشطوب ١٦٣
 عمر ١٠، ١٨
 المصباحي أنظر صلاح الدين محمد بن أيوب البستاني
 عنانم، باریار ١٩٩، ٢١٨، ٢١٩، ٢
 عثیم، ركايجي ٦٠، ٦١
 فارس بن زمام ٣٨، ٣٩
 فارس الكردي ٩٦
 أبو الفتح، مانع ١٣٤
 فخر الدين أبو كامل شافع ١٢٩
 فخر الدين قرا ارسلان بن داود بن شمس ابن آرشتق ٨٣، ١٥٥، ١٩٠، ١٩٥
 فخر الملك أبو علي عمار بن محمد بن عمار ٩٦، ٢٢٠
 الفراء ٣١، ٥٢، ٩٠، ١٧٣
 أبو الفرج البخداي ١٧٠
 الفرحة ٦
 الفتحة ١٥٠
 فضل بن أبي الهيثم ٨٧
 فلک من فلک Fulk V ٦٥، ٨١، ١٣٢، ١٩٥
 فليب، Philip الفارسي ٤٢
 الفيند الزماني ٥٠
 الفيدلاوي، الفقه ٩٥
 فتون، جارية ١٢٥
 أبو شهيد ٢٧، ٢٨
 أبو الفوارس مرفع بن أسامة أنظر مرفع بن أسامة
 قاضي القضاة النامي الحوي ١٧١
 القاهرة ٧، ٨، ١٨، ١٩، ٢٢، ٣٧
 القدس أنظر البست المقدسي

- القديسوس ١١١
 القرآن، ٢، ٢٤، ٣٧، ٥٣، ٥٦، ١٩١،
 ١٩٨، ٢٠٠، ٢١٤
 بنو قراجا ٤٦
 فرا حصار ١٩٦
 القسطنطينية ١٩٨، ١٩٣
 قطب الدين خسرو بن تليل ١٥٣
 قطر الندي بنت رضوان ٣٠
 القطيعة ١٥٠
 مغنجاتق، الأمير ١٥٧، ١٥٩
 قلادة الحمويّة ٢١٢
 قلعة با شرا (با سهر) ٦٠
 قلعة جبر ٨٩، ٩٠، ١٣٠، ٢٢٤، ٢٢٥
 قشّرين ١
 قشّيب بن مالك ١١٥
 قيس بن الحليم ٤٩
 قيمانز، صاحب الباب ٣٢
 كامل السطوب ٦٦، ٩٦، ٩٧
 كتاب الاضاح ٢٠٨
 كتاب الجمل ٢٠٨
 كتاب الخصائص ٢٠٨
 كتاب مبيوه ٢٠٨
 كتاب الشمس ٢٠٨
 كتاب النوم والاحلام ١٨٦
 الكرّخيني ١٥٩
 اين كردوس ٩٣
 بنو كردوس ٩٢
 كردي ١٤٩
 الكعبة ١٧٨
 كفر طراب ٤٥، ٥٢، ٥٨، ٧٣، ٧٥ —
 ٨٤، ٩٧، ١١٥، ١٢٨، ١٤٤
 ١٥٢، ١٨٢، ١٥١
 كَفر سَودا ٨٤
 كليام William حيا: ٨١، ٨٢
 كليام ديور William of Bures
 ١٣٧
 كمال الدين عليّ بن بيان ٨٣
 بنو كنانة ٨٤، ١٤٦، ١٤٧
 كُشندُغهي، أمير ٧٣
 الكهف ١٥
 الكوفة ١٧١
 كوم أشفين ٢٥
 كوهستان ١٥٨
 كيئون ٣٥
 اللاذقية ٩٦، ١٠٨
 لاون، ارمي ٢٠١
 لكرون، امير ٧
 لَوّانة ٨، ٢٤، ٣٢
 لؤلؤ الغادم ٧٦
 لؤلؤ، مملوك ١٤٢، ١٤٣، ٢١٣ — ٢١٥
 لؤلؤ، جارية ١٨٦
 لبث الدولة يحيى بن مالك بن حميد ٣٨،
 ٣٩، ٤٣، ١٢١، ١٢٤
 ماسر ١٥٨
 مالك بن الحارث الاخر ٣٧، ٣٨
 مالك بن عباضي ١٨٢
 مشكر (متكين) ٤٥، ١١٥
 بن مجاجو، ابو المجد ١٠٥
 بن مُجاهد، ابو بكر ١٧٥، ١٧٦
 مجد الدين اوسلانة أنظر مرمد من عليّ،
 والد أسامة
 مجد الدين ابو سلجبان داود من محمد
 ابن الحسن من خالد الخالدي ١٧٤

- محاسن بن مجاجو ١٠٥
 بنو محرز ١١١
 محمد السُني ١٧١
 محمد البصري، ابو عبيد الله ١٧٠
 محمد بن سرايا ٩٠
 محمد بن عبد الباقي بن محمد الانصاري
 القرظي، ابو بكر قاضي السارستان ١٧٨
 ١٧٩
 محمد بن علي بن محمد بن مامة ١٧٧
 محمد بن فناءك المقرئ، ابو عبيد الله ١٧٥
 ١٧٦
 محمد بن محمد بن ظفر ابو هاشم ١١٢
 محمد بن معر ١٧٢
 محمد بن يوسف المعروف بابن المنيرة،
 ابو عبيد الله ٨٥
 محمد السماع ١٧١
 محمد شاه بن ملكشاه سلطان اصبهان
 ٩٠، ٧٣
 محمد السجسي ١٤٥
 محمد النبي ٤٩، ٩٤، ١٦٦، ١٧٤ -
 ١٧٦، ١٨٧، ٢٢٦
 محمود بن بلداجي ٦٢
 محمود بن جُسمه الشَّيرازي ٥٧، ٦١، ٦٢
 محمود بن صالح ٩٢
 محمود بن قراجا أنظر شهاب الدين
 محمود بن قراجا
 محمود السرخدي ٤
 المدينة أنظر شيرز
 مرتفع بن فعل ٢٠
 مرج أفاية ٥٨
 ابن السرجي (السرحي) ٧٨
 مرشد بن علي، والد أمانة ٥١، ٥٣
 ١٨٦، ١٩١، ١٩٨ - ٢٠٠، ٢٠٢
 - ٢١١، ٢١٣ - ٢٢٠، ٢٢٢،
 ٢٢٤
 مرهف بن أمانة أنظر عبد الدين مرهف
 ابن أمانة بن منفذ
 ابن مروان، صاحب ديار بكر ٨٧
 مريم [الذرا] ١٣٥
 مزيد، جنداري ١٥٦
 المستظهر، خليفة ١٧٣
 مسجد ابي المجد بن سمية ٩٢
 المسجد الأقصى ١٣٤
 مسجد النضر ١٧١
 مسجد مَسْنُودِيا (مسجد علي بن ابي
 طالب) ١٧٣، ١٧٤
 مسعود، ملك قونية ٣٥
 المسلمون ١، ١٦، ١٨، ٢١، ٢٢، ٣٤ -
 ٣٦، ٨٢، ٨٦، ٩٥، ١١٢، ١١٤،
 ١١٥، ١٢٦، ١٢٨، ١٣٤، ١٣٦،
 ١٣٨
 المسيح ١٣٥
 ا و مَسِيكة الايادي ٣٧، ٣٨
 المصحف أنظر القرآن
 مصر ٤، ٦، ٨، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٩ -
 ٣٢، ٣٤، ٨٠، ٩٣، ١٢٨، ١٧٨،
 ١٩٠، ١٩٣، ٢٠١، ٢٠٧
 المصريون ٨، ١٠، ٢١، ٢٤، ٢٥
 مصباح [مصياد] ١٤٨، ١٤٩
 المصنعة ٢٠١
 مضر ٢٨
 مظفر بن عباس ١٨٢
 المعبد ١٠٧
 معرفة النعمان (المعرفة) ١٣٦، ١٧٢،
 ٢٠٩
 مَعْرُوف ١١٠

- معركة الدولة ابن مويه ١٧٣
مسي الدس أنس ٤٤، ٣٠، ٤٤، ٨٢
١٠٧، ١٣٥، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠
١٥٢، ١٥٣، ١٩٥
- الخاربة ٨١
المغرب ٧٠، ١١٢، ١٧٩
مقبل، القائد ٢٩، ٣٠
المقتلي بأمر الله ١٧٣، ١٧٤
مقلد بن نصر بن منقذ، أبو المتوج ١٨٤
مكة ٣٤، ١٥٩، ١٧٨، ١٨٠
ابن ملاءب أنظر سيف الدولة حلف
ابن ملاءب الأحمبي
ملك الألمان Conrad III ٩٤
ملكته، السلطان معز ٤٩، ٨٧، ١٧٤
١٧٥، ٢١١، ٢١٢
الملك الصالح أنظر طلائع ابن دزك
الملك العادل سيف الدين أنظر سيف
الدين أبو الحسن علي بن السلار
الملك العادل نور الدين أنظر نور
الدين بن زنكي
المندة ١٠٨
منصور بن غياث ٢٧، ٢٨
ابن السيرة أنظر محمد بن يوسف
المعروف بابن السيرة، أبو عبد الله
المنيطرة ١٣٢
المؤتس بن أبي رمانة ٢٣
المؤيد الشاعر البغدادي ٧١
مودود، إسماعيل ٦٨، ٦٩
الموصل ٢، ٧١، ٧٣، ١٥٨، ١٧٣،
١٩١
مؤقت الدولة مسون ٥٣، ٥٤
المؤيد بن ٢٧، ٢٩
ميكائيل الكردي ١٢٢
- مسون Bohemond I ٦٥
ابن مسون Bohemond II ٦٤، ١٢١،
١٢٢
مسيح، كردي ٤٨
- نابلس ١٣٦، ١٣٨، ١٣٩
ناصر الدولة كامل بن مقلد ٩١
ناصر الدولة ياقوت ١٥
ناصر الدين نصر بن عباس أنظر نصر
ابن عباس
نجم الدولة أبو عبد الله محمد ٢٢
نجم الدولة مالك بن سالم ٨٩، ٩٠
نجم الدين أبو طالب بن علي - كرد ١٩٧
نجم الدين إلفقاري بن أرغش ٤٠، ٤١،
٩٠، ١١٩، ١٢٠
نجم الدين بن مصال ٥٧، ٨
ندى [بني ٩] بن تليل القشيري ٤٢،
٤٣
ندى [بني ٩] الصليبي ١٢٨
نصاري ١٥٨، ١٥٩
نصر، ابن بركة ١٢٣
نصر بن عباس ١٨ - ٢٣، ٢٦ - ٢٩،
٩٣
نصيبين ١٩٢
نصير الدين منقر ١٥٧
نصرة بنت بوزمام ١٢٩
نقولا، مملوك ٢١٧
بنو سمر ٩٩
نشير الماروزي ٧٧
نور الدولة بلك بن بهرام ١٢٠
نور الدين محمود بن زنكي، أبو المظفر
الملك العادل ١٠، ١٤، ١٥، ٢٣،
٣٤، ٣٥، ١٥٤، ١٩٠، ١٩٦

النيل ١١٤، ٣٧	بأنيس النامخ ٧٠٧
الهرماس ١٩٢	بيني ١٧
مستم الحاج ١١٦	اليحشور ٢٠٢ - ٢٠٥، ٢١٠
ابو الهيجاء ٨٢	يحيى بن ماني الأسر ٦٧
	يحيى السبي ١١٤
	يسالغ ١٩٩
وادي ابن الاحمر ١٩٩	يود ١٥٨، ١٥٩
وادي ابو البيون Bohemond ٤٠	يوحنا بن بلان ١٨٣ - ١٨٥
وادي حلبون ١٥٣	يوسف، ابن الحافظ ٢١
وادي موسى	يوسف بن ابي الفريب ١١٣
ابو الوفاء تميم ١٨٥	يوسف، ركابي ١٤٤
	يوسف، غلام ٢١٢
ياروق، خادم ٨٣	يوم الحديقة ٤٩
ياقوت الطويل ٥١	يوزان، مكابر ٧٩، ٨٠

to Professor Harold H. Bender, chairman of the Department of Oriental Languages and Literatures, to Mr James T Gerould, librarian of Princeton University, and to the Mergenthaler Linotype Company, who together have made possible the production of such a book.

EDITOR'S NOTE

USĀMAH (A.D. 1095-1188) was a warrior, a hunter, a gentleman, and a poet, who sojourned in the courts of Nūr-al-Dīn and Saladin in Damascus, of the Fātimite caliph in Cairo, and of Zanki in Mosul, and who had personal contacts with Baldwin, Bohemond, Roger, Fulk, and other leaders of the first two Crusades. Aleppo, Jerusalem, and Mecca were likewise scenes of his varied activities. When not engaged in repelling Frankish, Byzantine, or Ismā'īliyah attacks against his picturesque castle, Shayzar, on the Orontes, he was battling against Crusaders or other adversaries elsewhere, hunting lions, hawking, or writing poetry.

At the ripe age of ninety, Usāmah wrote—rather dictated—his reminiscences entitled *Kitāb al-I'tibār*, one of thirteen books which he composed. In this work he gives us a first-hand description of many of the events of which he was an eyewitness. One section he devotes to rare anecdotes, another to falconry, and a third to his impressions of the character of the Franks and their methods of medication and judicial procedure. In their simplicity of narrative, dignity and wealth of contents, and in their general human interest, these *Memoirs* stand unexcelled in Arabic literature.

Through the kind offices of the United States embassy at Madrid, a photostatic reproduction was made of the unique manuscript of *Kitāb al-I'tibār*, now preserved in the Escorial Library; and this has elsewhere been rendered into English by the writer and issued under the title *An Arab-Syrian Gentleman and Warrior in the Period of the Crusades* (Columbia University Press, 1929). The calligraphy belongs to that of Syria in the thirteenth century and is lacking in diacritical marks and vowel signs.

In the present work the editor has collated the material with contemporaneous sources as well as modern works, especially those of Hartwig Derenbourg, has suggested a number of emendations, and added philological, geographical, and historical notes.

This being the first Arabic book to be printed in a university press in America, due acknowledgment should be made

To

JOSEPH T. MACKEY, Esq.

PRINTED AT THE PRINCETON UNIVERSITY PRESS
PRINCETON, NEW JERSEY, U.S.A.

PRINCETON ORIENTAL TEXTS — VOLUME I

USĀMAH'S MEMOIRS

ENTITLED

KITĀB AL-I'TIBĀR

BY

USĀMAH IBN-MUNQIDH

ARABIC TEXT EDITED FROM THE UNIQUE MANUSCRIPT
IN THE ESCURIAL LIBRARY, SPAIN

BY

PHILIP K. HITT

*Associate Professor of Semitic Literature
Princeton University*

PRINCETON

PRINCETON UNIVERSITY PRESS

1930

*LONDON: HUMPHREY MILFORD
OXFORD UNIVERSITY PRESS*

USAMAH'S MEMOIRS

ENTITLED

KITĀB AL-IʿTIBAR

